

الأعمال المختارة لمحمد خانجيتش البوسنوي

تأليف

محمد خانجيتش البوسنوي

اختيار وتقديم

أسعد دوراكوفيتش

ترجمة

عبد الرحيم ياقدي

مراجعة

محمد م. الأرناؤوط





الأعمال المختارة

لمحمد خانجيتش البوسنوي

(٤٦)

هــذا الكــتــاب

يُعدُّ محمد خانجيتش Mehmed Handžić - أو الخانجي كما اختار لنفسه أن يكون فترة وجوده للدراسة في الأزهر خلال (١٩٢٦-١٩٣٠م)- من أهم علماء البوسنة في القرن العشرين، الذين جمعوا بين العلم الغزير والإنتاج المتنوّع والأفق الواسع المنفتح على العصر.

وإذا كان العالم العربي قد عرف الخانجي من خلال كتابه المعروف الذي ألفه وأصدره في القاهرة (الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة)، الذي صدر في أربع طبعات خلال (١٩٣٠-٢٠١٠م)؛ فإن هذه المختارات تعرّفنا بشكل مختلف على خانجيتش البوسنوي المنشغل بواقع المسلمين ومصيرهم في بلاده.

هذه الأعمال المختارة لخانجيتش تمثل صورة صادقة عمّا كان يشغل نخبة المسلمين في البوسنة ويوغسلافيا بشكل عام في فترة انتقالية صعبة، حيث تناولت أصالة المسلمين هناك أمام حملات التشكيك بهم وبتاريخهم، وانتقدت بعض البدع التي لحقت بهم هناك، وصولا إلى السؤال الكبير الذي عنون به خانجيتش أحد مقالاته: هل يمكن للمسلم أن يعيش حياة الأوربيين ويبقى مسلمًا صالحًا؟

سلسلة

في الفكر النهضوي الإسلامي

الإشراف العام

إسماعيل سراج الدين

رئيس التحرير ومدير المشروع: صلاح الدين الجوهري

سكرتير التحرير: ألفت جافور

اللجنة العلمية

محمد عمارة — محمد كمال الدين إمام

صلاح الدين الجوهري — منى أبو زيد

تصميم جرافيكي: عاطف عبد الغني ـ أمينة حسين

الإشراف على التحرير ومراجعة النصوص

أحمد محمد شعبان — محمد القاسم

الأعمال التحضيرية

هدى سيد ـ شيماء التركي ـ منة الله لبيب

مراجعة لغوية: سماح رضوان سالم - فاطمة الزهراء صابر



الأعمال المختارة

لمحمد خانجيتش البوسنوي

تأليف: **محمد خانجيتش**

اختيار وتقديم: **أسعد دوراكوفيتش**

ترجمة: **عبد الرحيم ياقدي**

مراجعة: **محمد م. الأرناؤوط**

١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥ م



مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

خانجيتش، محمد، 1906-1944.

الأعمال المختارة لمحمد خانجيتش البوسنوي / تأليف محمد خانجيتش ؛ اختيار و تقديم أسعد دوراكوفيتش ؛ ترجمة عبد الرحيم ياقدي ؛ مراجعة محمد م. الأرناؤوط. — القاهرة : دار الكتاب المصري ؛ الإسكندرية : مكتبة الإسكندرية ؛ بيروت : دار الكتاب اللبناني، 2015.

ص. سم. (في الفكر النهضوي الإسلامي)

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية

تدمك 978-977-452-311-2

1. الإسلام -- البوسنة و الهرسك. أ. دوراكوفيتش، أسعد. ب. ياقدي، عبد الرحيم. ج. الأرناؤوط، محمد م. د. مكتبة الإسكندرية. هـ. العنوان. و. السلسلة.

ديوي – 094974.297　　　　2015757337

ISBN: 978-977-452-311-2

رقم الإيداع: 2015/4084

تتقدم مكتبة الإسكندرية بالشكر والتقدير

للوكالة السويسرية للتنمية والتعاون Swiss Agency for Development and Cooperation (SDC)

ومؤسسة كارنيجي بنيويورك Carnegie Corporation of New York

على الدعم المادي والمعنوي الذي قدَّماه للمشروع.

هذا الكتاب ضمن فعاليات مشروع «إعادة إصدار مختارات من التراث الإسلامي الحديث في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريَّيْن/ التاسع عشر والعشرين الميلاديَّيْن»

المحتوى

كتاب
الأعمال المختارة لمحمد خانجيتش البوسنوي

مقدمة السلسلة

إن فكرة هذا المشروع الذي أُطلِق عليه «إعادة إصدار مختارات من التراث الإسلامي الحديث في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريَّيْن / التاسع عشر والعشرين الميلادِيَّين»، قد نبعت من الرؤية التي تتبناها مكتبة الإسكندرية بشأن ضرورة المحافظة على التراث الفكري والعلمي في مختلف مجالات المعرفة، والمساهمة في نقل هذا التراث للأجيال المتعاقبة تأكيدًا لأهمية التواصل بين أجيال الأمة عبر تاريخها الحضاري؛ إذ إن الإنتاج الثقافي - لا شكَّ - تراكمي، وإن الإبداع ينبت في الأرض الخصبة بعطاء السابقين، وإن التجديد الفعال لا يتم إلا مع التأصيل. وضمان هذا التواصل يعتبر من أهم وظائف المكتبة التي اضطلعت بها، منذ نشأتها الأولى وعبر مراحل تطورها المختلفة.

والسبب الرئيسي لاختيار هذين القرنين هو وجود انطباع سائد غير صحيح؛ وهو أن الإسهامات الكبيرة التي قام بها المفكرون والعلماء المسلمون قد توقفت عند فترات تاريخية قديمة، ولم تتجاوزها. ولكن الحقائق الموثقة تشير إلى غير ذلك، وتؤكد أن عطاء المفكرين المسلمين في الفكر النهضوي التنويري - وإن

مر بمدٍّ وجزر - إنما هو تواصل عبر الأحقاب الزمنية المختلفة، بما في ذلك الحقبة الحديثة والمعاصرة التي تشمل القرنين الأخيرين.

يهدف هذا المشروع - فيما يهدف - إلى تكوين مكتبة متكاملة ومتنوعة، تضم مختارات من أهم الأعمال الفكرية لرواد الإصلاح والتجديد الإسلامي خلال القرنين الهجريَّيْن المذكورَيْن. والمكتبة إذ تسعى لإتاحة هذه المختارات على أوسع نطاق ممكن، عبر إعادة إصدارها في طبعة ورقية جديدة، وعبر النشر الإلكتروني أيضًا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)؛ فإنها تستهدف في المقام الأول إتاحة هذه المختارات للشباب وللأجيال الجديدة بصفة خاصة.

ويسبق كلَّ كتاب دراسة تقديمية أعدها أحد الباحثين المتميزين، وفق منهجية منضبطة، جمعت بين التعريف بأولئك الرواد واجتهاداتهم من جهة، والتعريف بالسياق التاريخي / الاجتماعي الذي ظهرت فيه تلك الاجتهادات من جهة أخرى؛ بما كان فيه من تحديات وقضايا نهضوية كبرى، مع التأكيد أساسًا على آراء المؤلف واجتهاداته والأصداء التي تركها الكتاب. وللتأكد من توافر أعلى معايير الدقة، فإن التقديمات التي كتبها الباحثون قد راجعتها واعتمدتها لجنة من كبار الأساتذة المتخصصين، وذلك بعد مناقشات مستفيضة، وحوارات علمية رصينة، استغرقت جلسات متتالية لكل تقديم، شارك فيها كاتب التقديم ونظراؤه من فريق الباحثين الذين شاركوا في هذا المشروع الكبير. كما قامت مجموعة من المتخصصين على تدقيق نصوص الكتب ومراجعتها بما يوافق الطبعة الأصلية للكتاب.

هذا، وستسعى المكتبة أيضًا - وفق توفر الإمكانات الفنية والمادية - إلى ترجمة تلك المختارات أو مقتبسات منها إلى الإنجليزية ثم الفرنسية؛ مستهدفة أبناء المسلمين الناطقين بغير العربية، كما ستتيحها لمراكز البحث والجامعات ومؤسسات صناعة الرأي في مختلف أنحاء العالم. وتأمل المكتبة أن يساعد ذلك على تنقية صورة الإسلام من التشويهات التي يلصقها البعض به زورًا وبهتانًا، وبيان زيف كثير من الاتهامات الباطلة التي يُتَّهم بها المسلمون في جملتهم، خاصة من قِبَل الجهات المناوئة في الغرب.

إن قسمًا كبيرًا من كتابات رواد التنوير والإصلاح في الفكر الإسلامي خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، لا يزال بعيدًا عن الأضواء، ومن ثم لا يزال محدود التأثير في مواجهة المشكلات التي تواجهها مجتمعاتنا. وربما كان غياب هذا القسم من التراث النهضوي الإسلامي سببًا من أسباب تكرار الأسئلة نفسها التي سبق أن أجاب عنها أولئك الرواد في سياق واقعهم الذي عاصروه. وربما كان هذا الغياب أيضًا سببًا من أسباب تفاقم الأزمات الفكرية والعقائدية التي يتعرض لها أبناؤنا من الأجيال الجديدة داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية وخارجها. ويكفي أن نشير إلى أن أعمال أمثال: محمد عبده، والأفغاني، والكواكبي، ومحمد إقبال، وخير الدين التونسي، وسعيد النورسي، ومالك بن نبي، وعلاَّل الفاسي، والطاهر ابن عاشور، ومصطفى المراغي، ومحمود شلتوت، وعلي شريعتي، وعلي عزت بيجوفتش، وأحمد جودت باشا - وغيرهم - لا تزال بمنأًى عن أيدي الأجيال

الجديدة من الشباب في أغلبية البلدان العربية والإسلامية، فضلاً عن الشباب المسلم الذي يعيش في مجتمعات أوروبية أو أمريكية؛ الأمر الذي يلقي على المكتبة عبئًا مضاعفًا من أجل ترجمة هذه الأعمال، وليس فقط إعادة نشرها بالعربية وتيسير الحصول عليها (ورقيًّا وإلكترونيًّا).

إن هذا المشروع يسعى للجمع بين الإحياء، والتجديد، والإبداع، والتواصل مع الآخر. وليس اهتمامنا بهذا التراث إشارة إلى رفض الجديد الوافد علينا، بل علينا أن نتفاعل معه، ونختار منه ما يناسبنا، فتزداد حياتنا الثقافية ثراءً، وتتجدد أفكارنا بهذا التفاعل البناء بين القديم والجديد، بين الموروث والوافد، فتنتج الأجيال الجديدة عطاءها الجديد، إسهامًا في التراث الإنساني المشترك، بكل ما فيه من تنوع الهويات وتعددها.

وأملنا هو أن نسهم في إتاحة مصادر معرفية أصيلة وثرية لطلاب العلم والثقافة داخل أوطاننا وخارجها، وأن تستنهض هذه الإسهامات همم الأجيال الجديدة كي تقدم اجتهاداتها في مواجهة التحديات التي تعيشها الأمة؛ مستلهمة المنهج العلمي الدقيق الذي سار عليه أولئك الرواد الذين عاشوا خلال القرنين الهجريين الأخيرين، وتفاعلوا مع قضايا أمتهم، وبذلوا قصارى جهدهم واجتهدوا في تقديم الإجابات عن تحديات عصرهم من أجل نهضتها وتقدمها.

لقد وجدنا أن من أوجب مهماتنا ومن أولى مسئولياتنا في مكتبة الإسكندرية، أن نسهم في توعية الأجيال الجديدة من الشباب في مصر، وفي غيرها من البلدان العربية والإسلامية، وغيرهم من الشباب المسلم في البلاد غير الإسلامية بالعطاء الحضاري للعلماء المسلمين في العصر الحديث، خلال القرنين المشار إليهما على وجه التحديد؛ حتى لا يترسَّخ الانطباع السائد الخاطئ، الذي سبق أن أشرنا إليه؛ فليس صحيحًا أن جهود العطاء الحضاري والإبداع الفكري للمسلمين قد توقفت عند فترات زمنية مضت عليها عدة قرون، والصحيح هو أنهم أضافوا الجديد في زمانهم، والمفيد لأمتهم وللإنسانية من أجل التقدم والحث على السعي لتحسين نوعية الحياة لبني البشر جميعًا.

وإذا كان العلم حصاد التفكير وإعمال العقل والتنقيب المنظم عن المعرفة، فإن الكتب هي آلة توارثه في الزمن؛ كي يتداوله الناس عبر الأجيال وفيما بين الأمم.

إسماعيل سراج الدين

مدير مكتبة الإسكندرية

دراسة تقديمية

أسعد دوراكوفيتش

وُلد العالم البوسنوي محمد خانجيتش (أو محمد الخانجي كما هو مشهور في العالم العربي) في (غرة ذي القعدة ١٣٢٤هـ/ ١٦ ديسمبر ١٩٠٦م) في سراييفو عاصمة البوسنة، وكانت البوسنة لا تزال تتبع الدولة العثمانية اسميًّا؛ ومن ثم عايش في طفولته ضم البوسنة إلى إمبراطورية النمسا - المجر، كما شهد في فتوته (١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م) انضمام البوسنة إلى الدولة الجديدة (يوغسلافيا) التي قامت على أنقاض الإمبراطورية، كما عايش في شبابه (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م) انضمام البوسنة إلى «دولة كرواتيا المستقلة» التي قامت على أنقاض يوغسلافيا الأولى. وفي غضون ذلك كان خانجيتش قد أنهى الثانوية الرشدية والشرعية، ثم التحق بالأزهر الشريف في عام (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م)، وتخرج فيه عام (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م).

وبعد عودته إلى سراييفو، عمل في مدرسة الغازي خسرو بك، حيث درّس اللغة العربية والتفسير والحديث والفقه، وانضم لعضوية مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية «مرحمت» منذ عام (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م). وانتقل عام

(١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) إلى مكتبة الغازي خسرو بك؛ حيث عمل فيها مكتبيًّا، وانتقل في العام الدراسي (١٣٥٨-١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩-١٩٤٠م) إلى المعهد العالي للدراسات الإسلامية الذي كان قد تأسس آنذاك، حيث درّس التفسير وأصول الفقه. وخلال تلك السنوات أصبح من أبرز أعضاء جمعية علماء المسلمين «الهداية»، ومن أبرز الكتّاب في مجلتها التي تحمل اسمها. وفي ذروة نشاطه العلمي دخل إلى المستشفى- وهو في ريعان شبابه - لإجراء عملية بسيطة (استئصال الزائدة الدودية)، ولكنه توفي فجأة في المستشفى يوم (٩ شعبان ١٣٦٣هـ/ ٢٩ يوليو ١٩٤٤م)؛ مما أثار الشكوك في هذه الوفاة الدرامية[1].

الولع التربوي لدى خانجيتش

ينتمي محمد خانجيتش إلى النخبة القليلة من المبدعين ورسل الثقافة، حيث تساهم مؤلفاته في الشرح الأمثل للمشاكل العصرية، والدوائر الثقافية الواسعة؛ لذلك فإن التحليل الجدي والتقييم التعليلي لمؤلفاته يتطلب معرفة وفيرة للسياق الذي كان ينتهجه في مؤلفاته. وهذا البيان يأتي بعد الاطلاع الدقيق على مؤلفاته.

والجدير بالذكر أن خانجيتش كان مثقفًا وعالمًا دينيًّا من عيار «المربي والموثّق الحقيقي»، بنى علاقات مع الحداثة، بحيث يمكننا النظر إليه، قبل كل شيء، من

(١) للحصول على معلومات أكثر عن خانجيتش، انظر: الأعمال المختارة لمحمد خانجيتش، (الهداية، واتحاد علماء البوسنة والهرسك، ومجلس إدارة سراييفو)، سراييفو، ١٩٩٦م.

خلالها، وخاصة مع الحداثة عندنا، التي ساهم فيها من خلال مشاركاته المتنوعة في مختلف المجالات.

إن الإشارة إلى المشاركات الواضحة في حداثته الخاصة تستدعي جذب الانتباه إلى الميزات الكثيرة لمؤلفاته، على الخصوص مشاركته التربوية المكثفة، التي نفذها بمستوى لا يقل عن مستوى «المبشر الحقيقي»، وتعامله مع آفاق المواضيع بحساسية «الضرورة التربوية»، محركًا حدود تلك الأفاق أكثر بكثير مما يجب أن تكون عليها في وقتها. وبالإضافة إلى آنية الضرورة التربوية فإن الرغبة الكبيرة أثرت على اختياره للمواضيع التي تعامل معها. فنرى في مؤلفات خانجيتش نصوصًا بقيت - بشكل طبيعي- أسيرة تلك الحقبة، ولكن نرى أيضًا نصوصًا- وتلك كثيرة - لا تزال حتى يومنا هذا شائعة ومتداولة، لأن الزمن لم يتغلب عليها.

في الحقيقة إن الحماسة التربوية لدى خانجيتش - والتي تعتبر موضوع حديثنا - كثيرة حقًّا وذات طموحات نهضوية، وسواء نظرنا إليها طوليًّا أم أفقيًّا، فإن تقييم مؤلفات خانجيتش من وجهة النظر الآنية تعتبر معقدة نوعًا ما، وتتطلب تفسيرًا دقيقًا بناء على عدة عوامل ذات صلة. ومن ثم فإن هذه المقدمة لبعض أعماله المختارة هي محاولة، على أقل تقدير، لتقييم «مداها» في عصره، وكذلك - بشكل متوازٍ - تعد محاولة لتقييمها من وجهة نظر عصرنا الحالي.

بدون أدنى شك فإن خانجيتش يعتبر واحدًا من أبرز مثقفي عصره في البوسنة والهرسك، حتى إنه ينضم للعدد القليل من كبار المؤلفين البوشناق في يوغسلافيا قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها.

بعبارة أخرى هو مبدع استطاعت نشاطاته المتنوعة – التي حدد بها هوية إشكاليات مواضيعه التي ناقشها – أن تميز عصره من جهة، وأن تكون تربوية هدفًا وشكلاً من جهة أخرى؛ مما يعني أن خانجيتش كان مخولاً للتأثير على المحيط والواقع الذي عاش فيه، ومنه على النمط المستقبلي. ولا يمكن لأحد أن ينكر شهرته في عصره؛ فالكاتب الذي لم يكمل الثامنة والثلاثين من عمره، والذي ترك خلفه أكثر من ثلاثمائة عمل كتابي – بغض النظر عن التفاوت الواضح في الكفاءة – لا يمكن إلا أن يكون واحدًا من أشهر شخصيات عصره.

هُوية العنصرين (البوشناقية والإسلام)

في سياق دراستي للنتاج المُثمِر والمتنوِّع لأعمال خانجيتش يمكنني استنتاج أمرين هامين، هما: استثمار نِتاجه الكتابي الوفير والعجيب لصالح نسبية أعماله، وأخذ إنتاجه كدعم قوي لحُكمي الإيجابي على قيمة مؤلفاته كظاهرة استثنائية للحداثة؛ لأن إبداعه السخي الكلاسيكي / الشرقي يحمل الكثير من الإيجابيات نحو الحقبة التي عاش فيها:

فمن ناحية، كان الشعب البوشناقي في تلك الحقبة على مفترق طرق مصيري، بين الإغراءات الكاذبة للصرب والكروات، بدون منحه أي إمكانية لإظهار أو طلب الاستقلال القومي؛ فلم تُقدم تلك الحقبة للشعب البوشناقي إلا قمع الحرية الدينية، من خلال إظهار حب الانتقام من «الحقبة التركية» التي ولت، ولم يُسمح للبشانقة بالإفصاح عن قوميتهم - كنوع من الإذلال - إلا كصرب أو كروات.

وبين أن «يُرَحَّل» في الوقت نفسه عن البشانقة الكنز الثقافي الغني الذي جمعوه خلال قرون عدة في صندوق محكم الإغلاق، بالإضافة إلى سحب كل التراث الذي تم إبداعه باللغات الشرقية إلى خِزانات يصعب الوصول إليها.. إذًا فإن الشعب الذي كانت له ثقافة تاريخية غنية فقدها فجأة، وأصبح في عزلة داخل اللغات الشرقية المجهولة؛ ومن ثم أصبح أميًّا بالرغم من إبداعه المكثف لقرون عديدة، وخلقه حضارة كبيرة.

إن مأسوية تلك الحقبة التاريخية كانت واضحة ومتعددة، ومن الصعب جدًّا أن يخرج في مثل تلك الفترة رجل مثل «خانجيتش». وليس من العجب صمت الأكثرية العظمى من علماء تلك الحقبة بالرغم من ارتفاع مستوى معرفتهم وعلمهم، فالكثير منهم لم ينتج أي عمل كتابي. إن نموذج تلك الحقبة يتمثل في العالم أحمد أفندي بوريك الذي أصبح أسطورة منذ زمن بعيد بسبب

عدم تمكننا من ذكر علمه، أو تقييم وتقدير أعماله؛ لأنه لم ينتجها أصلاً. أما خانجيتش فهو مختلف لأنه نموذج إيجابي.

ففي الحقبة التي أصفها بأنها حاسمة ودراماتيكية للبشانقة (مرغمين على الإفصاح عن قوميتهم كصرب أو ككروات، ومحرومين من تراثهم، والصمت القاتل الذي سيطر عليهم) يستطيع محمد خانجيتش، الذي لم يكمل الثامنة والثلاثين من العمر، أن يمتلك ثروة تزيد عن ٣٠٠ مؤلَّف. أي في الوقت الذي صمت فيه أكثر العلماء يقوم خانجيتش بالكتابة بدون كلل، وبحماسة التربوي، وبالحس المرهف للمثقف؛ فبدون شك أصبح ظاهرة فريدة في عصره بسبب هذا النشاط، بالإضافة إلى كونه أكبر مثال للوعي بين أبناء جلدته، لأنه أظهر بوشناقيته من خلال جميع مؤلفاته، بالإضافة لكونه مسلمًا.

أخذًا بالاعتبار كل ما ذكرناه نرى أن نشاطه التربوي كان موجهًا نحو غرس وصقل القيم الخاصة بالعنصرين المذكورين (البوشناقية، والإسلام)، واللذَيْن كانا مهددَيْن بشدة في تلك الحقبة. من الأكيد أن هذا التهديد هو الذي حثه بدرجة كبيرة على تكثيف إنتاجه، الذي كان في حدود أولويات الاحتياجات التربوية لتلك الحقبة، أكثر مما كان في حدود الكفاءة التي كان يتمتع بها خانجيتش في جميع المجالات التي كتب فيها.

خانجيتش.. واعظًا وباحثًا نهضويًّا

ينتمي خانجيتش إلى صنف رسل الثقافة مفعمي الطاقة، وتكمن أهميته في كونه قد سجّل الحقبة التي كان ينتمي إليها، واستطاع أن يدخل في نظام تقييمنا؛ لذلك عندما نقرأ اليوم بعض أعماله فإننا نراها وكأنها واقع نعيشه، وليست فقط مجرد حقائق تاريخية / ثقافية تعتبر حية في سياق حقبتها، فبعض أعماله استطاعت أن تجعل من عامل الزمن أمرًا نسبيًّا، وبعضها الآخر - أخذًا بالاعتبار الآنية - أثبتت قيمًا تاريخية.

فمثلاً كانت دروس الوعظ التي ألقاها خانجيتش آنية بحتة وتربوية جدًّا، وتخص الحقبة التي أُلقيت فيها. فقد كان واعظًا محترمًا طوال فترة حياته القصيرة، حيث ألقى دروس الوعظ في جميع أنحاء البوسنة والهرسك، ذاكرًا في الكثير من المرات أن هذه الدروس الوعظية يجب أن تبقى أحد الأسس الثابتة لعلماء الدين المتعلمين، كما كان هو. وقد أصبحت دروسه الوعظية في سراييفو نوعًا من أقسام العلوم، وبالرغم من ذلك لم يكتفِ خانجيتش بالدروس الشفهية، إنما بقي وفيًّا لمنهجه؛ فانفرد من بين الوعاظ الذين لم يخلد اسمهم التاريخ.

فقد آمن خانجيتش - وكان على حق - بأن دروسه الوعظية يمكن أن تكون مراجع تعليمية لغيره من الوعاظ، وأن وعظه هذا ضروري في تلك الحقبة المصيرية، ومن الأفضل كتابة بعض دروسه الوعظية؛ لذلك نشر مجموعة من

الدروس الوعظية المختارة التي لا تخص الحقبة التاريخية التي عاش فيها. إن عددًا من تلك الدروس الوعظية لم تفقد آنيتها حتى يومنا هذا. ولكن من الضروري التنويه إلى أن طريقة عرض المشاكل التي قدمها في وعظه تختلف اليوم عما كانت في حقبته، وهذا مفهوم بالنظر إلى مرور أكثر من نصف قرن على حقبة خانجيتش العاصفة، والتي كانت بحاجة ملحة لدروسه التربوية.

يمكنني أن أذكر كمثال على ملامح نمطه الوعظي أنه – وبنوع من السهولة الشرقية والسعادة – كان غالبًا يلجأ إلى ذكر القصص أو التقاليد أو الحوادث كنوع من الحجج (غالبًا كانت تلك القصص من حقبة الرسول ﷺ أو من الحقب التاريخية عامة). فمن المفهوم أن «قوة الحجة» في تلك القصص تعتبر إشكالية في دراسة المشكلة المطروحة. ولكن لأن دروس خانجيتش الوعظية لم تكن تمتلك طموحًا علميًّا، فإن النفع من تلك القصص كان كبيرًا، فقد استحوذت على اهتمام المستمعين، وأعطت الوعظ حلاوة السرد، والألفة والجودة الأدبية، ودائمًا زادت من قوة ودرجة الإيحاء؛ لذلك يمكننا وصف خانجيتش بأنه رجل مُلمّ، ومرهف الحس، وسريع التأقلم مع الواقع الراهن، استخدم في وعظه أفضل طرق العرض بهدف تحقيق أعلى درجات التأثير على المستمع. أما الكتب المدرسية التي كتبها – والتي سنتحدث عنها لاحقًا – فقد استخدم فيها طرقًا مختلفةً.

وفي أبحاثه، كان يدرك أهمية الدقة في التفاصيل البحثية، والاعتماد على المصادر الحقيقية والواقعية، على عكس ما كان عليه من الناحية المنهجية في

طريقة سرده الوعظية الفعالة. فعندما تقرؤون اليوم كتابات خانجيتش الوعظية ربما تشعرون بانزعاج من حنينه غير الطبيعي للحجج المبنية على التقاليد غير الواضحة والضبابية، تمامًا كما تشعرون بسبب الواقعية الباردة في أعماله البحثية. إذًا سوف تجدون توجهات منهجية متعاكسة تمامًا، ولكنها متناسبة بدرجات متفاوتة مع المواضيع التي تطرحها، خاصة مع الحقبة التي تدور فيها. وأنا أرى ذلك فضيلة من فضائل خانجيتش، الذي تمكن بنجاح من تكييف المنهجية مع طريقة مخاطبته الجمهور، وكان دائمًا يسعى في نهاية المطاف لهدف تربوي.

فعندما كان يتوجه لما يسمى «الشريحة الواسعة من الجمهور» كان يستعمل الطريقة الوعظية التي يستخدم بها الصياغة النصية الحية مع قصص توضيحية، أي طريقة اتصال تناسب الاحتكاك المباشر الشفوي مع المستمعين. ولكن عندما يستخدم ترجمة الشيخ كرابيك للقرآن الكريم إلى اللغة البوسنية - والمكتوبة للمتخصصين - فإن خانجيتش يصبح أكثر دقة وخبرة ومحددًا وصارمًا في تعابيره العلمية، بغض النظر عن أن مؤلف الترجمة عالم ذو هيبة ومكانة.

إن المعنى التعبيري المتسق والمدعوم بالحجج القوية لدى خانجيتش هو الأقوى، على ما أعتقد، في أعماله الكثيرة في مجال الحقوق الشرعية، والواضح أنه قد ألمّ إلمامًا ممتازًا، فقد درس الحقوق الشرعية في الأزهر الشريف، وكان متمكنًا وواثقًا من نفسه بصددها، لدرجة جعلته يدخل في جدال علني مع رئيس العلماء فهيم صباهو حول تفسير بعض المسائل الحقوقية الشرعية. لقد كان خانجيتش

محافظًا في تفسيره للقواعد الشرعية، ودافع بلا هوادة عن المواقف التي لا تقبل تعديلاً أو تحديثًا، كالقواعد الشرعية التي جاء فيها نصوص في القرآن الكريم أو الحديث الشريف.

في الحقيقة، إن الشريعة في حقبته كانت قد تراجعت في الحياة العملية في البوسنة والهرسك، وكان يعاني معاناة شديدة بسبب ذلك. إن الارتباك الذي عاشه الشعب البوشناقي، والذي تحدثنا عنه سابقًا، تجلى في تخليه عن القيم التراثية الإسلامية، وتقمصه لقيم جديدة ذات طابع عصري؛ فظهرت مشاكل حقوقية متمثلة في: الزواج المختلط (زواج مسلم من غير مسلمة والعكس)، وظهور الفائدة البنكية (الربا)، وتبرج بعض النساء، وتسمية الأولاد بأسماء غير إسلامية...إلخ. وبالاطلاع على جميع مؤلفات خانجيتش يمكننا التوصل لاستنتاج عام حول هذه المسائل، وهو موقفه التقليدي الصلب من جميعها، ولكن تقليديته هذه تظهر في تعليلاته في صورة عصرية وديناميكية، مهما بدا لنا الأمر كمفارقة في الوهلة الأولى.

أي أن الصلابة التي يُظهرها خانجيتش في الحقوق الشرعية تتعلق بتلك القضايا التي يراها من صلب الدين الإسلامي، ورغم ذلك تتعرض لضغوط كبيرة من أجل تغييرها، أو بدأت فعلاً فيها عملية التغيير، مثل: الزواج المختلط الذي بدأ ينتشر بكثرة، ومحاولة المسلمين إخفاء الذرية التي تأتي من هذا الزواج بإعطائهم أسماء غير إسلامية، أو قضية نزع الحجاب والتبرج والتخلي عن اللباس

التقليدي الإسلامي، أو البدء في إلغاء دور الإفتاء في الدولة، وإلغاء المحاكم الشرعية...إلخ؛ ومن ثم جاءت العديد من كتبه وأعماله تحتوي على الحجج القانونية الشرعية الممتازة، والتي تطالب بالعودة إلى المنابع الشرعية والتراثية.

ويمكن للقارئ غير الملم أن ينتقده بشدة على ذلك، وأن ينعته بأنه عالم محافظ متزمت يحاول أن يفرض سلطته بدون جدوى لإيقاف «التقدم» الذي بدأ. ولكن خانجيتش، حسب اعتقادي، لجأ إلى سلطة منابع الأسس الإسلامية، وإلى سلطة القيم التراثية لصد هذا «التقدم» الذي خيم على البشانقة كخطر حقيقي. بشكل أدق، فإن خانجيتش كان على درجة عالية من الذكاء مكنته من فهم أن لب المشكلة لا يكمن في كون المسلم يضع «طربوشًا» أو «قبعة» أو أن يكون عاري الرأس، إنما لب المشكلة يكمن في هجوم عام من النظام الحضاري المختلف والغريب على التراث الإسلامي، وبدلاً من تأسيس علاقة متسامحة أو تنافس سليم مع القيم الإسلامية والتراثية البوشناقية يقوم بعدوان شرس عليها.

ويرى خانجيتش أن تغيير القيم البوشناقية والقواعد الإسلامية يعتبر خطرًا مصيريًّا يسمى «فقدان الهوية»، وكان ضد «الزواج المختلط» بالرغم من أنه يعرف أن الشرع يسمح للمسلم أن يتزوج من غير المسلمة؛ لأنه يعتقد وبحق أن مثل هذا الزواج في هذه الظروف المصيرية سوف يسبب آثارًا معاكسة، فمثل هذا الانفتاح سيكون بشكل دائم على حساب المسلمين فقط.

كان يعارض بشكل عام إعادة تفسير وبحث المسائل الشرعية الحقوقية، والتي كانت تُثار حتى داخل المشيخة الإسلامية، بهدف فصل ما يسمى في الشرع «الأمور الهامة» من «الأمور غير الهامة»، بحيث يتم تغيير تلك التي تسمى «غير هامة». وقد وصف خانجيتش هذا الأمر بأنه تقويض للأسس الشرعية عامة.

نستنتج مما سبق أن خانجيتش لم يدافع معتمدًا على سلطة منابع الأسس الإسلامية والقيم التراثية (التقاليد والتراث لدى البشانقة)؛ وإنما دافع بهما ضد التهديد الحقيقي للهوية والتطبيق الإسلامي. إن ما يسمى منهجه «التقليدي» هو في الحقيقة تأكيد على القيم التراثية بهدف مواجهة «التحضر السلبي» الذي يدمر بشكل منظم وبعيد المدى «هوية» شعب بأكمله، هو أصلاً مهدد في الدرجة الأولى لأن كامل ثقافته بقيت مكتوبة باللغات الشرقية التي أصبحت غريبة عنه، والتي يحاول الغير إنكارها بزعمهم أن هذه الثقافة ليست بوشناقية؛ فيتيحون المجال لزحف «التحضر» الذي يتسم بالكراهية نحو التقاليد والتراث البوشناقي والقيم الإسلامية.

من الخطأ تصور خانجيتش وهو يضع العمامة بأنه «أفندي» بكل ما لهذه الكلمة من مفهوم خاطئ، أو كرجل تقليدي متحجر، على العكس فإن العمامة قد أحاطت برأس عالم وقور عرف الماضي العريق وفهم العصرية الجديدة، وباحث عن رابطة بينهما من أجل المستقبل الذي يمتلك مسارًا سلبيًّا توقع خانجيتش في مؤلفاته حدوثه، وصحت توقعاته اليوم.

وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن مؤلفات خانجيتش وجميع اتجاهاته التربوية المؤثرة لم تنل الاهتمام الذي تستحقه، فخانجيتش معروف لدى شريحة معينة من المتخصصين، أو عدد من علماء اليوم داخل المشيخة الإسلامية؛ لذلك فنحن مَدينون لخانجيتش، وعلينا: أولاً أن نخرج أعماله خارج الإطار الأكاديمي ليصل هو وتصل أعماله إلى الشريحة الواسعة من الجمهور، وثانيًا تفسير أعماله بشكل متماسك وواقعي بدون تمجيد لا أساس له، وبدون توقعات كبيرة من أعماله، وفي نفس الوقت الاحترام الكبير للحقبة التي وجد فيها، والظروف التي أحاطت به خلال أعماله التربوية، والوعي الذي أظهره للحقبة، والآنية التي عاشها، والأهمية التي شعر بها تجاه مهمته.

إن الوعي التربوي المرهف - في تفسير القواعد الحقوقية الشرعية أكثر منها في الأمور الفقهية -كان واضحًا في أبحاث خانجيتش الخاصة بالتراث البوشناقي المكتوب باللغات الشرقية، مما يُغني سيرته كمربٍّ ممتاز، تمكن من اكتشاف وتقييم وتفسير الماضي وتأثيره على حاضره، وبالتالي نقله للمستقبل. وإن هذا النوع من أعمال خانجيتش يزداد أهمية بسبب ما ذكرناه سابقًا من قطع للجذور البوشناقية الثقافية بإغلاق التراث الثقافي الغني للبوشناق المكتوب باللغات الشرقية، ومن خلال قطع خطير للثقافة التاريخية، ومحاولة خلق تيه تام لشعب كامل؛ لذلك فلا داعي للعجب من كثرة أعمال خانجيتش الخاصة بالتراث الأدبي، والتي كثيرًا ما يشكل فيها محكمته الخاصة كعالم ديني خبير ومخول لإصدار الأحكام في الشئون الدينية.

لقد عرف خانجيتش – بحس المربي العصري – أن التراث الأدبي المكتوب باللغات الشرقية – وثقافة البوشناق عمومًا – موثوق به، ويعتبر أفضل دليل ضد كل محاولات إحلال وتفكيك الهُوية التاريخية، أي أن هذا التراث يضمن للبوشناق معقلاً مضمونًا وضروريًّا ومستقبليًّا ويقينًا لهويتهم القومية. وبمقارنة أعماله هذه التي لها أهمية تاريخية مع باقي أعماله كالوعظ مثلاً، نرى أن الأعمال الوعظية تعتبر قاصرة، مع أننا لا نستطيع أن ننكر خواصها التربوية. وهذا سبب كافٍ لكي نولي الاهتمام اللازم بأبحاث خانجيتش للتراث البوشناقي المكتوب باللغات الشرقية.

لا يمكن دراسة أي من الفروع الإنسانية في العالم الإسلامي التقليدي بدون الإبحار في فنون اللغة والبلاغة والخطابة والشعر، فلا يمكننا تصور أي بحث للعلوم الدينية بدون استخدام هذه الفنون اللغوية، وذلك لوجود هذه الفنون الأدبية في القرآن الكريم والحديث الشريف؛ وهكذا ألمَّ خانجيتش بهذه الفنون خلال دراسته في جامعة الأزهر الشريف العريقة التي تأسست عام ٩٧٢م، بالرغم من أن مجال دراسته الأساسي هو علم الحقوق الشرعية.

هذا الطالب الفتي، الذي لا يزال في مرحلة الشباب المبكر (لم يكمل ٢٤ سنة من عمره) أصدر في القاهرة عملاً باللغة العربية (عام ١٩٣٠م) تحت عنوان «الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة»، لقد وقف خانجيتش بهذا الكتاب الذي يحتوي على ١٤٠ صفحة أمام باب الموسوعة الدولية، ولكن الأهم

من ذلك أنه أدخل، ومن الباب الكبير، الأدب البوشناقي باللغات الشرقية إلى الاهتمام العالمي، وخاصة إلى أعمال علماء مثل كارل بروكليمان وفؤاد سزكين وفاريز بابينجر وغيرهم.

فالمبدعون البوشناق المتمثلون بخانجيتش دخلوا إلى بهو الآداب العالمية بفضل كون اللغة العربية لغة عالمية، فالشاب خانجيتش كتب بلغة عربية فصحى، واختار عنوانًا مجازيًّا، وبحس مرهف للمعايير الأدبية التقليدية يُدخل التاريخ الأدبي البوشناقي إلى العالمية من خلال «الجوهر الأسنى» المكتوب بسلسلة من «الكريستال» للمبدعين البوشناقيين العظماء باللغات الشرقية. وقد استطاع الكاتب البوشناقي «باشأغيتش» قبل خانجيتش بعقدين أن يفعل شيئًا مماثلاً بإدخال التراث البوشناقي إلى الساحة العالمية عبر باب اللغة الألمانية.

الأهمية المتعددة لعمل خانجيتش

قبل كل شيء، جذب خانجيتش في حينه - بطريقة السيرة الذاتية المفهرسة - انتباه الرأي العام الأدبي العالمي إلى وجود آداب كاملة غنية بالتراث مهددة بالانحسار إلى عتمات التاريخ. يجب الاعتراف بأن باشاغيتش من خلال اللغة الألمانية وخانجيتش من خلال اللغة العربية هما من أول من حركا اهتمام العلماء في مختلف بقاع العالم لاستكشاف التراث باللغات الشرقية، وكذلك أول من أسسا قسم الاستشراق البوسني، الذي درس واستكشف التراث البوشناقي باللغات الشرقية بطريقة علمية.

عندما تقرؤون اليوم «الجوهر الأسنى» ينتابكم إحساس غير مريح بسبب طريقة «السير الذاتية المفهرسة» المملة للعمل، الذي يقتصر على «سرد الحقائق»، بالإضافة إلى إدخال غير متوازن لمقتبسات أدبية تفتقر إلى السياق والتقييم. يكمن سبب هذا الإحساس في التقدم الكبير الذي حدث منذ عام ١٩٣٠م حتى يومنا هذا في استكشاف التراث البوشناقي باللغات الشرقية من ناحية البنية والتصنيف وطرق التعامل معها. ولكن مثل هذا الإحساس الذي ينتاب القارئ هو إحساس غير عادل وغير صحيح من الناحية الأدبية – التاريخية؛ لأنه من الضروري عند قراءة هذا العمل الأخذ بعين الاعتبار الأمور التالية:

١) قبل باشاغيتش وخانجيتش لم تكن هناك أي دراسة علمية ومنهجية للتراث البوشناقي باللغات الشرقية، ولم يكن هناك وعي عام بأهمية ذلك.

٢) الجهل الكامل بالتراث الغني والعريق الذي كان سائدًا، فإن باشاغيتش وخانجيتش كانا يعتبران الرائدَيْن في استكشاف هذا التراث العريق.

٣) إن التعامل الإيجابي مع التراث المكتوب باللغات الشرقية في أسلوب خانجيتش السردي (السير الذاتية المفهرسة) كان فعالاً؛ لأن الطريقة السردية (سرد الحقائق) تنفي أي شك حول وجود هذا التراث الغني باللغات الشرقية، فطريقة خانجيتش هذه في تلك الحقبة المصيرية كانت ضرورية.

٤) في عهد خانجيتش وكذلك في عهد باشأغيتش لم تكن هناك مؤسسات تختص باستكشاف التراث البوشناقي المكتوب باللغات الشرقية. إذًا لم تكن هناك أي خبرات منهجية في استكشاف ذلك التراث؛ مما يعني أن باشاغيتش وخانجيتش هما أول من وضع أسس المؤسسات التي تعمل في هذا المجال، وأظهرا بأعمالهما تلك بدون أدنى شك حجم وأهمية ذلك التراث، وبالتالي ضرورة دراسته بطريقة مؤسسية.

٥) إن عمل خانجيتش الفتيّ - ورسالة الدكتوراه لباشأغيتش في فيينا عام ١٩١٠م، والتي تخص التراث البوشناقي المكتوب باللغات الشرقية- فتح باب الاهتمام بالبحث العلمي للتراث البوشناقي المكتوب باللغات الشرقية، وذلك في أهم دائرتين - على الأغلب - وهما: الدائرة الشرقية / الإسلامية (باللغة العربية)، والغربية / الإسلامية (باللغة الألمانية)، والأولوية هنا للمدرسة اللغوية الألمانية الناضجة.

إذًا ليس من العدل الحكم على كتاب خانجيتش «الجوهر الأسنى» من منظور دراستنا للتراث البوشناقي وبالطرق والخبرات السائدة اليوم — التي لا تزال ذات طبيعة لغوية - ولا من منظور الدراسات المعاصرة لبعض المؤلفين التي تتعامل بطرق مصطنعة مع التراث من خلال درجات محددة لموضوع المادة، والتي ساهم فيها خانجيتش نفسه بشكل كبير.

إن أهمية عمل خانجيتش هذا وبعض أعماله الأخرى المُكرسة للتراث، من خلال ما سردناه، أدت إلى تحريك عملية لما يكن أحد ليتخيل بُعدها في تلك الفترة. بسبب هذه الجدارة (تحريك هذه العملية الهامة لدراسة التراث) يستحق عمل خانجيتش الطليعي الحصول على أعلى درجات التقدير.

في الحقيقة، إن خانجيتش بأعماله الأدبية/التاريخية فتح بالكاد الباب للاطلاع على التراث البوشناقي باللغات الشرقية، فهو لم يتمكن من الإبحار في هذا التراث ليتمتع بكل ثرائه ويضع نظام تقييم له. وكان يعي أن حياة الفرد لن تكون كافية للتوصل إلى نهاية مقدمات التراث؛ لذلك فقد سعى بكل قوة ليقدم لنا بطريقة سردية (السير الذاتية المفهرسة) أعمال العشرات من الأدباء والعلماء البوشناق. وبدون شك أنه خلال حياته القصيرة نسبيًّا، والتي مارس فيها العديد من ألوان التحقيقات فتح أهم باب أمام باقي عشاق التراث البوشناقي.

لقد بدأت العملية بدون توقف، وازدادت سرعتها وحجمها مع الوقت منتجة كفاءات جديدة، ستزيد لاحقًا من الثقة القومية والكبرياء الثقافي والكرامة، أي ستقلل فقدان الثقة بالنفس في كوكبة القوى السياسية الجديدة، على عتبة عصر جديد، وفي حديقة دائرة حضارية أخرى. إذا راقبنا من هذا المنظور فإننا نرى وبدون شك أن أهم أعمال خانجيتش الكتابية تلك التي تهتم بتاريخ الآداب وتاريخ البوشناق عامة، وأن أثرها دائم وأعمق وأقوى من سرد وعظ إيحائي تلقائي.

مؤلفات خانجيتش ودراماتيكية «المفترق»

إن هذا الجزء المختار من أعمال خانجيتش - المقدم هذه المرة بطريقة أكثر إقناعًا - يعتبر أفضل تحدٍّ للرد على المحاولات القصيرة النظر أو المغرضة التي تحاول إظهار خانجيتش «كتقليدي متصلب». إن استكشاف التراث المكتوب باللغات الشرقية وتاريخ البشانقة عمومًا يعتبر في الحقيقة أفضل طريقة لإدخال الماضي إلى الحاضر، وتوجيه الثاني أي الحاضر - بأجنحة النتائج الباهرة للماضي- إلى الأمام. وقد أظهره بهذه الصورة (تقليدي متصلب) أولئك المعاصرون الذي ساووا بين التقدم بكل ما يتطلبه من «التَّأَوْرُب» الذي يشمل على وجه الخصوص إبادة التراث الموروث من الدوائر الثقافية الشرقية/الإسلامية.

في الحقيقة، يمكننا تعريف الانطباع العام لمؤلفات خانجيتش على أنها نوع خاص من الدعوة إلى التصالح القيم والتكامل للحضارتين (الشرقية والغربية). فخانجيتش طوال حياته كان على اتصال مكثف بالعالم العربي/الإسلامي، خاصة القاهرة، في نفس الوقت كان يلم تمام الإلمام بكل الضرورات الاجتماعية والثقافية الناتجة عن حقيقة أنه يعيش على حافة التماس بين حضارتين: واحدة بدأت تتقلص ببطء، والثانية تتوسع بسرعة، مع احتمال كبير أن تقوم الثانية (الأوروبية الغربية)، بتغطية كل قيم الحضارة الشرقية التي تلألأت لقرون عديدة بطميها، وفي هذا المفترق التاريخي والثقافي نما وتطور وعي خانجيتش التربوي.

إن حيوية وعيه أو صفاءه ووضوحه كان متعلقًا بدراماتيكية «المفترق»، وبإحساسه بضرورة التغلب على هذه الدراماتيكية. إن هذا التعرض التاريخي للمفترق ولَّد جوهريًّا مؤلفات خانجيتش، سواء من حيث الكم أو من حيث الأسلوب ونظم التقييم. بتعبير آخر، في تلك الحقبة لم تكن الشروط جاهزة لتأملات عميقة ولاجتهادات علمية كبيرة، ومع ذلك كان من المفروض التأثير تربويًّا؛ لذلك ظهر محمد خانجيتش كمربٍّ ممتاز في الوعي والمزاج.

إن إدراك خانجيتش بالجذب الدراماتيكي الأوروبي للكيان القومي البوشناقي بهدف إبعاد التراث والإبداع الذي تألق لقرون عديدة باللغات الشرقية، ووعيه بأهمية صقل ذلك التراث يتضح جليًّا في المقدمة التي كتبها في بدايات أعماله حول التراث، من خلال الأعمال الأدبية لمسلمي البوسنة والهرسك – (سراييفو عام ١٩٣٣م). إن العالم المعاصر يفتخر بكونه يعيش في القرن العشرين وبالتسامح الديني – كما يقولون – وخانجيتش يكتب في عمله المذكور: لا يمكن للدين أن يمثل عائقًا يمنع اعتبار الأعمال الأدبية للكُتَّاب المسلمين جزءًا من الآداب البوسنية. فكما يأخذ تاريخنا الأدبي بعين الاعتبار الأعمال الخاصة بالديانة المسيحية، عليه أن يعتبر الأعمال الخاصة بالدين الإسلامي باللغة العربية أو التركية أو بأي لغة أخرى، جزءًا من هذا التاريخ.

من شبه المستحيل في تلك الحقبة – التي تتسم بالتوجه الحصري نحو أوروبا – تصور وجود وعي بضرورة استكشاف الآداب المكتوبة باللغات الشرقية.

في الوقت نفس بلفتة سريعة إلى تأملات خانجيتش الواسعة نرى أنها تشهد له بتفوق أسلوبه المرهف، الذي يشير لشيء هام جدًّا، لم يتمكن معاصروه المعقدون والمرهقون بالتعصب الديني من ملاحظته، وهو رفض حصر دراسة التراث الأدبي في أطر دينية أو عرقية؛ لأن الأدب في مراحله التاريخية كان ينتشر كنظام للقيم العالمية، أسمى من أن يرتبط بالعِرق أو أن يدين بدين، حتى لو كانت الحوافز الدينية أو العرقية قد ساهمت في خلقه (هذه الصفة تسري على القيم الأدبية الأصلية لا على خُدّام الأيديولوجيا). استطاع خانجيتش في عمله هذا أن يبرز فكرة «الآداب البوسنية» والتي كتبت بعضها باللغتين اللاتينية والإيطالية وكذا باللغات الشرقية.. إذًا فخانجيتش يدعو إلى نهج أدبي تاريخي جيد يستبعد النقد غير الجوهري.

لم نكن لنتوقع من خانجيتش أكثر مما قدم، فقد توصل إلى مستوى يحسد عليه في تلك الحقبة، ففي تعامله الشخصي مع التراث الأدبي باللغات الشرقية استخدم نوعًا من طرق الفيلولوجيا (فقه اللغة)، علينا أن نعرفها ونشرحها باختصار، أخذًا بالاعتبار عملين أساسيين هما: «الجوهر الأسنى»، و«العمل الأدبي لمسلمي البوسنة والهرسك».

يتم تصنيف أعمال خانجيتش الخاصة بالتراث الأدبي على أنها أعمال فيلولوجية تكون مهمتها الأساسية، وغالبًا الوحيدة، في تسجيل واكتشاف المؤلفين والأعمال المكتوبة باللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية) غير

المعروفة حتى حينه، فهو يؤكد تأليفها، بمعنى أصح يؤكد أصالتها، ويقوم بتنقيتها من الأخطاء التي أضيفت إليها بدون قصد من قبل المستكشفين السابقين. بالإضافة إلى ذلك يقوم خانجيتش أحيانًا بذكر اقتباسات منها. وبشكل أدق يكتفي خانجيتش بتحديد السيرة الذاتية للكاتب مع ذكر أعماله (طريقة السير الذاتية المفهرسة)، وفي الهامش يقوم بذكر ظروف الحقبة التي ظهر فيها المُؤَلَّف، ودرجة التعليم التي توصل إليها المؤلِّف... إذًا فأعمال خانجيتش الخاصة بتاريخ الآداب تمثل نوعًا من القواميس.

والحديث عن استكشافات خانجيتش لتاريخ الآداب على أنه تعامل منهجي فيلولوجي لهذا التاريخ سيكون مشروطًا؛ لأن الترجمة الفيلولوجية في هذه الحالة غير مكتملة. بشكل أدق، إن هذه الطريقة الفيلولوجية غير المتطورة تتعثر عند ذكر المهام الفيلولوجية الهامة (اكتشاف العمل، تأكيد عمره وقدمه، تأكيد أصالته، وضع وتجميع السيرة الذاتية للمؤلف... إلخ)، من المفروض أيضًا تحليل الوسط الأدبي والثقافي الذي ولد فيه العمل، وذكر المتوازيات، وتحليل المؤثرات عليه.

من هنا نرى أن عمل خانجيتش المُكرّس للتراث البوشناقي المكتوب باللغات الشرقية هو عمل ذو طبيعة استكشافية أكثر منه علمية تحليلية، ولكن من الضروري التنويه إلى أن عمله ذو أهمية عظمى بالرغم من عدم نجاحه في

شرح القيمة الأدبية للتراث، إلا أنه أعد الأرض الخصبة للأجيال القادمة للقيام بذلك.

من ناحية شرح القيمة الأدبية للتراث البوشناقي المكتوب باللغات الشرقية فإن خانجيتش وللأسف بقي خلف باشأغيتش؛ لأنه لم يكن يمتلك الموهبة الأدبية والإحساس النقدي المرهف الذي كان يتمتع بهما باشأغيتش، ولكنه استكمل الدائرة التي عمل فيها باشأغيتش، خاصة في مجال (طريقة السير الذاتية المفهرسة). يجب التنويه كذلك إلى أن الطريقة الفيلولوجية التي استخدمها خانجيتش بقيت تستخدم بعده لعشرات السنين بالحجم الكافي لإجراء جرد كامل للتراث من قبل عدة أجيال لاحقة. حتى إن عمل المؤلف حازم شعبانوفيتش الذي لا غنى عنه وهو «آداب مسلمي البوسنة والهرسك باللغات الشرقية» عام ١٩٧٣م؛ لا يختلف نهائيًّا من الناحية المنهجية عن أعمال خانجيتش الخاصة باستكشاف التراث.

وحتى يومنا هذا فإن المؤلفين البوسنيين العاملين في مجال استكشاف التراث البوشناقي المكتوب باللغات الشرقية يستخدمون جزئيًّا منهجية خانجيتش؛ لأنها تُعتبر ضرورة بالنظر إلى درجة المادة المستكشفة (وأقوى دليل على ذلك أنه حتى يومنا هذا يتم نشر مخطوطات مكتوبة باللغات الشرقية في البوسنة والهرسك).

خانجيتش.. مترجمًا

يوجد في مؤلفات خانجيش جانب آخر يستحق اهتمامًا خاصًّا لكونه يؤكد التراث المكتوب باللغات الشرقية، وفي نفس الوقت يعتبر دليلاً هامًّا للأجيال القادمة، وهو اهتمامه بأعمال الترجمة من اللغتين العربية والتركية، بالرغم من عمره القصير نسبيًّا، واختار أهم المبدعين البوشناق في هاتين اللغتين، ولا يزال هناك الكثير من ترجماته من اللغة العربية التي لم تنشر بعد (انظر قائمة فهرس كتاباته).

وترجمات خانجيتش عمومًا تعتبر جيدة جدًّا، ليست فقط لأنها تتمتع بثقة المطلع عليها، لكون خانجيتش قد أتقن بامتياز لغات المصدر، إنما أيضًا لأنه نقلها إلى اللغة البوسنية بطريقة سلسة وسهلة، غير محمل بأعباء بلاغة المصدر، بالإضافة إلى كونه لا يقيم علاقة ترجمة مع المصدر فحسب، إنما علاقة لشخص متعلم مُلم، يستشعر في بعض الأحيان الحاجة لإدخال تفسيرات مؤكدة ونافعة جدًّا.

إن المتذوقين حتى يومنا هذا ينبهرون عندما يقرؤون ترجمة خانجيتش لأعمال «بروشتشاك» (سلسلة العلماء حتى آخر الأنبياء، وجنان النعيم على أسس الإيمان)، وخاصة تعليقاته التي تعتبر دراسة بحد ذاتها.

الجدير بالذكر هنا أن ترجمات خانجيتش للشعر لا تعتبر نموذجًا؛ لأن الأشعار تكون متميزة في لغتها الأم، ويتم ترجمتها بلغة نثرية. ولكن لا يمكننا

إنكار ذلك عليه؛ لأن مثل هذه الترجمات النثرية حدثت كثيرًا بعده، ومن عدد كبير من المستشرقين العالميين.

إن ترجمات خانجيتش - كما هو حال باشأغيتش مع وجود اختلاف نوعي كبير - تمثل علاقته الخاصة بالتراث الذي تحدثت عنه سابقًا، بأنه الدليل للأجيال اللاحقة. أي أن ترجمات خانجيتش الأدبية تغير الانطباع العام حول طريقة تعامله مع التراث، والتي يمكننا تقديرها من خلال ما ذكرناه سابقًا على أنها طريقة (طريقة السير الذاتية المفهرسة) من خلال ذكره السيرة الذاتية لأحد المؤلفين وتعداد أعماله. ولكن هذا الطليعي (خانجيتش) أوْلى اهتمامًا خاصًّا بالترجمة التي يمكننا اعتبارها أولاً: أفضل توضيح للإبداع في اللغات الشرقية، وثانيًا: إعداد كاف للوضع القيم للتقاليد. ويقدم بذلك تعليمات واضحة للورثة بعده حول كيفية التعامل مع التراث البوشناقي القيم. إن حقيقة هذه العلاقة بالتراث تحدد بقوة شكل الاستكشافات اللاحقة للتراث المكتوب باللغات الشرقية.

إن عددًا كبيرًا من مستكشفي التراث استخدموا التحاليل الوضعية لخانجيتش وباشأغيتش لعشرات السنين، ونسجوها في كتب كثيرة، باستثناء القليل منهم الذين أغنوا وأضافوا لهذه التحاليل. ومع مرور الوقت نمت واتسعت المطبوعات الأدبية، ولكن الأدب المكتوب باللغات الشرقية لا يزال في معظمه مجهولاً، ولم تظهر قيمته الجمالية الحقيقية بسبب استعراضه بطريقة نسبية

و(طريقة السير الذاتية المفهرسة). حسب اعتقادي فإننا اليوم بأمس الحاجة للتعامل مع التراث المكتوب باللغات الشرقية بطرق منهجية وبوفرة، بهدف إظهار الجمال البياني الكامن. وبناء على ذلك نستطيع إنتاج صورة تاريخية متكاملة للآداب التي لا تزال للأسف الشديد بعيدة عنا. لو أن أجيال الاستشراقيين المحليين فهموا بجدية رسائل باشأغيتش وخانجيتش الترجمية، ولو أنهم تابعوا مسيرتهما، لامتلكنا اليوم الكثير من الأعمال المترجمة، ولاستطعنا أن نفهم هذا التراث القيم بسهولة وبجودة أفضل. إذًا لا يزال خانجيتش وباشأغيتش دائمًا المثال لنا في كثير من الأمور.

كما أن خانجيتش تابع بحماس كل ما يحدث في المجال الثقافي في عصره (في العالم العربي وفي المملكة اليوغسلافية)، ففي نتاجه عدد كبير من ردود الفعل، وتقييم للأعمال الهامة. فهو كمثقف كبير ومرهف الحس وذي مسئولية للإنتاج في عصره، كان يتفاعل علنًا وبحجج واضحة مع كل ما كان يعتقده هامًّا، كردود فعله على ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة البوسنية للمترجم كارابيك، أو الجدال العام مع رئيس العلماء صباهو. وفي جميع هذه النصوص بالإضافة إلى الاهتمام اللاهوتي والثقافي نرى الثقة والقوة النافذة.

آخر الأدباء

عند التفكير بخانجيتش في حقبته وأعماله في ذلك الوقت، نرى أن حُكمًا يفرض نفسه عليه كآخر أديب بوشناقي حقيقي، وأقصد كأديب بالمعنى التقليدي الشرقي/الإسلامي.. فهو متذوق ومتعلم، ومتمكن في مجالات عدة، ومخلص للكتابة لدرجة الإفراط، ووصل إلى النزعة التاريخية المتعددة والمثالية. ولكن العلموية بمعناها الكامل كانت تفر منه باستمرار بسبب أدبه المتعدد الأوجه، فمن الواضح أن السمات التي كان يتصف بها ضرورية في بعض الحقبات التاريخية، وهي سمات لابد من وجودها في مربين كبار كما كان محمد خانجيتش.

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار - ونحن نطلع على حياة خانجيتش - تلك الهيمنة التربوية/التعليمية على أعمال خانجيتش المتعلقة بالكتب المدرسية التي ألفها في المدارس التي عمل بها لسنوات عديدة، مدرسًا في مجال الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام. لقد أعيد طباعة كتبه تلك مرات عديدة، حتى بعد وفاته بسنوات كثيرة، من المؤكد أن سبب إعادة طباعة تلك الكتب يرجع إلى الجودة التي تمتعت بها، ولكن أيضًا - والحق يقال - بسبب الكسل الروحي، الذي يعاني منه العاملون في هذه المجالات، فهم غير مهتمين بالتأليف كما كان خانجيتش مهتمًّا.

إن طباعة كتب خانجيتش لعشرات السنوات بعد وفاته تشهد بالكفاءة التي كانت تتمتع بها كتبه خلال فترة حياته، وكذلك تبين لنا مدى كفاءة العصر الذي نعيش فيه؛ لأنه – بدون أدنى شك – لو كان لدينا اليوم خانجيتش آخر، لما أعيد طباعة كتب كانت تدرس لتلاميذ عاشوا في حقبة ما قبل الحرب العالمية الثانية. نتبين من ذلك مرة أخرى وعي خانجيتش بأهمية القلم، على عكس الكثيرين في حينه واليوم الذين كانوا يهتمون بـ«المعرفة» لا بـ«القلم».

مختارات من كتاباته

١- انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك وأصول مسلمي البوسنة والهرسك

يوضح المؤلف فيه أن البشانقة في البوسنة والهرسك قد قبلوا الإسلام أثناء العهد العثماني، مشددًا على الحقائق التاريخية التي تؤكد أن البشانقة دخلوا الإسلام طوعًا دون أي ضغط أو إجبار، خلافًا لما زعمه البعض، الأمر الذي يوضح أيضًا أن مسلمي البوسنة تركوا دينهم الأصلي «البوغوميلية»، وقبلوا الإسلام وأن أصولهم وجذورهم في أرض البوسنة، أي أنهم سكان أصليون، وليسوا مهاجرين أو مستوطنين.

٢- السبب الرئيسي لدخول «البوغوميلي» في الإسلام

كانت هناك خصائص في دين البشانقة القديم «البوغوميلية» توافق إلى حد ما مبادئ الإسلام الحنيف، أكثر مما كانت توافق الديانة المسيحية التي كانت تعادي «البوغوميلية». إن هذه الحقيقة تبين السبب الأساسي لاعتناق البشانقة الإسلام.

٣- وضع غير المسلمين في الدولة الإسلامية ومقارنته بالوضع الحالي

يزعم البعض أن وضع المسيحيين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية صعب جدًّا؛ لأنهم يعيشون تحت ضغط دائم، إلا أن المؤلف يفسر أن الشريعة الإسلامية والواقع في البلاد الإسلامية يشهدان على عكس ذلك.

٤- وضع المرأة في الإسلام

يوضح المؤلف أن وضع المرأة في العائلة والمجتمع، وفقًا للقرآن الكريم والشريعة السمحة، ليس متخلفًا، كما يريد البعض أن يظهره، ضاربًا أمثلة تاريخية إسلامية تشهد بأنه كان للمرأة دور كبير في مجالات مختلفة من الثقافة والعلم وغيرهما.

٥- هل يمكن للمسلم أن يعيش حياة الأوروبيين ويبقى مسلمًا جيدًا؟

يحاول الكثيرون أن يبينوا أن المسلم لا يمكن أن يعيش في أوروبا المتحضرة لأنه متخلف بطبيعته، وبكل ما يقيده من تعاليم قديمة، ويبين الكاتب عكس ذلك.

٦- اللاموضوعية إزاء الإسلام

يتناول المؤلف آراء ومواقف المستشرقين الذين يفترون على رسول الله ﷺ، كما يفترون على الإسلام عمومًا. ويتحدث عن القومية والجنسية في الإسلام الحنيف.

٧- ملاحظاتي أثناء جولة قصيرة في الجنوب

يبسط المؤلف انطباعاته وملاحظاته عن الحياة الإسلامية والثقافة الإسلامية خلال جولته في كوسوفو ومقدونيا، مؤكدًا على وجود صلات واتصالات قوية بين المسلمين الذين يعيشون في يوغسلافيا.

٨ – تجربة جامع !

يحلل خانجيتش في هذا النص القصير تحول الجامع إلى كنيسة، وهذا حال كثير من المساجد.

٩ – استخدام القصص بهدف الدعاية

يذكر بعض الأمثلة على استخدام الدعاية الأرثوذكسية القوية ضد المسلمين

١٠ – التعليم الديني في البوسنة والهرسك

كانت المدارس الدينية في البوسنة والهرسك كثيرة، إلا أن عددها أصبح قليلاً جدًّا أثناء العهد الشيوعي. لذلك كان الطلاب الذين يريدون تلقي التعليم العالي مضطرين للسفر إلى إستانبول والقاهرة لمتابعة تعليمهم. يقوم المؤلف بتحليل البرامج والمواد التدريسية في المدارس الدينية البوسنية، أملاً منه في تأسيس كلية إسلامية في يوغسلافيا.

١١– بمناسبة ما كُتب حول الإصلاحات الخاصة بمنهاج التعليم الابتدائي الديني

في مرحلة تنظيم التعليم الديني الابتدائي كان البعض من ذوي السلطة والسطوة يصرون على إلغاء تدريس الأبجدية العربية تمامًا، وكانوا يطالبون بكتابة نص القرآن الكريم بالحروف اللاتينية. يفسر خانجيتش هذا الموقف بأنه خطأ كبير وخطير.

١٢- دور العلماء بين أفراد الشعب

يعتبر المؤلف أن زمنه هو زمن الأزمات، لذلك يجب تعزيز دور العلماء بين الشعب. ويذكر نهوض علماء الدين في العالم الإسلامي، ويطالب بضرورة قيام علماء الدين في البوسنة والهرسك باللحاق بالنهضة الإسلامية في العالم.

١٣- و ١٤ - التحية أو «السلام» في الإسلام

خلال العهد الشيوعي كان المسلمون يتجنبون استخدام تحية الإسلام (السلام عليكم)؛ لأن هذه التحية تبين انتماءهم للإسلام، فبدلوا تحيات أخرى بهذه التحية، إلا أن خانجيتش يشرح أهمية هذه التحية لدى المسلمين.

١٥- التكايا (الزوايا) في يوغسلافيا

يوجد في يوغسلافيا التي عايشها خانجيتش تكايا كثيرة، إلا أن الشيوخ في بعضها ليسوا بالمستوى المطلوب من الناحية العلمية والدينية... إلخ. ينتقد خانجيتش هذه الحالة في التكايا اليوغسلافية.

١٦- قضية «أصحاب الإفتاء»

يتناول المؤلف قضية المفتين في يوغسلافيا الاشتراكية. بمعنى: هل هناك حاجة إليهم في المجتمع؟ يوضح الكاتب أن لهذا السؤال وجها سياسيا ووجها دينيًّا، وهو يتناول الوجه الديني.

١٧- تفسير المسائل الشرعية عندنا

يناقش خانجيتش العالمَ البوسنوي «فهيم سباهو» حول بعض المسائل الشرعية في العصر الحديث، مثل: الربا، وتحديد الرؤية الشرعية للأهِلَّة أو علم الفلك.

١٨- حول «الخطبة»

يتناول المؤلف موضوع خطبة «الجمعة»: أركانها، محتواها، التزاماتها، واتصالها بالحياة الحديثة.

١٩- تجديد الإسلام.. شرح لحديث الرسول ﷺ

يأخذ المؤلف في شرح الحديث الشريف لرسول الله ﷺ الذي ينص على «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن مَن يجدد لها دينها»، ويأتي بأسماء العلماء البارزين الذين اجتهدوا في تاريخ الإسلام، ويهتم المؤلف بصورة خاصة بأمر تجديد الإسلام في البوسنة والهرسك.

٢٠- الشباب والكهول

هناك تناقض بين أجيال الشباب والكهول. البعض يفضل جيل الكهول الشيوخ، والبعض الآخر يفضل جيل الشباب. يعتقد خانجيتش أن هذا الانفصال بين الأجيال أمر سيئ، ومن الضروري تعاونهم، واحترام بعضهم بعضًا لتقدم المجتمع ونموه.

٢١ - زيارة «شَعرة السعادة»

لقد أُحضِرت «شعرة» إلى سراييفو، ووضعت في زجاجة، وقيل إنها من لحية رسول الله ﷺ، فانتشرت بين المسلمين بدعة زيارتها في ليلة القدر. يكتب خانجيتش حول هذه البدعة التي تسيء للإسلام، ويطالب بتركها، وترك أمثالها من البدع.

٢٢ - تحريم الإسلام دعوة الأرواح وطلب العون منها وزيارة الأضرحة والكنائس لتلك الغاية

يتناول المؤلف دعوة الأرواح والموتى، والتي تعتبر من البدع والعادات التي لا تمت للإسلام بأي صلة، بل هي تسيء للإسلام الحنيف.

ختامًا

بعد كل ما قيل عن أعمال خانجيتش، يتبقى وجود دَيْن جماعي، يطالبنا بالعمل على نشر أعماله بشكل أوسع، والتي - كما ذكرت سابقًا - تعتبر حبيسة جدران المكاتب الضيقة. فبعد تنظيم ونشر أعماله «الأعمال المختارة» في ستة أجزاء، والتي نُشرت في (أجليدالو، سراييفو، ١٩٩٩م)، فإن نشر هذه الأعمال المختارة لخانجيتش باللغة العربية يعتبر وفاء لبعض هذا الدين.

وخلال مهمتي هذه، التي تمثلت في تنظيم وإعداد النصوص المختارة لأعمال خانجيتش، استطعت أن أتبصر كل أعمال خانجيتش، وأن أعود لبعض أعماله مرات عديدة، لاتخاذ قراري الخاص بالاختيار، وتحديد المعايير الخاصة بذلك.

لقد أخذت بعين الاعتبار حقيقة أن هذا العمل سيُقدم للقراء خارج البوسنة والهرسك، وأن هذا العمل سيظهر في طبعة بارزة تمثل التراث الفكري الإسلامي المعاصر في العالم.

إن هذا المشروع العام استوجب استبعاد عدد كبير من أعمال خانجيتش في مختلف المجالات، مثل: تاريخ الآداب البوشناقية المكتوبة باللغات الشرقية، ولكني وجدت حاجة لذكر أهمية تلك الأعمال في مقدمتي هذه.

إن من بين المعايير التي وضعتها لاختيار النصوص، معيارًا أساسيًّا هو «المواضيع الإسلامية»، أو تلك التي استخدمها خانجيتش لتعريفنا بالواقع الإسلامي البوشناقي؛ لكونه عالمًا دينيًّا ذا منصب رفيع في الهيكل التنظيمي للمشيخة الإسلامية للبوسنة والهرسك. فنشاطه الكبير أثّر كثيرًا على تيار الفكر الإسلامي في البوسنة والهرسك، وكانت كتاباته تمثل الواقع الإسلامي في عصره بكفاءة، وحتى في دول يوغسلافيا السابقة.

كما كان لي هدف آخر وهو أن تكون النصوص المختارة من الحقبة التي كُتبت فيها، وأن تكون لها- قدر المستطاع - أهمية في عصرنا الحالي. نعم، إن هذا المعيار واسع وفضفاض لحد يسمح بضم بعض الأعمال التي تعتبر في عصرنا الحالي «أعمالاً شاحبة»، ولكنها كانت في حينها أعمالاً هامة، وبقيت حيةً بقدر ما لها صلة بواقعنا الحالي.

كان من الممكن إجراء اختيار مختلف عن هذا، بِناء على معايير وأولويات مختلفة، ولكن هذا الاختيار الأضيق نسبيًّا تم بناء على رؤيتي لمؤلفات خانجيتش، كمؤلفات نهضوية / تربوية بارزة.

أما بالنسبة لحكم الجمهور على اختياري لنصوص خانجيتش التي ستُنشر في هذا المشروع الدولي القيم، فلا يسعني في نهاية المطاف إلا ذكر الحديث النبوي الشريف «إنما الأعمال بالنيات»، كما كان خانجيتش يحب أن يقول.

فهرس بمؤلفات محمد خانجيتش

لقد تم نشر فهرس مؤلفات محمد خانجيتش، حسب علمي، باللغة البوسنية ثلاث مرات حتى الآن: من قبل الحافظ محمود ترايليتش: «فهرس مؤلفات الحاج محمد خانجيتش ١٩٢٨– ١٩٤٠م»، مجلة «الهداية»، العام الرابع، العدد ٤– ٥ و٦، سراييفو ١٩٤١م. (تم إعادة طباعة هذا الفهرس كطبعة منفصلة في المطبعة الحكومية، سراييفو ١٩٤١م)، ثم فهرس أعماله المنشور من عام ١٩٤١م حتى ١٩٤٤م في نفس المجلة، العام الثامن، العدد ٢ – ٣، وأخيرًا بشكل مقتطفات في «أعمال من الندوات العلمية حول الحاج محمد خانجيتش» (الهداية - اتحاد علماء الدين للبوسنة والهرسك سراييفو ١٩٩٦م). ثم نشر محمود ترايليتش أخيرًا «فهرس أعمال الحاج محمد خانجيتش» التي شملت الأعمال التي طُبِعت أو (أعيد طبعها) حتى عام ١٩٩٥م.

وبالإضافة لما ذُكِر، فقد نشر عثمان لافيتش «مخطوطات محمد خانجيتش في مكتبة الغازي خسرو بك»، الكتاب السنوي (مكتبة الغازي خسرو بك، الكتاب الثالث عشر - الرابع عشر، سراييفو ١٩٨٧م). وأشير إلى أن عمل لافيتش، يمكن أن يساعد الباحثين الدارسين لأعمال خانجيتش، حيث يوجد في هذه المجموعة بعض أعمال خانجيتش المكتوبة بخط يده والتي لم تنشر بعد، بالإضافة لعدد كبير من الأعمال المشهورة التي قام خانجيتش بنفسه بنسخها، متابعًا للتقليد البوشناقي العريق الخاص بنسخ الأعمال المشهورة. وقد وصفت

هذه المخطوطات في بحث لافيتش، وهي تستحق الاهتمام بسبب احتوائها على عدد كبير من الملاحظات التي كتبها خانجيتش على الهوامش.

إن فهرس ترايليتش نفيس كما هو قيم جهد هذا العالم المطلع، لقد كان هذا الفهرس ذا نفع كبير لي بالرغم من أنني كنت على اطلاع وثيق على تركة خانجيتش. ولكن عندما حصلت على تركة المرحوم خانجيتش الكبيرة من أسرته بهدف انتقاء مختارات من مؤلفاته، وجدت خلال قراءتي لكل عمل من أعماله أن فهرس ترايليتش يحتوي على عدد محدد - بشكل أدق يحتوي على نوع من الأخطاء لا تُقبل في الفهارس العلمية – ألا وهي الترجمات غير العلمية، فالمؤلف في ترجمة العناوين غالبًا ما وضع تفسيراته الشخصية في العنوان بدون أن يفصله أو يميزه بأي شيء عن العنوان الأصلي (على سبيل المثال: إبراهيم زكري (شاعرنا من أوجيتسة)، والعنوان الأصلي فقط هو «إبراهيم زكري»)، كما قام بتكييف جزئي للعناويين الأصلية مع المعايير الإملائية الحالية...إلخ. وقد احترمت بالكامل كل المعطيات البيبليوغرافية، كما وردت في الأصل، وقمت بتمييز تفسيراتي ضمن أقواس مربعة.

كما أنني وجدت عددًا من الأعمال التي لم ترد في فهرس ترايليتش، وأضفت كل ما استطعت الحصول عليه من كتابات خانجيتش في «الموسوعة الكرواتية» (زاغرب ١٩٤١م) في وحدات بيبليوغرافية مستقلة.

1928.

1. Osnivač Kaira i El-Azhera (Misao da je Slaven.) (الرأي حول الأصل السلافي لمؤسس القاهرة والأزهر) Novi Behar I, 19, 295-297.)[1]
2. Izvještaj Arapa o Slavenima. (روايات العرب حول السلافينيين) Novi Behar II, 1-2, 5-6.
3. Sat kod Arapa. (الساعة عند العرب) - Novi Behar II, 3, 41.
4. El Azhar. (الأزهر) - Novi Behar II, 7, 97-98; 8, 118-120.

1930.

5. Abū Bakr Aḥmad ibn al-Husayn al-Bayhaqi al-Šāfiʿī, Ḥayāt al-'anbiyā ṣalawāt Allāh wa salāmuh ʿalayhim ağmaʿīn. - Al-Qāhira, 1349. [1930.], 16 str. [Handzic je uradio komentare navedenom djelu.] [لقد كتب خانجيتش التعليقات على العمل المذكور].
6. Ibn Taymiyya, al-Kalim al-ṭayyib - min aḏkār al-Nabiyy ṣallā Allāh ʿalayh wa sallam. - Al-Qāhira, 1349. [1930.], 104 str. [Handžićeva redaktura i komentari hadisa u djelu al-Kalim al-ṭayyib - min aḏkār al-Nabiyy ṣallā Allāh ʿalayh wa sallam, autora ʿAbd al-Ḥalīm Ibn Ṭaymiyya, al-Qāhira, 1349.h.]. [ملاحظات خانجيتش وتعليقاته على أحاديث «الكلم الطيب من أذكار النبي» للكاتب عبد الحليم بن تيمية، القاهرة ١٣٤٩هـ].
7. al- Ğawhar al-asnā fī tarāğim ʿulamā' wa šuʿarā' Būsna - Maktaba al-Maʿāhid al-ʿilmiyya, Al-Qahira, 1349. [1930.], 142 str. 1931.(الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة)

1931.

8. Es-sunne. I. hadis. - Hikjmet III, 30, 175-176.
9. Koliko su Arapi doprinijeli otkriću Amerike (كم ساهم العرب في اكتشاف أمريكا؟) – Hikjmet III, 28, 117-120.

1932.

(١) تشير الأرقام الرومانية إلى سنة النشر، بينما يشير الرقم الثاني إلى العدد المنشور، والرقم الثالث إلى رقم الصفحات التي تم نشر العمل فيها.

أما النجمة أمام الرقم فهي تشير إلى أنني لم أتمكن من الاطلاع المباشر عليها، لذلك نقلتها عن مصادر أخرى.

إن النصوص أو الأرقام أو أي إشارات أخرى موجودة داخل أقواس مربعة هي لواضع هذا الفهرس.

10. Popravljanje zuba plonbiranjem i usticanjem zlatnih kruna sa šeriatskog gledišta. (Kratak rezime moga Arapskim jezikom pisanog djela zvanog "Bugjetut-talab fi taslihil-esnani ve šeddiha biz-zeheb"). (إصلاح الأسنان وشدها بالذهب من الناحية الشرعية - ملخص قصير لبحثي باللغة العربية والذي سميته "بغية الطلب في تصليح الأسنان وشدها بالذهب") - Hikjmet III, 35, 340-343.

11. Predavanje o muslimanskoj novoj godini - održano na novu godinu 1351. 7. maja 1932. u Gazi Husrevbegovoj medresi u Sarajevu. (محاضرة حول رأس السنة الهجرية – تم إلقاؤها في رأس السنة 1351هـ 7 مايو 1932م. في مدرسة الغازي خسرو بك في سرايفو) - Hikjmet III, 36, 357-360; III, 37, 13-16.

12. Es-Sunne. Drugi hadis. (الحديث الثاني) - Hikjmet III, 31, 202-205.

13. Essunne - Treći hadis; Četvrti hadis. (الحديث الثالث والحديث الرابع) - Hikjmet III 32, 236-238.

14. Essunne. Peti hadis; Šesti hadis. (الحديث الخامس والحديث السادس)- Hikjmet III, 33, 270-272.

15. Essunne. Sedmi hadis; Osmi hadis. (الحديث السابع والحديث الثامن)- Hikjmet III, 35, 326-329.

16. Essunne. Deveti hadis. (الحديث التاسع)- Hikjmet IV, 37, 12-13.

17. Essunne. Deseti hadis; Jedanaesti hadis. (الحديث العاشر والحديث الحادي عشر)- Hikjmet IV, 39, 70-72.

18. Essunne. Dvanaesti hadis; Trinaesti hadis; Četrnaesti hadis. (الحديث الثاني عشر والحديث الثالث عشر والحديث الرابع عشر)- Hikjmet IV, 40, 101-102.

19. Essunne. Petnaesti hadis; Šesnaesti hadis. (الحديث الخامس عشر والحديث السادس عشر)- Hikjmet IV, 41, 132-133.

20. Essunne. Sedamnaesti hadis; Osamnaesti hadis; Devetnaesti hadis; Dvadeseti hadis. (الحديث السابع عشر والحديث الثامن عشر والحديث التاسع عشر والحديث العشرون)- Hikjmet IV, 43, 196-199.

1933.

21. Rad bos[ansko]-herc[egovačkih] muslimana na književnom polju. - Glasnik Vrhovnog starješinstva vjerske zajednice Kraljevine Jugoslavije (عمل مسلمي البوسنة والهرسك في حقل الأدب – صوت الرئاسة العليا للتجمع

(الإسلامي الديني للمملكة اليوغسلافية) 1, 22-15; 2, 27-22; 3, 29-22; 6, 25-20; 7, 16-11; 8, 26-19; 9, 32-25; 10, 20-16; 11, 18-10; 12, 18-14.[1]

22. Da li treba musliman paziti na svoje odijelo i vanjštinu?. (هل يجب على المسلم أن يعتني بلباسه ومظهره الخارجي؟) - Hikjmet IV, 46, 292-293.
23. Essunne. Dvadeset i prvi hadis; Dvadeset i drugi hadis; Dvadeset i treći hadis. (الحديث الحادي والعشرون والثاني والعشرون والثالث والعشرون)- Hikjmet IV, 44, 229-231.
24. Essunne. Dvadeset i četvrti hadis. (الحديث الرابع والعشرون)- Hikjmet IV, 48, 358-360.
25. Essunne. Dvadeset i peti hadis. (الحديث الخامس والعشرون) - Hikjmet V, 49, 4-5.
26. Es-sunne. Dvadeset i šesti hadis; Dvadeset sedmi hadis; Dvadeset i osmi hadis. (الحديث السادس والعشرون والسابع والعشرون والثامن والعشرون)- Hikjmet V, 53, 129-133.
27. Es-sunne. Dvadeset i deveti hadis.(الحديث التاسع والعشرون) - Hikjmet V, 54, 163-165.
28. al-Iḥtifāl bi murūr arbaʿ mi'at ʿām li 'aʿẓam ǧāmiʿ fī bilād Yūguslāfiyā. (الاحتفال بمرور أربعمائة عام لأعظم جامع في بلاد يوغسلافيا)- Glasnik IVZ I, 4-5, 1-4.
29. odgoju djece sa uvodom u važnost vazova. (حول تربية الأولاد مع مدخل في أهمية الوعظ) - Glasnik IVZ I, 6, 1-6.
30. El-Kur'anul-hakimu. Kur'an mudri (prijevod i tumač). Treća knjiga. (ترجمة وتفسير . الكتاب الثالث)- Novi Behar VI, 24, 350-351. [Prikaz.]
31. Glavni principi islama - erkanul-islam. - Glasnik IVZ I, 7, 5-9.
32. al-Taʿlīm al-dīniyy fī Busna wa Harsak. - Glasnik IVZ I, 8, 4-8.
33. Islam zabranjuje traženje pomoći od mrtvih i u tom cilju posjećivanja turbeta i crkvi (a ovo naročito osuđuje). (يحرم الإسلام طلب المساعدة من الأموات. وزيارة المقابر والكنائس لهذا الهدف، ويدين هذا الأمر على وجه الخصوص)- Glasnik IVZ I, 8, 13-17.

---

(١) هذه المجلة سنرمز إليها في النص أدناه بالاختصارات التالية (صوت ت إ د)، بالرغم من أن الناشر (التجمع الإسلامي الديني) في بعض الأحيان يعدل الاسم.

34. O važnosti džamija i njihovu održavanju. (حول أهمية الجوامع والاعتناء بها) - Glasnik IVZ I, 10, 10-14.
35. O islamskom pozdravu ili selamu. (حول التحية الإسلامية أو السلام) - Glasnik IVZ I, 11, 1-5.
36. Lā rehbānijjete fil-islāmi. - Glasnik IVZ I, 12, 2-6.
37. Hadis i njegova važnost. (الحديث وأهميته)- Narodna uzdanica, kalendar za 1934. godinu, 108-113.
38. Pomaganje sirotinje. - Spomenica dvadesetogodišnjice opstanka i djelovanja muslimanskog dobrotvornog društva "Merhamet" u Sarajevu "(مساعدة الفقراء. – الذكرى العشرون لبقاء وعمل المنظمة الخيرية الإسلامية "مرحمت في سرايفو (1913-1933), 16-19.

1934.

39. Ilmul-kelam. Udžbenik islamske vjeronauke za VIII razred srednjih škola. (كتاب للتعليم الديني الإسلامي للصف الثامن للمدارس الثانوية)-Islamska dionička štamparija, Sarajevo, 1934, 80 str.*
40. Ispravak jednog pasusa u članku Dra Đure Ostojića "Značaj voća i grožđa i njihovih sokova za čovječanstvo" (تصحيح فقرة في مقالة د. جورجه أوستويتش أهمية الفواكه والعنب وعصائرها للإنسانية) objavljenog u Glasniku Saveza trezvene mladeži za septembar i oktobar 1933. - Glasnik Saveza trezvene mladeži XIV, 5-6, 61-62.*
41. Es-sunne. Trideseti hadis; Trideseset i prvi hadis. (الحديث الثلاثون والحادي والثلاثون)- Hikjmet V, 55, 196-197.
42. Es-sunne. Trideseti i drugi hadis; Trideset i treći hadis; Trideset i četvrti hadis (الحديث الثاني والثلاثون والثالث والثلاثون والرابع والثلاثون)- Hikjmet V, 56, 229-232.
43. Es-sunne. Trideseti i peti hadis; Trideset i šesti hadis. (الحديث الخامس والثلاثون والسادس والثلاثون)- Hikjmet V, 58, 293-294.
44. Es-sunne. Trideseti i sedmi hadis.(الحديث السابع والثلاثون) - Hikjmet V, 59, 327-328.
45. Naqd baʿḍ al-kutub al-dīniyya wa bayān ʿadam ğawāz al-iʿtimād ʿalā mā fīhā. - Glasnik IVZ II, 1-5; 2, 65-68; 3, 133-136; 4, 189-191.

46. Isrā’ i Mirādž. - Glasnik IVZ II, 1, 9-20.
47. Rad bosansko-hercegovačkih muslimana na književnom polju. (عمل مسلمي البوسنة والهرسك في حقل الأدب) - Glasnik IVZ II, 1, 31-37; 2, 86-92: 3, 160-165; 4, 212-221; 5, 286-294; 6, 332-345.
48. Isrā’ i Mirādž. - Preštampano iz Glasnika IVZ, Državna štamparija, Sarajevo, 14 str.
49. Zabrana alkoholnih pića. (منع المشروبات الكحولية)- Glasnik IVZ II, 2, 68-74.
50. Naša je sreća u ljubavi prema islamu (sedmi vaz). (سعادتنا في حب الإسلام الوعظ السابع) - Glasnik IVZ II, 3, 143-148.
51. Vaz o zabrani alkoholnih pića. (وعظ حول منع المشروبات الكحولية) - Preštampano iz Glasnika IVZ, Muslimansko društvo “Trezvenost”, Sarajevo, 7 str.
52. Pitanje tekija u Jugoslaviji. (مسألة التكايا –الزوايا- في يوغسلافيا) - Glasnik IVZ II, 4, 197-204.
53. O namazu. (حول الصلاة) - Glasnik IVZ II, 5, 262-267.
54. Ebu Mihdžen es-Sekafi. - Glasnik IVZ II, 5, 582-286.
55. Jedan hadisi-šerif. (أحد الأحاديث الشريفة) - Glasnik IVZ II, 6, 315-319.
56. Dvije-tri o “Mevludu”. ("كلمات حول "المولد)- Glasnik IVZ II, 7, 389-394.
57. Književni rad bosansko-hercegovačkih muslimana. (عمل مسلمي البوسنة والهرسك في حقل الأدب) - Poseban otisak iz Glasnika IVZ, Državna štamparija , Sarajevo, 118 str.
58. Deveti vaz. Tumačenje sure “El-Gāšije”. (الوعظ التاسع. تفسير سورة ”الغاشية“) - Glasnik IVZ II, 8, 433-437.
59. Da li se može kod ustanovljavanja Ramazana, Bajrama i sličnih datuma oslanjati na takvim i astronomsko računanje?. (هل يمكن اعتماد التقويم والحساب الفلكي في تحديد رمضان والعيد ومواعيد مشابهة؟). - Novi Behar VIII, 3-4, 45-49.
60. Selam?!. (التحية)- Novi Behar VIII, 5-7, 90.

61. Ustanovljavanje arapskih mjeseci i astronomsko računanje. (تحديد الأشهر العربية والحسابات الفلكية)– Islamska dionička štamparija, Sarajevo, 20 str.

62. Dvadeset i tri vaza po našoj Krajini. (الوعظ الثالث والعشرون في منطقة كرايينا)- Glasnik IVZ II, 10, 523-528.

63. Ko je najveći čovjek?. (من هو أعظم الناس؟)- Glasnik IVZ 11, 587-588.

64. Nada u budućnost. (الأمل في المستقبل)- Novi Behar VIII, 9-10, 141-142.

65. IV knjiga Kur'ana s tumačem. (الكتاب الرابع القرآن مع التفسير) - Novi Behar VIII, 9-10, 169. [Prikaz knjige Kur'an s tumačem Šukri ef. Alagića.]

66. Ezher i mi. (الأزهر ونحن)- Glasnik IVZ II, 12, 625-628.

67. Nekoliko dragocjenih rukopisa u Karađozbegovoj biblioteci u Mostaru. (بعض المخطوطات الثمينة في مكتبة كراجوز بك في موستار)- Glasnik IVZ II, 12, 633-639.

68. Neobjektivnost prema islamu. (اللاموضوعية تجاه الإسلام) - Novi Behar VIII, 11-12, 173-175.

69. Halifa Omer ibn Abdulaziz. - Narodna uzdanica, kalendar za godinu 1935., 29-37.

70. Glavni uzrok prelaza Bogumila na Islam. (السبب الرئيسي لاعتناق البوغوميليين للإسلام) - Narodna uzdanica, kalendar za godinu 1935., 77-80.

71. Vasijetnama. ("الوصية – الجمعية الخيرية الإسلامية "مرحمت") – Muslimansko potporno društvo "Merhamet", Sarajevo, 12 str.

1935.

72. Sadekatul-fitr. - Glasnik IVZ III, 1, 1-3.

73. Muhammed- alejhisselam (život i rad u najkraćim potezima). (حياته وأعماله باختصار)- Glasnik IVZ III, 1, 17-22; 2, 73-79: 3, 160-165; 4-5, 203-206; 6, 280-284.

74. Qaṣīda fī madḥ al-Gāzī Ḫusrawbak. - Glasnik IVZ III, 1, 34-36.

75. Essunne. Trideseti i osmi hadis. (الحديث الثامن والثلاثون)- Hikjmet VII, 1, 6-7.

76. Essunne. Trideseti i deveti hadis. (الحديث التاسع والثلاثون)- Hikjmet VII, 2, 39-40.

77. Essunne. Četrdeseti hadis; Četrdeset i prvi hadis. (الحديث الأربعون والحديث الواحد والأربعون) - Hikjmet VII, 12, 353-354.

78. Još o ustanovljavanju arapskih mjeseci.(متابعة لتحديد الأشهر العربية) - Novi Behar VIII, 14, 237-239.

79. Najosnovniji pojmovi o muslimanskom kalendaru. (بعض الأمور الأساسية الخاصة بالتقويم الإسلامي) - Kalendar-Takvim za godinu 1935. (1353-54.), Vrhovno starješinstvo Islamske vjerske zajednice Kraljevine Jugoslavije, 13-18.

80. Ibrahim Zikri. - Glasnik IVZ III, 2, 92-98.

81. Hasan-Basrin vaz o svojstvima pravog muslimana (jedanaesti vaz). (وعظ الحسن البصري حول خواص المسلم الحقيقي) - Glasnik IVZ III, 3, 145-160.*

82. Nizāmul-ulemā' ila Hatemil-enbijā. Arapski napisao Hasan Kafija Pruščak. Preveo H. M. Handžić. (كتبها باللغة العربية حسن كافي بروشتشاك. ترجمها الحافظ محمد خانجيتش) - Novi Behar VIII, 17-18, 297-300; 19, 328-330; 20-23, 368-375; 24, 396-399.

83. "Učbenici za vjeronauku". (كتب التربية الدينية)- Novi Behar VIII, 17-18, 308-309. [Autorovo reagiranje na prikaz njegovog udžbenika Ilmul-kelam.] [رد فعل الكاتب على عرض كتابه علم الكلام]

84. Nizāmul-ulemā' ila Hatemil-enbijā. (Niz učenjaka do posljednjeg Božjeg poslanika. – Islamska dionička štamparija, Sarajevo, 55 str.

85. Iz posljednjih dana boravka muslimana u Španiji. (الأيام الأخيرة للمسلمين في إسبانيا) - Novi Behar IX, 4, 33-36.

86. Muhammed –alejhisselam (Život i rad u najkraćim potezima). (مختصر حول حياته وعمله) – Preštampano iz Glasnika IVZ, Državna štamparija, Sarajevo, 28 str.

87. Musliman je dužan čuvati muslimanske običaje i osebine, a kloniti se nemuslimanskih. (على المسلم المحافظة على العادات الإسلامية والابتعاد عن غير الإسلامية)- Glasnik IVZ III, 8-9, 383-388.

88. Merhum Muhamed Rešid-Rida. - Novi Behar IX, 7-8, 115-116.

89. O knjizi (jedno predavanje). (حول كتاب محاضرة واحدة) - Novi Behar IX, 9-13, 120-124.

90. Šejh Muhamed Behit. - Novi Behar IX, 9-13, 162. [In memoriam.]

91. Zijaréti šaʿri se'ádet. - Glasnik IVZ III, 12, 513-520.

92. Nihadi. - Glasnik IVZ III, 12, 534-537.

93. Muslimani na Siciliji. (المسلمون في صقلية) - Narodna uzdanica, kalendar za godinu 1936, 22-23.

1936.

94. Tumačenje sûre "El-Mâûn".(تفسير سورة الماعون) - Glasnik IVZ IV, 1, 9-13.

95. Trgovina i zanati za vrijeme Alehisselama. (التجارة والمهن في عهد الرسول ﷺ) - Novi Behar IX, 14-16, 167-170.

96. "Iz života Muhameda a.s.". (من حياة الرسول ﷺ) - Novi Behar IX, 14, 208-209. [Prikaz knjige pod istim naslovom, autora Hamdije Mulića.]

97. O hutbi. (حول الخطبة) - Glasnik IVZ IV, 2-3, 65-76.

98. Pitanje muftija.(مسألة المفتين) - Glasnik IVZ IV, 2-3, 87-92.

99. Kurban-Bajram. (عيد الأضحى المبارك) - Novi Behar IX, 17, 215-216.

100. Vahdeti. - Glasnik IVZ IV, 5-6, 194-200.

101. Ulema i njezin utjecaj u islamskoj prošlosti. (العلماء وتأثيرهم على التاريخ الإسلامي) - Novi Behar IX, 24, 350-352.

102. Opći pregled na razvoj islamskih sektâ. (نظرة عامة على نمو الطرق الصوفية الإسلامية)- Novi Behar X, 1-3, 14-18.

103. Kadi Ahmed Čelebi. - Glasnik IVZ 9, 360-361.

104. Povodom pisanja o reformi naše početne vjerske nastave. (بخصوص بعض الكتابات الخاصة بإصلاحات المحاضرات الدينية) - Novi Behar X, 6-9, 74-75.

105. Karaimi (Karaiti). - Novi Behar X, 6-9, 92-94.

106. Ahmed Džemal Dervišević, - Novi Behar X, 6-9, 111. [In memoriam.]

107. Pitanje muftija.(مسألة المفتين) - Hikjmet VII, 8, 232-238.

108. Subhai-sibjan. - Glasnik IVZ IV, 10, 392-393. [Prikaz arapsko-turskog rječnika u stihu.][عرض لقاموس عربي تركي منظوم شعرًا]

109. Junaštvo.(البطولة) - Novi Behar X, 10-11, 115-116.

110. Jedan vaz (o trgovini, radu i međusobnom pomaganju. (وعظ حول التجارة والعمل وتبادل التعاون بينهما) - El-Hidaje I, 1, 9-11.*

111. Povodom četiristagodišnjice Gazi Husrev-begove medrese u Sarajevu. (الاحتفال بالذكرى الأربعمائة لتأسيس مدرسة الغازي خسرو بك) – Narodna uzdanica, kalendar za godinu 1937, 29-48.

112. Gramatika arapskog jezika. (قواعد اللغة العربية)- Glasnik IVZ V, 8, 256-257. [Prikaz djela Gramatika arapskog jezika I-II, autora Dr. Šaćira Sikirića, Muhameda Pašića i Mehmeda Handžića, Državna štamparija u Sarajevu, 1936-1937.[عرض لقواعد اللغة العربية. الجزء الأول والثاني للكاتب الدكتور شاكر سيكيريتش ومحمد باشيتش ومحمد خانجيتش].

1937.

113. Uloga uleme u narodu (Govor održan na skupštini “El-Hidaje”). -("دور العلماء في الشعب. تم إلقاء هذه الكلمة بمناسبة اجتماع الجمعية العامة "للهداية) El-Hidaje I, 2, 20-23.

114. Kapitalisti i boljševici. (الرأسماليون والبلاشفة)- El-Hidaje I, 2, 27-28. [Prijevod članka Emira Šekiba Arslana i prevodiočeva bilješka.] [ترجمة مقالة للأمير شكيب أرسلان وملاحظات للمترجم]

115. Obrađivanje zemlje. (استصلاح الأراضي) - El-Hidaje I, 4, 63-65.

116. Islam sam k sobe vabi.(الإسلام يجذب لنفسه) - Ročnik I, čislo II, Košten 1937, str. 1-2. Prev. na češki dr. F. S. Hlas.*

117. El-Hidaje (Analiza samog imena) (الهداية: تحليل الاسم). El-Hidaje I, 5, 73-75.

118. Uvod u tefsirsku nauku.(مدخل لعلوم التفسير) - Novi Behar X, 17-19, 211-215; 20-22, 251-261; 23-24, 301-307.

119. Nekoliko odlomaka iz djela “Muhadaretul-evail ve musameretul-evahir od Ali-dedeta. - Novi Behar X, 17-19, 235-238.

120. El-Hulelus-sundusijje od Emira Šekib Arslana, Kairo, 1936, - Novi Behar X, 17-19, 249. [Prikaz.]
121. Tarihu Ibn Haldun (Kairo, 1936, 438 str.). - Novi Behar X, 17-19, 242. [Prikaz.]
122. Opći pogled na državnički rad Alejhisselamov. (نظرة عامة على أعمال الرسول عليه الصلاة والسلام الخاصة بتأسيس الدولة)- El-Hidaje I, 6, 90-95.
123. Mlađi i stariji. (الشباب والكهول)- El-Hidaje I, 7-8, 109-111.
124. Uvod u hadisku nauku.(مدخل إلى علم الحديث) - Novi Behar XI, 1-2, 3-6; 3-4, 38-41; 5-6, 75-78; 7-8, 93-96; 9-11, 133-139.
125. Mihrimah sultanija i njena vakufnama. - Novi Behar XI, 1-2, 15-17.
126. Uvod u tefsirsku i hadisku nauku. (مدخل إلى علوم التفسير والحديث) - Poseban otisak iz Novog Behara, Islamska dionička štamparija, Sarajevo, 131 str.
127. Bitka na Bedru i njen značaj, (غزوة بدر وأهميتها)- El-Hidaje I, 9, 136-142.
128. Vaz o ulozi muža i žene u braku i njihovim dužnostima. (وعظ خاص بدور المرأة والرجل في الحياة الزوجية وواجباتهما)- El-Hidaje I, 9, 145-147.
129. Ebu Damdam. - El-Hidaje I, 10, 154.
130. Islamski je svijet jedna domovina. (العالم الإسلامي كدولة واحدة) - El-Hidaje I, 10, 156-157. [Prijevod sa arapskog.][ترجمة عن اللغة العربية]
131. Mudra izreka "Čuvaj bijele ovce za crne dane". (مثل موروث "احتفظ بالخروف الأبيض ليومك الأسود" - El-Hidaje I, 10, 157.
132. Jedna konstatacija. (بيان) - El-Hidaje I, 10, 158.
133. Abdulah b. Amir i njegova dva prijatelja. (عبد الله بن عامر وصديقاه)- El-Hidaje I, 11, 168.
134. Nekoliko primjera o radu islamskih učenjaka na pisanju i sabiranju nauke. (عدة أمثلة حول أعمال العلماء المسلمين الخاصة بالكتابة والعلوم والرياضيات)- El-Hidaje I, 11, 177-178.
135. O hazardnim igrama. (حول الألعاب الخطرة) - El-Hidaje I, 12, 183-184.

136. Hazreti Omer i državna kasa.(عمر ﷺ وبيت مال المسلمين) - El-Hidaje I, 12, 187.
137. Do načina mnogo stoji. (الاهتمام بالطرق) - El-Hidaje I, 12, 190.
138. Hasan ef. Heremić, - El-Hidaje I, 12, 194-195. [In memoriam.]
139. H. Hfz. Rustem ef. Ramadan. - El-Hidaje I, 12, 195. [In memoriam.]
140. [O kerametima evlija.] Pitanja i odgovori. (حول كرامات الأولياء – أسئلة وأجوبة)- El-Hidaje I, 12, 192.
141. Šeriatsko nasljedno pravo (حقوق الوراثة الشرعية) (Feraiz) od M. Ali ef. Ćerimovića. - Novi Behar XI, 12, 191. [Prikaz.]
142. Socijalne i ekonomske prilike koje su prethodile Alejhisselamovu poslanstvu.(الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي كان يسود قبل رسول الله ﷺ)- El-Hidaje II, 1, 1-4.
143. Jedan prilog povijesti prvih dana širenja islama u Bosni i Hercegovini. (مقطع خاص بتاريخ الأيام الأولى لانتشار الإسلام في البوسنة والهرسك) - Narodna uzdanica, kalendar za godinu 1938, 29-45.
144. Bejazići (Bejazi-zadeler). - Gajret, kalendar za godinu 1938, 90-99.

1938.

145. Položaj žene u islamu. (وضع المرأة في الإسلام) - El-Hidaje II, 2-3, 17-21.
146. Ibn Hazm ez-Zahiri i Ebul-Velid el-Badži. - El-Hidaje II, 2-3, 34-35.
147. [U što se mogu upotrijebiti kurbanske kožice?] [لأي الأغراض يمكن استخدام جلود الأضاحي؟] Pitanja i odgovori. - El-Hidaje II, 2-3, 39.
148. Naši Merhumi. [Muhamed ef. Hadžijamaković. In memoriam.] El-Hidaje II, 2-3, 47-48.
149. 1Kada i kako je Hidžret uzet za početak muslimanskog kalendara. (كيف ومتى تم اعتبار الهجرة بداية التقويم الإسلامي؟)- El-Hidaje II, 4, 59-60.
150. [O kamati.] Pitanja i odgovori.(أسئلة وأجوبة حول الربا) - El-Hidaje II, 4, 62-63.
151. Hidiv Ismail paša i domaći trgovci u Egiptu. (الخديوي إسماعيل باشا والتجار المحليون في مصر)- Novi Behar XI, 17-19, 269.

152. Ropstvo i islam.(العبودية والإسلام) - El-Hidaje II, 5, 70-72.
153. Merhum H. Mehmed Džemaluddin ef. Čaušević. - El-Hidaje II, 5, 77-78.
154. Da li može Musliman živjeti evropskim kulturnim životom i ostati dobar Musliman (Kur'an u teoriji praksi) (هل يمكن للمسلم أن يعيش حياة الأوروبيين ويبقى مسلمًا جيدًا؟) - od Bise Adema, Tuzla, 1937. - El-Hidaje II, 5, 78-79. [prikaz.]
155. Put na hadž (putopis jednog hadžije) od H. Hfz. Muhameda Krpe, Sarajevo 1938 štamparija Bosanska pošta.(طريق الحج)- El-Hidaje II, 5, 79. [Prikaz.]
156. Pabirci o naučnom i književnom radu rahmetli H. Džemaluddin ef. Čaušević́a. (حول الأعمال الأدبية والعلمية للمرحوم جمال الدين تشاوشيفيتش)- Novi Behar XI, 20, 309-312.
157. Qubayl al-mawlid al-nabawiyyi al-šarīf. - El-Hidaje II, 6, 81.
158. Mus'ab b. Umejr. - El-Hidaje II, 6, 84-85.
159. Mudre misli i zreke. - El-Hidaje II, 6, 87-88.
160. Jedno krivo shvatanje. (أحد المفاهيم الخاطئة)- El-Hidaje II, 6, 91-92.
161. Merhum Salim ef. Muftić. - Gajret XIX, 6, 105-106. [In memoriam.]
162. Ḏikr baʿḍ al- ʿādāt bi munāsaba yawm mawlidih ṣalla Allāh ʿalayh wa sallam. - El-Hidaje II, 7, 98-99.
163. Predavanje prilkom Mevluda.(محاضرة بمناسبة المولد) - El-Hidaje II, 7, 99-101.
164. Da li može musliman producirati i prodavati alkoholna pića. (هل يمكن للمسلم إنتاج وبيع المشروبات الكحولية؟) - El-Hidaje II, 7, 101-102.
165. Merhum Salim ef. Muftić. - El-Hidaje, 7, 109. [In memoriam.]
166. Orijentalni rukopisi kod Jugoslovenske akademije u Zagrebu. (المخطوطات الشرقية لدى الأكاديمية اليوغسلافية في زاغرب)– Obzor, 11. VII 1938.
167. Kadija Ibnu Ajnid-devle i El-Melik-ul-Kmail. - El-Hidaje II, 8, 115.
168. Otkad državna vlast vodi nadzor nad vakufima.(منذ متى تقوم السلطات الحكومية بمراقبة الأوقاف؟) - El-Hidaje II, 8, 120.

169. Služba kao uzrok slabosti i zapreka slobodi. (الوظيفة كسبب إضعاف وإعاقة الحرية)- El-Hidaje II, 8, 126.

170. Pravi musliman. (المسلم الحقيقي)- El-Hidaje II, 9, 129-131.

171. U čiju nadležnost spada određivanje arapskih mjeseci. (من يمتلك صلاحيات تحديد الأشهر العربية؟)- El-Hidaje II, 9, 137-138.

172. Prevod Ku'rana od Hadži Ali Riza Karabega. (ترجمة معاني القرآن الكريم للحاج علي رضا كرابك) - El-Hidaje II, 9, 141-142. [Prikaz.]

173. Mišljenje islamskih učenjaka koji su bili protiv mješovitih brakova. (آراء العلماء المسلمين الذين كانوا ضد الزواج المختلط)- Novi Behar XII, 1-4, 14-17; 5-6, 55-58.

174. Potreba vjerskih članaka i brošura. (الحاجة إلى المقالات الدينية)- El-Hidaje II, 11-12, 161-162.

175. Doživljaji jedne džamije. (تجربة جامع)- El-Hidaje II, 11-12, 168.

176. Mišljenje islamskih učenjaka koji su bili protiv mješovitih brakova. (آراء العلماء المسلمين الذين كانوا ضد الزواج المختلط) – Poseban otisak iz Novog Behara, Islamska dionička štamparija, Sarajevo, 20 str.

177. Ibrahim ef. Pečevija (Alajbegović). - Narodna uzdanica, kalendar za godinu 1939, 129-149.

178. Dva važna izvora za historiju Bosne i Hercegovine za vrijeme osmanlijskog gospodstva. (مصدران هامان لتاريخ البوسنة والهرسك في فترة الحكم العثماني)- Gajret, kalendar za godinu 1939, 81-86.

179. Nekoliko fetvi naših muftija iz turske dobe.(عدة فتاوى لمفتينا من العصر التركي) - Gajret, kalendar za godinu 1939, 206-217.

180. Ibrahim ef. Pečevija (Alajbegović). - Poseban otisak iz Narodne uzdanice, kalendara za godinu 1939, Islamska dionička štamparija, Sarajevo, 20 str.

1939.

181. Tumačenje šerijatsko-pravnih pitanja kod nas. (تفسير بعض المسائل الشرعية عندنا) (Odgovor na istoimeni članak g. F. Spahe, koji je izašao u kalendaru " Narodnoj uzdanici" za godinu 1939.). - Štamparija "Prosvjeta" J. Karić, Sarajevo, 30 str.

182. Utjecaj islamske medicine na naše narodno ljekarstvo. (تأثير الطب الإسلامي على علاجنا الشعبي) - Jugoslavenski list, 26, III 1939, 11.

183. Sa'd es-Sulemi (uzor požrtvovanosti za vjeru(مثال التضحية من أجل الدين). - Novi Behar XII, 15-19, 208-210.

184. Nekoliko riječi o dovi.(عدة كلمات حول الدعاء) - El-Hidaje III, 1, 1-3.

185. H. Hfz. Husejn Râkim ef. Islamović (glasoviti kaligraf arapskog pismah (الخطاط المعروف) . - Novi Behar XII, 20-21, 237-238.

186. Merhum Muhamed ef. Tufo. - El-Hidaje III, 2, 19-20. [In memoriam.]

187. Kako se bizantijski car Heraklije I, raspitavao o islamu i Muhamedu a.s..(كيف استفسر الإمبراطور البيزنطي هرقل حول الإسلام والرسول الكريم ﷺ) - El-Hidaje III, 2, 30-31.

188. Osnivač najljepše džamije u Bosni i Hercegovini. Aladža džamija u Foči.(مؤسس أجمل جامع في البوسنة والهرسك جامع ألاجا في مدينة فوتشا) - Jugoslavenski list, 23. IV 1939, 10.

189. Izmišljeni sultan Murat III., brat sultana Sulejmana Veličanstvenog i njegovo tobožnje vladanje Balkanom sa prijestolnicom u Čajniču. (السلطان مراد الثالث المزعوم أخو السلطان سليمان الكبير وحكمه المزعوم للبلقان من العاصمة تشاينيتسا) - Jugoslavenski list, 7. V 1939, 9.)[1]

190. Problem prosjačenja kod nas. (مشكلة التسول عندنا) - El-Hidaje III, 3, 33-35.

191. Zapažanja sa jednog kratkog puta po našem Jugu. ملاحظاتي أثناء جولة قصيرة في الجنوب - El-Hidaje III, 4-5, 57-59.

192. Kakvih nas sve ima!?. (اختلافاتنا) - El-Hidaje 4-5, 64.

193. Kalendar "Gajret" za 1930. godinu. (تقويم غيرت لعام 1930)- El-Hidaje III, 6-7, 54. [Prikaz.]

194. Kalendar "Narodne Uzdanice" za 1940. godinu. (تقويم "الأمل الشعبي" لعام ١٩٤٠) - El-Hidaje III, 6-7, 84-85. [Prikaz.]

195. Kadijanije i Ahmedije. - El-Hidaje III, 6-7, 85. [Prikaz.]

(١) Izvorno stoji: Cajniču, što je vjerovatno štamparska grješka.

196. Arapsko pismo i njegova rasprostranjenost. (الأبجدية العربية وانتشارها) - Grafička revija, Sarajevo, 3, 123-127.

197. Je li osnivač Kaira i tisućugodišnjeg islamskog sveučilišta El-Azhera bio Slaven?. (هل مؤسس القاهرة وجامعة الأزهر التي عمرها يناهز الألف عام هو من أصل سلوفيني؟) - Hrvatski dnevnik, 12. XI 1939., str. 18.

198. Istrajnost u vršenju vjerskih propisa (الإصرار على تنفيذ التعليمات الدينية) (Jedan kratak vaz prilikom Ramazanskog Bajrama (وعظ ألقاه خلال عيد الفطر السعيد) . - Gajret XX, 13, 232.

199. Džamija hodže Kemaludina prema Zemaljskoj banci u Sarajevu. Pronađena originalna vakufnama obnovitelja ove džamije, Silahdar Muhamed paše, bosanskog valije. (جامع كمال الدين خوجا القريب من البنك الوطني في سراييفو. تم اكتشاف الوقفية الخاصة بمجدد هذا الجامع) - Jugoslavenski list, 25. XI 1939, str. 7.

200. Pobjeda na Bedru 17 ramazana 2 god. po Hidžri. (الانتصار في غزوة بدر يوم 17 رمضان العام الثاني للهجرة) - Novi Behar XIII, 7-10, 79-83.

201. Tračak nade.(لمحة أمل) - El-Hidaje III, 9, 109-111.

202.(Gajretov kalendar za 1940 i “Narodna odbrana”. (تقويم "غيرت" لعام ١٩٤٠ والدفاع الوطني) - El-Hidaje III, 9, 119.

203. Rajske bašče - o temeljima vjerovanja (Revdātul-džennāt fi usūlil-i’tikadāt). Arapski napisao Hasan Kafi ef. Pruščak, preveo i bilješkama (popratio H. Mehmed Handžić. (كتبها باللغة العربية حسن كافي بروشتشاك وترجمها وأضاف إلى حاشيتها محمد خانجيتش) - Gajret, kalendar za godinu 1940, 34-63.

204. Važnost vanjskih znakova sa šeriatskog gledišta. (أهمية العلامات الخارجية من وجهة نظر الشريعة)- Narodna uzdanica, kalendar za godinu 1940, 80-82.

205. Isti objavljen u (نفس النص تم نشره في): El-Hidaje III, 6-7, 80-82.

206. Rajske bašče - o temeljima vjerovanja (Revdātul-džennāt fi usūlil-i’tikadāt). Arapski napisao Hasan Kafi ef. Pruščak, preveo i bilješkama (popratio H. Mehmed Handžić.. (كتبها باللغة العربية حسن كافي بروشتشاك وترجمها وأضاف إلى حاشيتها محمد خانجيتش) - Poseban otisak iz Gajreta za 1940. godinu, štamparija Bosanska pošta, Sarajevo, 32 str.

1940.

207. Pobjeda na Bedru 18. ramazana 2. god, po Hidžri. (الانتصار في غزوة بدر ١٨ رمضان السنة الثانية للهجرة) - Poseban otisak iz Novog Behara, Islamska dionička štamparija, Sarajevo, 20 str.

208. Ilhamija Žepčak. Muslimanski pjesnik iz Bosne na hrvatskom jeziku koncem XVIII. i početkom XIX vijeka. (إلهامية جيبتشاك شاعر مسلم من البوسنة باللغة الكرواتية. نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر) - Hrvatski dnevnik, Bajramski prilog "Hrvatskog dnevnika", 21. I 1940, str. 14-15.

209. Ahmed Muhamed Šakir, šer. sudija u Kairu: Jedna mudžiza Božijeg poslanika a.s. naskoro će se obistiniti. (القاضي الشرعي أحمد محمد شاكر من القاهرة: معجزة من معجزات رسول الله ﷺ ستتحقق قريبًا) - El-Hidaje III, 10-11, 131-133. [Prijevod sa arapskog.]

210. I priče služe za propagandu?!.(والقصص تستخدم بهدف الدعاية) - El-Hidaje III, 10-11, 141.

211. El-Hariri i njegov "Mekamat". (الحريري ومقاماته)- Novi Behar XIII, 13-18, 217-220.

212. Islamizacija Bosne i Hercegovine i porijeklo bosansko-hercegovačkih muslimana. (أسلمة البوسنة والهرسك وأصول مسلمي البوسنة والهرسك) - Islamska dionička štamparija, Sarajevo, 34 str.

213. "Miradžija" Sabita Užičanina. (المعراج لثابت أوجيتشانين) - Glasnik IVZ VIII, 7, 266-271; 8, 289-297; 9, 317-329, 10, 366-375, 11, 451-458.

214. Zle posljedice grijeha. (النتائج السيئة للذنوب) - El-Hidaje IV, 1, 4-7.

215. Iz jednog pisma (إحدى الرسائل) (Kakve su podvale čine El-Hidaji كيف يتم الدس على الهداية.) - El-Hidaje IV, 1, 27.

216. Pred ramazani-šerif. (عشية رمضان الشريف)- El-Hidaje IV, 2, 33-34. [Nepotpisan.]

217. Opreznost u primanju vijesti. (التنبه عند تلقي الأخبار) - El-Hidaje IV, 2, 45-48.*

218. Malo objašnjenja. (قليلاً من الشرح) - El-Hidaje IV, 2, 48-51.

219. Pogled na sudstvo u Bosni i Hercegovini za vrijeme turske vlasti. (نظرة على المحاكم في البوسنة والهرسك خلال الحكم التركي) - El-Hidaje IV, 3, 87; 4-5, 109-117.

220. “Miradžija” Sabita Užičanina. S turskog preveo, protumačio i dodao potrebni uvod i bilješke H. Mahmed Hadžić. (المعراج لثابت أوجيتشانين قام محمد خاجيتش بترجمته عن اللغة التركية وكتابة المقدمة الخاصة له) - Državna štamparija, Sarajevo, 48 str.

221. Muhamed (a.s.) na slici u franjevačkom samostanu na Poljudu. (محمد عليه الصلاة والسلام في صورة موجودة في دير الفرانسيسكان في منطقة بوليود)- Jugoslavenski list, 10. XI 1940, 6.

222. Arapi i otkriće Amerike.(العرب واكتشاف أمريكا)- Hrvatski dnevnik, 24, XI 1940.

223. Biblioteka H. Halil efendije u Gračanici. (مكتبة الحاج خليل أفندي في مدينة جراجانيتسا) - Gajret, kalendar za godinu 1941, 194-197.

224. Ilmija će Božijom pomoću uspjeti u svom radu. (العلماء سينجحون في مهمتهم بعون الله) - El-Hidaje IV, 4-5, 93-94. [Nepotpisan.][غير موقع]

225. Islam i rad. (الإسلام والعمل)- El-Hidaje IV, 4-5, 94-99.

226. Jedna neistina o Muhamedu alejhisselamu.(أكذوبة على محمد ﷺ)- El-Hidaje IV, 4-5, 105-106.

227. Šaban Hodžić, profesor: “Ahlak”, Preštampano iz Glasnika Islamske vjerske zajednice, Sarajevo, 1939-1940, Državna Štamparija, Sarajevo, 108 str. (عرض لكتاب الأستاذ شعبان خوجيتش أستاذ الأخلاق، إعادة طباعة من صوت تجمع المشيخة الإسلامية سراييفو، الصفحة ١٠٨) - El-Hidaje IV, 4-5, 138. [Prikaz.] [عرض]

228. Ing. Suljaga Salihagić: “Mi bosansko-hercegovački muslimani u krilu jugoslavenske zajednice”, Banja Luka, 64, str. (المهندس سولياغا صالح أغيتش: نحن مسلمي البوسنة والهرسك تحت جناح التجمع اليوغسلافي) - El-Hidaje IV, 4-5, 138-139. [Prikaz.]

1941.

229. Pogled na sudstvo u Bosni i Hercegovini za vrijeme turske vlasti. (نظرة على المحاكم في البوسنة والهرسك خلال الحكم التركي) – Preštampano iz El-Hidaje, Državna štamparija, Sarajevo, 15 str.

230. Nekoliko riječi o ovom izdanju(عدة كلمات حول هذه الطبعة). [Prilog uz Gaševićev “Mevlud” u izdanju knjižare M. B. Kalajdžića; četvrta

stranica omota “Mevluda”; bosančica.] [ملحق مع مولد غاشيفيتش بطباعة مكتبة إم بي كالايجيتش الصفحة الرابعة لملف المولد]

231. Muslimanska nova godina(رأس السنة الإسلامية) (Predavanje održano prilikom 1360 nove godine 1360 (محاضرة تم إلقاؤها في رأس السنة الهجرية). - El-Hidaje IV, 6, 146-150.

232. Jedan raspis prvog Reis-ul-uleme protiv upotrebe alkoholnih pića. (أمر أول رئيس علماء ضد استخدام المشروبات الكحولية) - El-Hidaje IV, 7-8, 184-186.

233. Ummul-Benin (jedan primjer odgojene žene iz prvih doba islama (مثال على النساء المربيات في صدر الإسلام) . - El-Hidaje IV, 7-8, 192-194.

234. El-Hidaja u novim prilikama.(الهداية في وضع جديد) - El-Hidaje IV, 9-11, 221-223.

235. Položaj nemuslimana u muslimanskoj državi (وضع غير المسلمين في الدولة الإسلامية) (s upoređivanjem sa nekim današnjim prilikama (بالمقارنة مع بعض الأوضاع في عصرنا الحالي). - El-Hidaje IV, 9-11, 234-249.

236. Mehmed Alajbegović: O kritici hadisa kao podloge za izgradnju islamskog prava. (محمد علي بيجوفيتش: حول انتقاد الحديث كأساس لبناء الحقوق الإسلامية) (- El-Hidaje, 9-11, 275-276. [Prikaz.] [عرض]

237. Džumhur Osman i njegov arapsko-turski rječnik (جمهور عثمان وقاموسه العربي – التركي) “Dženahus-sibjan”. - El-Hidaje IV, 12, 282-284. [Prikaz.] [عرض]

238. Povodom nekih ružnih običaja u pogledu nadgrobnih nišana. (بخصوص بعض العادات السيئة بشأن بناء شواهد القبور) - El-Hidaje IV, 12, 286-288.

239. “Početak arapskih mjeseci” - arapski napisao Ahmed Muhamed Šakir. Preveo i predgovor napisao Husein Đozo. (بداية الأشهر العربية كتبها باللغة العربية أحمد محمد شاكر، ترجمها وكتب مقدمتها حسين جوزو) - El-Hidaje IV, 12, 307-308. [Prikaz.] [عرض]

240. Patriotizam, narodnost i nacionalizam sa islamskog gledišta. (الوطنية والقومية من وجهة نظر الإسلام) - El-Hidaje V, 1, 7-16.

241. Šuûrî o Bošnjacima. - El-Hidaje V, 1, 19-20.

242. Hamza ef. Puzić. - El-Hidaje V, 2-3, 54-56.

243. Husejn Lâmekâni. - Narodna uzdanica, kalendar za godinu 1942, 148-162.

244. Abdest. (الوضوء) - Hrvatska enciklopedija I, Zagreb, 8.

245. Abdulah. - Hrvatska enciklopedija I, Zagreb, 8.

246. Abdulah ef. - Hrvatska enciklopedija I, Zagreb, 8.

247. Abdulah bin Muhamed el-Tajši. - Hrvatska enciklopedija I, Zagreb, 8.

248. Abdul Kadir el-Gilani (Muhjiddin Ebu Muhamed Abdul-Kadir b. Ebu Salih) veliki islamski mistik. (عبد القادر الجيلاني المتصوف الإسلامي الكبير)- Hrvatska enciklopedija I, Zagreb, 9.

249. Ahmed ibn Hanbel (Imâm Ebu Abdulah Ahmed ibn Hanbel eš-Šejbâni). - Hrvatska enciklopedija I, 119.

250. Akšam.(المغرب) - Hrvatska enciklopedija I, 151.

251. Alah (Allâh). - Hrvatska enciklopedija I, 168-169.

252. Alajbeg. Alaj (parada, svečani ophod (موكب رسمي). - Hrvatska enciklopedija I, 169.

253. Alhazen (Ebu Ali Muhamed b. Hasan el-Basri) čuveni arapski matematičar i filozof. (الفيلسوف وعالم الرياضيات العربي الكبير) - Hrvatska enciklopedija I, 241.

254. Ali-dede (Alaud-din, sin Mustafin iz Mostara, pisac mnogih rasprava iz oblasti mistike(علاء الدين بن مصطفى من مدينة موستار كاتب العديد من النقاشات في مجال التصوف الإسلامي). - Hrvatska enciklopedija I, 242.

255. Ali ibn Ebi Talib. - Hrvatska enciklopedija I, 243.

256. Arapska djela naših pisaca. (الأعمال العربية لكُتّابنا)- Hrvatska enciklopedija I, 560-561.

257. Aʿša, neki arapski pjesnici. - Hrvatska enciklopedija I, 690.

258. Ašʿari (Ebul-Hasan Ali b. Ismail el-Ašʿari), znameniti islamski apologet. - Hrvatska enciklopedija I, 691.

259. Ašik Omer (popularni turski pjesnik). Ašik-paša (pjesnik, mistik).

Ašik-paša Zade (Derviš) Ahmed Ašiki b. Šejh Jahja (turski historičar). - Hrvatska enciklopedija I, 691.

260. Ayyubidi (Benû Ayyûb) vladajuća dinastija u Egiptu u 12. stoljeću. (سلالة الأيوبيين الذين حكموا مصر في القرن الثاني عشر) - Hrvatska enciklopedija II, 24.

261. Bajezidagić Derviš-paša, sin Bajezidagin. (درويش باشا بن بيازيدآغا)- Hrvatska enciklopedija II, 103.

262. Bajram, praznik, blagdan. (العيد، أيام الاحتفال)- Hrvatska enciklopedija II, 105.

263. Bajramije. (العيدية) - Hrvatska enciklopedija II, 105.

264. Bejdâvi (Nâsirudin Abdulah b. Omer) glasoviti komentator Kur'ana. - Hrvatska enciklopedija II, 340.

265. Beššar ibn Burd (arapski pjesnikبشار بن برد شاعر عربي). - Hrvatska enciklopedija II, Zagreb, 453.

1942.

266. Ćaba (Kažba).(الكعبة) - Hrvatska enciklopedija IV, Zagreb, 395.

267. Rasprava islamskog filozofa Ibni Sina-a o smrti i strahu od nje. (رسالة للفيلسوف العربي ابن سينا حول الموت والخوف منه)- El-Hidaje V, 4-5, 90-98.

268. Hazim ef. Muftić, "E-Lem-tere!". Prva muslimanska nakladna knjižara(المتر، أول دار نشر إسلامية) (M. B. Kalajdžića), Sarajevo. - El-Hidaje V, 4-5, 127. [Prikaz.]

269. O ljubavi prema Božijem poslaniku Muhamedu a.s.(حب رسول الله محمد ﷺ) - El-Hidaje V, 6, 129-134.

270. Merhum Fehim ef. Spaho. (المرحوم فهيم أفندي سباهو)- El-Hidaje V, 6, 150-151. [In memoriam.]

271. Nek je vjera u centru naše pažnje!. (ليكن الدين في مركز اهتمامنا)- El-Hidaje V, 7, 161-162. [Nepotpisan.] [غير موقع]

272. Abdulah Škaljić, "Šeriatsko nasljedno pravo",(تراث الحقوق الشرعية) Državna štamparija u Sarajevu, 1941., 116 str. - El-Hidaje V, 7, 189-190. [Prikaz.] [عرض]

273. Dr. Šaćir Sikirić, “Pobožne pjesme (قصائد دينية) (ilâhije) šejh Abdurahmana Sirrije”. Separat iz Glasnika Islamske Vjerske Zajednice, Državna tiskara, Sarajevo, 1941, 36 str. - El-Hidaje V, 7, 190-191. [Prikaz.][عرض]

274. Pamćenje Kur’ana napamet (hifz) (حفظ القرآن الكريم). (Hafizi u Sarajevu od 1878. do danas (الحفظ في سراييفو من عام 1878 حتى يومنا هذا). - El-Hidaje V, 8-10, 193-196.

275. Ismailije u Mađarskoj. (الإسماعيلية في المجر) - El-Hidaje V, 7, 163-168.

276. Predgovor (مقدمة). [U: “El-Hidajin Ilmihal za svakog muslimana i muslimanku”, Sarajevo, 1942.][المنهل لكل مسلم ومسلمة. سراييفو 1942] Str.3-4.

277. Islamsko vjerovanje (الإيمان). [U: “El-Hidajin Ilmihal za svakog muslimana i muslimanku”, Sarajevo, 1942.] [المنهل لكل مسلم ومسلمة. سراييفو ١٩٤٢] Str.8-16. [Nepotpisan.] [غير موقع]

278. Riječi i djela (الكلام والأفعال). [U: “El-Hidajin Ilmihal za svakog muslimana i muslimanku”, Sarajevo, 1942.] Str.23-24.[المنهل لكل مسلم ومسلمة. سراييفو]

279. Naš Ilmihal. (المنهل) - El-Hidaje V, 8-10, 253-254.

280. Muslimani u Poljskoj. (المسلمون في بولندا)- El-Hidaje V, 11-12, 261-275.

281. Godišnjaci (salnâme) bosanskog vilajeta.(سالنامه ولاية البوسنة) - El-Hidaje V, 11-12, 289-291.

282. Sjećanje na pobjedu na Bedru 2. god. po Hidžri (ذكرى معركة بدر العام الثاني للهجرة). (Predavanje za El-Hidajin dan 17. ramazana.). - Glavni odbor El-Hidaje, Sarajevo, 8 str.

283. Alejhisselamovo pismo egipatskom namjesniku. (رسالة الرسول ﷺ لكبير أقباط مصر) - Književni zbornik Narodne uzdanice za 1943. godinu, 54-62.

284. Islam i zdravstvo.(الإسلام والصحة) - Hrvatsko-muslimanski godišnjak za godinu 1943 (1362. po Hidžretu), 67-69.

285. Predgovor. - Islamski obiteljski život, Glavni odbor El-Hidaje, Sarajevo, 3-4. (مقدمة – حياة الأسرة الإسلامية. المجلس الرئيسي للهداية)

286. Ružni običaji u vezi s ženidbom. (عادات سيئة خاصة بالزواج) - Islamski obiteljski život, Glavni odbor El-Hidaje, Sarajevo, 23-25. [Nepotpisan.] [غير موقع] (مقدمة – حياة الأسرة الإسلامية، المجلس الرئيسي للهداية)

287. Čuvanje braka (الحفاظ على الزواج). - Islamski obiteljski život, Glavni odbor El-Hidaje, Sarajevo, 26-27. [Nepotpisan.] (مقدمة – حياة الأسرة الإسلامية، المجلس الرئيسي للهداية) [غير موقع]

288. Iz života Alejhissselamova sa svojom obitelji.(من حياة الرسول ﷺ مع أسرته) - Islamski obiteljski život, Glavni odbor El-Hidaje, Sarajevo, 34-36 [غير موقع] ([Nepotpisan.]) . (مقدمة – حياة الأسرة الإسلامية، المجلس الرئيسي للهداية)

289. Nekoliko hadisa u vezi sa sadržajem knjige. (عدة أحاديث بخصوص محتويات الكتب)- Islamski obiteljski život, Glavni odbor El-Hidaje, Sarajevo, 59-63 [غير موقع] [Nepotpisan.]. (مقدمة – حياة الأسرة الإسلامية، المجلس الرئيسي للهداية)

290. Pamćenje Kur'ana napamet (hifz) (حفظ القرآن الكريم) - hafizi u Sarajevu od 1878. do danas (الحفظ في سرايفو من عام 1878 حتى يومنا هذا), Sarajevo, 15 str.

1943.

291. O "iskâti salâtu" (بخصوص ترك الصلاة)i "devru" (والدورة). - El-Hidaje VI, 5, 109-116.

292. Dva potpisa sarajevskih mekteba(إحصائيات عن كتاتيب سرايفو). - El-Hidaje VI, 5, 119-123.

293. Uz ovaj svetčani broj našeg lista.(مع العدد الاحتفالي لمجلتنا) - El-Hidaje VI, 6-8, 137-138.

294. Alejhisselamova ratna sprema.(الإعداد العسكري له ﷺ) - El-Hidaje VI, 6-8, 144-149.

295. Spremnost Alejhisselamovih drugova za materialne žrtve. (استعداد أصحاب رسول الله عليه السلام للتضحية المادية) - El-Hidaje VI, 6-8, 213-215.

296.(Islamski obiteljski život(الحياة الأسرية الإسلامية), Glavni odbor "El-Hidaje", 64 str. - El-Hidaje VI, 6-8, 239-241. [Prikaz.] [عرض]

297. El-Hidajin Ilmihal za svakog muslimana i muslimanku (المنهل لكل مسلم

(ومسلمة . Drugo izdanje. - El-Hidaje VI, 6-8, 241. [Prikaz.] [عرض]

298. Muhamed (Život i rad) (محمد: حياته وعمله) , od A. Hifzi Bjelavca, Zagreb, 1942, 272 str. - El-Hidaje VI, 6-8, 244-245. [Prikaz.] [عرض]

299. Takvim za godinu (-1362.1361) 1943 (التقويم.). - El-Hidaje VI, 6-8, 245-246. [Prikaz.] [عرض]

300. Palestinski veliki muftija u Sarajevu.(مفتي فلسطين في سرايفو) - El-Hidaje VI, 9, 250-252.

301. Jedna stara kasida.(قصيدة قديمة) - El-Hidaje VI, 9, 256-260.

302. Hfz. Ibrahim ef. Šehović. - El-Hidaje VI, 10-11, 292-294.

303. El-Hidajina akcija za pomoć slabo plaćenim vjerskim službenicima. (حملة الهداية لمساعدة العاملين في المجال الديني من ذوي الأجور الضئيلة) - El-Hidaje VI, 12, 346-347.

304. Glasnik Zemaljskog muzeja u Sarajevu (مجلة المتحف الوطني في سرايفو) , God. LIV.-1942. - El-Hidaje VI, 12, 355-356. [Prikaz.]

305. Sarajevo u turskoj pjesmi. (سرايفو في الأشعار التركية)- Glasnik IVZ XI, 7, 161-174; 8-9, 193-206; 10, 235-250; 11-12, 269-281.

306. Na početku VII. godišta. (في بداية السنة السابعة) - El-Hidaje VII, 1-2, 1-3.

307. Ramazanski post kao vjerska dužnost. (صيام رمضان كفرض ديني)- El-Hidaje VII, 1-2, 3-6.

308. Vrijednost i svrha ustanove posta (قيمة وهدف الصيام) (prema Gazalijinu Ihjaul-ulumu). - El-Hidaje VII, 1-2, 15-19.

309. Merhum Derviš ef. A. Korkut. - El-Hidaje VII, 1-2, 36-37.

310. Kurban i njegov smisao u islamu(الأضاحي وهدفها في الإسلام). - El-Hidaje VII, 4-5, 105-107.

311. Savjet onome tko misli na dušu (نصيحة لمن يفكر في روحه)(Prema jednom va'zu u stihu od Ismail ibn Ebu Bekr el-Mukri el-Jemeni-je. Umro 837.). - El-Hidaje VII, 4-5, 114-115.

312. Obračunavanje sa sobom. (محاسبة النفس)- El-Hidaje VII, 6, 176-180.

313. Vâzovi.(مواعظ) – Glavni odbor El-Hidaje, Sarajevo, 174 str.

314. Muhamed alejhisselam(محمد ﷺ) (Život i rad u najkraćim potezima (حياته وعمله في مقتطفات قصيرة. – Drugo izdanje. Izdavač i nakladnik M. B. Kalajdžić, Sarajevo, 40 str.

315. Rajske bašče - o temeljima vjerovanja (Revdātul-džennāt fi usūlil-i'tikadāt). Arapski napisao Hasan Kafi ef. Pruščak, preveo i bilješkama popratio H. Mehmed Handžić. (كتبها باللغة العربية حسن كافي افندي بروشتشاك. ترجمها وكتب مقدمتها الحافظ محمد خانجيتش) - Drugo izdanje. Izdavač i nakladnik M. B. Kalajdžić, Sarajevo, 56 str.

1944.

316. Božiji Pejgambere!.(يا رسول الله) - El-Hidaje VII, 7-8, 201-205.

317. Jedan hadisi-šerif. (أحد الأحاديث الشريفة) - El-Hidaje VII, 7-8, 213-216.

318. [O "savmi-visalu".] Pitanja i odgovori. (أسئلة وأجوبة) - El-Hidaje VII, 7-8, 232-234.

319. Merhum H. Ali Rizâ ef. Karabeg. - El-Hidaje VII, 7-8, 234-236. [In memoriam.]

320. O šehidu i postupku oko njega (بخصوص الشهيد ومعاملته) . [Rubrika Pitanja i odgovori.] [أسئلة وأجوبة]. - El-Hidaje VII, 9-10, 302-306.

321. Zbirka izabranih dovâ (مجموعة أدعية مختارة) (iz Kur'ana i hadisa من القرآن والحديث). - Glavni odbor El-Hidaje, Sarajevo, 70+48 str. [Prijevod na bosanski i originalni tekstovi.] [نصوص أصلية وترجمتها للبوسنية]

322. Obnavljanje islama. Komentar jednog hadisa. (تجديد الإسلام. تعليق على حديث) - El-Hidaje VII, 11-12, 329-342.

323. Salih Safvet Bašić, Kratak pogled na razvoj šeriatskog prava i Nešto iz povijesti razvoja ilmi-kelama. (نظرة على تطور الحقوق الشرعية وشيء من تاريخ علم الكلام) - El-Hidaje VII, 11-12, 374-377. [Prikaz.]

324. Predgovor. (مقدمة)- U: Abdulfettah-Halifa, "Islam i čistoća (الإسلام والنظافة) ", prev.: Abdulah Dervišević, Sarajevo, [1943?], str. 3-4.*

325. Sarajevo u turskoj pjesmi. (سراييفو في الأشعار التركية) – Hrvatska državna

tiskara, Zagreb, podružnica Sarajevo, 55 str.)[1]

326. Kodificiranje šeriatskog prava kod raznih pravnih škola. تدوين الحقوق الشرعية لدى مختلف المدارس الحقوقية – Naklada Ministarstva pravosuđa i bogoštovlja, Zagreb, 15.str.

1945.

327. Stotina kratkih hadisa. (مئة حديث قصير) - El-Hidaje VIII, 7-8, 246-251.

328. Nadgrobni natpis na nišanima Merhum Dra Mehmeda Spahe.) (الكتابة على شاهدة المرحوم محمد صباهو) Novi Behar XIII, 1-6, 4-5.

1968.

329. Es-Sunne. (41 hadis s prijevodom i komentarom) (السنة. ٤١ حديث مع ترجمة وتعليق). S. 1., 48 str.*

1971.

330. Uvod u tefsirsku i hadisku nauku. (المدخل لعلوم التفسير والحديث) - Drugo izdanje (الطبعة الثانية) . Gazi Husrev-begova medresa, Sarajevo, 124, str.

331. Uvod u tefsirsku i hadisku nauku. (المدخل لعلوم التفسير والحديث) - Teće izdanje(الطبعة الثالثة) . Gazi Husrev-begova medresa, Sarajevo, 124, str.

1972.

332. Zbirka izabranih dova (iz Kur'ana i hadisa). - Drugo izdanje (الطبعة الثانية). Vrhovno islamsko starješinstvo u SFRJ, Sarajevo, 70+48 str. (مجموعة أدعية مختارة. من القرآن والحديث) [Prijevod na bosanski i originalni tekstovi.] [نصوص أصلية مع ترجمة للبوسنية]

1975.

333. Zbirka izabranih dovâ (iz Kur'ana i hadisa). - Treće izdanje. Vrhovno islamsko starješinstvo u SFRJ, Sarajevo, 70+48 str. (مجموعة أدعية مختارة.

---

(١) بالإضافة إلى النسخة التي شاهدتها قام الكاتب خانجيتش بإرفاق قرار وزارة التربية الوطنية – الإدارة العامة للتعزيز، زاغرب – بخصوص منع طباعة هذا العمل. ولكن بالرغم من ذلك تم تمرير عدة نسخ من المطبعة.

(من القرآن والحديث [Prijevod na bosanski i originalni tekstovi.] نصوص أصلية]
مع ترجمة للبوسنية]

1976.

334. Vrijednost i svrha ustanove posta (قيمة وهدف الصيام) (prema Gazalijinu Ihjaul-ulumu). - Glasnik IVZ XXXIX, 4, 396-399.

1979.

335. Pitanje tekija u Jugoslaviji. (موضوع التكايا "الزوايا" في يوغسلافيا) - Glasnik IVZ XLII, 3, 263-270.

336. Dženetske bašče o temeljima vjerovanja (Revdātul-džennāt fi usūlil-i'tikadāt). Arapski napisao Hasan Kafi ef. Pruščak, preveo i bilješkama popratio H. Mehmed Handžić.. (كتبها باللغة العربية حسن كافي بروشتشاك وترجمها وأضاف إلى حاشيتها محمد خانجيتش)- "Preporod" - Informativne islamske novine, Sarajevo, 55+1. str.

1981.

337. Pamćenje Kur'ana napamet (hifz) (حفظ القرآن الكريم). Hafizi u Sarajevu od 1878. do danas. (الحفظ في سراييفو من عام 1878م حتى يومنا هذا) -Starješinstvo Islamske zajednice u SR Bosni i Hercegovini, Hrvatskoj i Sloveniji, Sarajevo.*

1983.

338. Dvije - tri o "Mevludu". (كلمات حول المولد) - Glasnik IVZ XLVI, 1-3, 172-177.

1991.

339. Božiji Pejgambere!. (يا رسول الله) - El-Hidajin Takvim za hidžretsku 1412-13/1992.godinu, Sarajevo , 35-40. Preneseno iz El-Hidaje, VII, 7-8 (1944.)

1992.

340. Džihad i odvažnost. (الجهاد والشجاعة) - El-Hidajin Takvim za hidžretsku 1413-1414/1993.godinu.

1993.

341. Džihad i odvažnost. (الجهاد والشجاعة) - Islamska misao XV, 160, 39-40.

1994.

342. Islam i rad. (الإسلام والعمل) - Hikmet, Tuzla, VII, 6, 191-192.

1995.

343. Rajske bašče. O temeljima vjerovanja (Revdâtul-džennât fi usûlil-i'tikâdât). Preveo i bilješkama popratio H. Mehmed Handžić.. كتبها) (باللغة العربية حسن كافي بروشتشاك وترجمها وأضاف إلى حاشيتها محمد خانجيتش - Muftijstvo Travnik, 47 str. [U povodu Ajvatovica '94.]

[بمناسبة ذكرى أياتوفيتسا]

344. Ramazanski post kao vjerska dužnost.(صيام رمضان كفرض ديني) - Hikmet (Tuzla) VIII, 2 (86), 55-56.

345. Od elifa do lamelifaa (من الألف إلى اللام ألف) – Mali leksikon islama (قاموس صغير حول الإسلام). - Elif, Podgorica:((1))

a) Allah. - Elif, I/1990., 1. (septembar-oktobar).

b) Abdest (الوضوء) : Abdullah, sin Abdul-Muttalibov; Abdulah bin Muhammmed et-Tajši; Abdullah ef., rodom iz Bosne, poznat pod imenom "Šarihul-Fusus"; Abdul-Kadir el-Gilani. - Elif, I/1990., 2. (novembar-decembar).

c) Ahmed ibn Hanbel; ahmedija; Ahmed Khan; Aiša(العشاء); akšam (المغرب); Alajbegović, Ibrahim, historičar, inače poznat pod imenom Pečevi(مؤرخ معروف باسم بجوي) . - Elif, II/1991., 3. (januar-februar).

d) ALhazen; Ali-Dede (Alaudin, sin Mustafin) iz Mostara; Ali ibn Ebi Talib. - Elif, II/1991., 4. (mart-april).

e) Amr ibn Kulthum; A'ša; Ašžari; Ašik Omer; Ašik paša zade. - Elif, II/1991., 5. (maj-juni).

f) Ayyubidi (Benu Eyyub) (الأيوبيون) ; Babizam; Bajezidagić, Derviš paša, sin Bajezidagin iz Mostara. - Elif, II/1991., 6. (juli-avgust).

---

(١) المدخل الذي كتبة محمد خانجيتش للمجموعة الكرواتية.

g)Bajrak Muhamedov (راية محمد); Bajram(العيد); Bajramije; Baki, Muhamed Abdulbaki ef., - Elif, II/1991., 7. (septembar-oktobar).

h)Baš-vaiz; Behaizam; Bejdavi, Nasirudin Abdulah ibn Omer; Bektaši-Bektašije; Beššar ibn Burd; Ćaba-Ka'ba. - Elif, II/1991., 8. (novembar-decembar).

i)Din; Džabić, Ali Fehmi ef.; Džahiz, Ebu Usman Amr ibn Bahr el-Kinani; Džami, Abdul-Rahman ibn Ahmed. - Elif, III/1992., 9. (januar-februar).

1999.

346. Izabrana djela (أعمال مختارة) , I-VI. Izbor: Esad Duraković i Enes Karić. Ogledalo, Sarajevo.

NEOBJAVLJENI RADOVI (أعمال لم تنشر)

1) Mağam ʿ al-biḥār fī tārīẖ al- ʿulūm wa al-asfār. [Prvi svezak od tri zamišljena sveska biografsko-bibliografskog leksikona, "kao dopuna Hadži Halifina djela Kašf al-Ẓunūn". Rukopis završen vjerovatno prije 1931. godine; R-95.] – [أول كتاب مؤلف من ثلاثة أقسام مفترضة لقاموس السير الذاتية والفهرسية، كاستكمال لأعمال الحاج خليفة "كشف الظنون"، ربما أنجز هذا المقال عام ١٩٣١].

2) Al-Muğallad al-awwal min taḏyīl Kašf al-Ẓunūn". [Prvi svezak drugoga toma koga je autor namjeravao napisati kao "dodatak djelu Kašf al-Zunun". Rad završen u Sarajevu 1931. godine; R-96.] [المجلد الأول من تذييل كشف الظنون كان في نية الكاتب كتابته كملحق انتهى منه في سرايفو عام ١٩٣١].

3) Šarḥ Taysīr al-wuṣūl ilā ğāmiʿ al-uṣūl. [Komentar zbirci hadisa Taysīr al-wuṣūl ilā ğāmi ʿ al-uṣūl autora Mağd-al-Dīn ibn Āṭira (umro 1209. godine. Rad završen 1930. godine; R-164, 203.] [تعليق على مجموعة الأحاديث تيسير الوصول إلى جامع، الأصول للكاتب مجد الدين بن عطية (توفي عام ١٢٠٩) انتهى العمل عام ١٠٣٠].

4) Risāla al-ḥaqq al-ṣaḥīḥ fī iṯbāt nuzūl sayyidinā al-Masīḥ. [Traktat o islamskom učenju o povratku Božijeg poslanika Isaa na zemlju uoči Sudnjeg dana. Rađeno u Kairu 1929. godine; R-2650/6.] [مقالة حول المقولة الإسلامية بعودة نبي الله عيسى عليه السلام إلى الأرض قبيل يوم القيامة، تم كتابتها في القاهرة عام ١٩٢٩م].

5) Risāla ṣâfī al-murham al-Šafī li qalb man yad ʿīmawt ʿĪsā ibn Maryam [Traktat o tome da li je poslanik Isa živ i o negovu uzašaću u nebo.

Završeno u Kairu 1929. godine; R-2650/6] [مقالة حول عدم موت عيسى عليه السلام ورفعه إلى السماء، انتهى من كتابتها في القاهرة عام ١٩٢٩م].

6) Risāla bayān al-amnā’ fī ḥukm al-istimnā’. [Traktat o onaniji sa šerijatskog stanovišta. Završeno u Kairu 1928, godine; R-2650/7.][مقالة حول الاستمناء من الناحية الشرعية].

7) Kiṭāb yaṣif fīh muallifuh riḥla ilā Miṣr. [Autorov putopis u Kairo i navođenje historijskih podataka o mjestima kroz koja je putovao. Datum nastanka nepoznat; R-662/2.] [رحلة المؤلف إلى القاهرة وذكر معلومات تاريخية حول الأماكن التي سافر إليها، تاريخ الكتابة غير معروف(1)].

8) Aqwāl al-aimna min ahl al-fiqh wa al-ḥadīṯ fī al-Imām al-Aʿẓam. [Mišljenja predstavnika pravnih škola o Abu Hanifi. Datum nastanka nepoznat. Datum nastanka nepoznat; R-258.] [أقوال أئمة أهل الفقه حول أبي حنيفة، تاريخ الكتابة غير معروف].

9) Fāḍila al-layla al-ḫāmisa ʿašara min šaʿbān. [Rasprava o značaju 15. noći mjeseca šaʿbana; R-138.] [نقاش حول أهمية ليلة النصف من شعبان]

10) Život Muhameda Božijeg poslanika a.s. (حياة رسول الله محمد ﷺ) , sv. I, str. 235+4; sv. II, str. 235-306. [Prijevod djela sa arapskog jezika, autora Šibli Nuʿmanija; nema originalnog naslova; oba svezka u strojopisu, potpuno prečišćeno, spremno za štampu [ترجمة لكتاب شبلي نعمان من اللغة العربية، لا يوجد عنوان أصلي، الترجمة منقحة وجاهزة للطباعة].

(١) نشر هذا المخطوط مؤخرًا بعنوان «من أخبار مصر وتاريخها»، تحقيق محمد الأرناؤوط وأمين عودة، دمشق، دار الحصاد، ٢٠١٠.

الأعمال المختارة

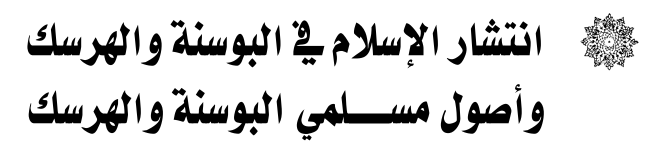
لمحمد خانجيتش البوسنوي

ترجمة

عبد الرحيم ياقدي

مراجعة

محمد م. الأرناؤوط



انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك وأصول مسـلمي البوسنة والهرسك

هناك سؤال لايزال بدون جواب شاف حتى يومنا هذا، وهو انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك.

إن السبب في ذلك يرجع في المقام الأول لضآلة المصادر التاريخية المتوفرة، والمكتوبة عمومًا باللغة التركية، وما هو متوفر منها يفتقر للمعلومات أو غير كامل.

لم يعتن الأتراك، حتى الفترة التي فتحوا فيها البوسنة والهرسك، بكتابة الوقائع التاريخية، وخاصة فيما يتعلق بالمناطق الجديدة التي تم فتحها في شبه جزيرة البلقان.

هناك آراء تشير إلى توفر معلومات مناسبة حول هذا الموضوع في الأرشيف التركي في إستانبول، بالرغم من وجود شكوك حول دقتها.

فإذا كنا نريد حقًّا الوصول للحقيقة يجب علينا الاهتمام بهذا الموضوع وتحليله والكشف عنه من خلال كل وثيقة جديدة تظهر للعيان، ويتم تحليلها بطريقة موضوعية.

لا يوجد لدى مسلمي البوسنة أي اهتمام بكون الحقيقة على هذا النحو أو ذاك، الشيء الأساسي الذي يهمهم هو أنهم مسلمون ومصممون على البقاء كذلك مهما كان تاريخهم. ولكن هناك من يريد إقحام بعض الأمور الدينية أو السياسية في هذا الموضوع، لهذا يثيرون الكثير من النقاشات والجدال حول موضوع «الدين» في البوسنة والهرسك قبل وصول الأتراك إليها.

لقد أشار المؤرخ المشهور فيكوسلاف كاليتش (Vjekoslav Kalić) إلى ذلك من خلال رده القصير على بحث الدكتور فاسو غلوشاتس (Vaso Glušac) تحت عنوان «الكنيسة البوسنية في العصور الوسطى»، حيث قال: «يتظاهر الكاتب، أي غلوشاتس، بأنه واثق من تأكيده للحقيقة الثابتة لأطروحته، ويطالب بأن تضاف تأكيداته هذه إلى الكتب المدرسية لتدريسها، لكي يتم وضع حد للأخطاء والخرافات حسب زعمه. ومن العجب أنه لم يطالب أيضًا بالقيام بتنصير المسلمين مباشرة وإعادتهم إلى حظيرة الكنيسة الأرثوذكسية التي كانوا ينتمون إليها سابقًا كما يزعم!! وهي الديانة التي ينتمي إليها الصرب. ويبدو أن هذا النقاش قد جاء أصلاً لهذا السبب»[1].

---

(١) Vuk Klaic,"Bosanska cerkva" i Patarini,p.69,in Crtice iz hrvatske proslosti.

كما يجب النظر بتمعن إلى المكافآت السخية المقدمة للنقاشات التي تُنكر الديانة «البوغوميلية»[1]، فمثلاً تم تقديم مكافأة مالية بقيمة ٥٠ قطعة ذهبية لكتاب الدكتور بوجيدار بيترانوفيتش (Božidar Petranović) «البوغوميلي Bogomili والكنيسة البوسنية والنصارى» من قِبَل التجمع العلمي الصربي في بلجراد، وكذلك لكتاب غلوشاتس (Glušac) من قبل الجمعية الخيرية للأرشمندريت «نيشيفور دوتشيتش»[2]. حيث إن الكتابيْن حاولا إثبات أن الكنيسة البوسنية كانت كنيسة أرثوذكسية حقيقية.

وحتى يومنا هذا هناك من يراقب عن كثب كل ما يُكتب حول هذا الموضوع بنهج يخالفهم، كي يقوموا بمهاجمته وصب جام غضبهم -حتى بالإهانات- عليه. إن هذه التصرفات تأتي كدعاية دينية وسياسية أكثر مما هي تحليلات تاريخية موضوعية.

أما نحن، وبدون شك، فيجب أن نهتم بتاريخنا، وأن نعرف متى وكيف اعتنقنا الإسلام؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك؟ وماذا كنا قبل ذلك؟ بالرغم من أن الإسلام لا يهتم بما كان قبله.

(١) البوغوميلية: هي حركة نشأت في بلغاريا بالقرن العاشر الميلادي، وانتشرت في دول البلقان وأوروبا الشرقية، ومن أسباب انتشارها التنصير القسري للسكان والحروب التي أتلفت الأراضي الزراعية وأفقرت الفلاحين، بالإضافة لاضطهاد الكنيسة البيزنطية لهم، والتي اعتبرت هذه الحركة نوعًا من الهرطقة الدينية. (المترجم).

(٢) Dr.I.Pilar,Bogomilstvo,pp 37-38.

هذا ما نحتاجه اليوم، كما ذكرنا، أن يتم توضيح الأمور بشكل يُخالف الحقيقة. لذلك قبل أن ننتقل إلى انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك، يجب أن نتحدث قليلاً عن الديانة التي كانت موجودة قبله.

الديانة في البوسنة والهرسك قبل الأتراك

لم نجد في المصادر التركية الكثير عن هذا الموضوع، وهذا أمر طبيعي؛ لأن الشعب التركي لم يكن قد وصل إلى درجة عالية في العلوم، في تلك الحقبة، تستدعي استكشاف ديانات الشعوب التي يحتك بها. لذلك لم نر في الوثائق والمراجع التركية، برغم قلتها، والتي تعود للأيام الأولى لانتشار الإسلام والحكم التركي في هذه المناطق أي ذكر للباتارين Patarin والبوغوميليين. ففي وثيقة تعود للعام ٩٩٣ هـ (١٥٨٥ م)، قمت بنشرها في الكتاب السنوي لجمعية «الأمل الشعبي» لعام ١٩٣٨، ذُكر فيها أن «ديانة عيسى وقوانين المسيحية النصرانية» كانت منتشرة في البوسنة والهرسك قبل وصول الأتراك إليها. وذكرت وقتها في الهامش أن مفهوم الديانة المسيحية كان يشمل البوغوميلية، ولكن البعض رفضوا ذلك وحاولوا استغلال هذه الوثيقة ليثبتوا أن الديانة الأرثوذكسية كانت منتشرة في البوسنة والهرسك قبل دخول الأتراك[١].

(١) انظر مقالة يوفو ييفتيتش Jovo Jevtic تحت عنوان «وثيقة هامة حول انتشار الإسلام بين البوسنيين في مناطق البوسنة»: Jugoslavenska posta,6.8.1938

وأخذًا بالاعتبار أن الأتراك لم يناقشوا أو يكتبوا عن الديانات التي كانت تعتنقها الشعوب التي احتكوا بها، وأن الباتارينيين كانوا يحترمون عيسى عليه السلام ويؤمنون به كباقي النصارى، وكانوا يقرؤون الإنجيل ويعتبرونه كتابهم المقدس، فإن تعبير «ديانة عيسى وقوانين المسيحية النصرانية» التي ذُكرت في الوثيقة المذكورة كانت تشمل بالتأكيد البوغوميليين، كما كانت تشمل الكاثوليك والأرثوذكس. وبما أن الوثيقة لم تفرق بين الكاثوليك والأرثوذكس، فمن الأكيد أنها لم تفرق بينهما وبين البوغوميليين، وشملت الجميع تحت مسمى «ديانة عيسى وقوانين المسيحية النصرانية».

لهذا لا يمكننا الاعتماد على المصادر والوثائق التركية للتعرف على الديانات التي كانت موجودة في البوسنة والهرسك قبل الأتراك، إنما يجب أن نلتفت إلى المصادر المحلية واللاتينية التي تتناول مع هذا الموضوع.

إن المصادر اللاتينية هامة جدًّا لأنها تأتي من معتنقي الديانة الكاثوليكية، ومن السلطات التي كانت تلاحق البوغوميلية؛ لأنهم اعتبروها هرطقة تزعج الكاثوليك والنصرانية الحقيقية. وبدون شك أن رجال الدين كانوا يستطيعون التعرف على مواصفات الديانة البوغوميلية أكثر من العامة.

ولكن هناك مأخذ على المصادر اللاتينية، ألا وهو اعتبار البوغوميلية عدوًّا لهم، لذلك لم يكونوا موضوعيين نحوها، وكانوا غالبًا ما يزايدون عليها. ومع

ذلك لا يمكننا رفض هذه المصادر واعتبارها غير دقيقة ومرفوضة كما فعل الدكتور غلوشاتس (Glušac)؛ لأن هذا الرفض لا يفيد الأبحاث العلمية.

إن المصادر اللاتينية تؤكد بشكل خاص أن التعاليم الباتارينيين كانت منتشرة في البوسنة والهرسك منذ النصف الثاني للقرن الثاني عشر، وهو ما تؤكده المصادر المحلية والأجنبية. وما كنا بحاجة لعرض أدلة على انتشار البوغوميلية أو التعاليم الباتارينية في البوسنة والهرسك لولا ظهور بعض الأفراد في الفترة الحديثة، الذين حاولوا بكل قواهم إثبات عدم وجود البوغوميلية في البوسنة والهرسك، وادعاء أن الأرثوذكسية هي التي كانت منتشرة فيها.

لهذا السبب يجب ذكر بعض الوثائق التاريخية التي تؤكد أن البوغوميلية كانت منتشرة في البوسنة والهرسك منذ القرن الثاني عشر، وبقيت حتى وصول الأتراك اليها، عندها اعتنق أغلب البوغوميليين الإسلام، وانصهر الباقون بشكل تدريجي في الإسلام أو الكاثوليكية أو الأرثوذكسية.

أقدم وثيقة تدل على وجود الطائفة البوغوميلية في البوسنة والهرسك هي رسالة من الأمير فوكان (Vukan) وهو الابن الأصغر لـستيبان نيمانيه (Stjepan Nemanja) ملك دالماسيا ودوكليا (Dalmacija & Duklja) إلى البابا إينوسنت الثالث (Inocentijo III) عام ١١٩٩م يرجوه فيها إرسال ممثلين له ليقوم معهم بترتيب العلاقات الكنائسية والحكومية. وأشار في رسالته هذه إلى نمو الهرطقة

بشكل كبير في البوسنة، وإلى أن البان كولين (ban Kulin)[(١)] وزوجته وأخته وكثيرين من أقربائه قد اعتنقوا هذه الهرطقة، وقد غرّر بأكثر من عشرة آلاف من المسيحيين[(٢)]. لم يذكر الأمير فوكان في رسالته اسم الطائفة. ولكن ورد ذكرها (الطائفة) في رسالة البابا إينوتسيتو الثالث، التي جاءت بسبب رسالة الأمير فوكان، حيث قال إن هراطقة البوسنة ينتمون للهراطقة الكاثارينيين (Katara)[(٣)]. (وهو الذي أطلق على أتباع هذه الطائفة في إيطاليا وفرنسا). وتشير هذه الوثيقة إلى وجود أكثر من عشرة آلاف بوغوميلي في نهاية القرن الثاني عشر حسب ما ذكر الأمير فوكان.

إن رسالة الأمير فوكان كانت السبب في قيام البابا عام ١٢٠٠م بالكتابة إلى الملك المجري ميركو (Mirko) بصفته الحاكم الأعلى للبوسنة يحذره من الخطر الذي يهدد المجر وديانتها إذا لم يقم الأخير بالمساعدة على إبادة الهراطقة في البوسنة، ويطالبه بإقناع «بان كولين» بالابتعاد عنهم.

وقد أجبرت هذه الرسالة «بان كولين» على إرسال مبعوثين إلى روما لتبرير موقفه والبحث عن حل لذلك. وقد اقترح هؤلاء على البابا إرسال مبعوث بابوي

---

(١) بان (ban) هو مصطلح كرواتي، استخدم أيضًا في البوسنة للدلالة على الحاكم. (المترجم).

(٢) Racki,Bogomili I patareni (posebna izdanje srpske krajlevske akademije,knjiga LXXXVII,Beograd 1931),p.381

والنص اللاتيني للرسالة موجود لدى

Theiner,Monum.Slavor.merid.I,6

(٣) Theiner,p.15.

خاص للتأكد من الوضع الحقيقي للديانة. وقد قام البابا بالفعل عام ١٢٠٢م بإرسال كبير أساقفة مدينة سبليت (Split) برنارد (Bernard) والمحقق البابوي إيفان دي كاساماريس Ivan de Casamaris إلى البوسنة. وبالفعل وصل المحقق البابوي إيفان دي كاساماريس وحده للبوسنة، واستطاع أن يقنع الكثيرين من النبلاء والعامة عام ١٢٠٣م بأن يكتبوا تصريحًا يعدون فيه بتصحيح سلوكهم ونبذ الهرطقة. وتعهدوا في هذا التصريح - الذي قام راتشكي (Rački)[١] بترجمته بالكامل - بإقامة أماكن العبادة في كل الأماكن، وإرجاع الهياكل والصلبان إلى الكنائس، وقراءة الأناجيل، وقبول القساوسة الذين سيتولون نظام الاعتراف والغفران، وأن تكون المناولة سبع مرات على الأقل في السنة، واتباع التقويم الروماني للأعياد والصوم، وأن يمتنعوا عن إيواء الهراطقة، كما وعدوا بألا يطلقوا على أنفسهم اسم المسيحيين، وإنما يشيرون إلى أنفسهم بأنهم «الإخوة Fratres» لكي لا يسببوا أي إهانة لباقي المسيحيين (لأن هذا الاسم يعني أن الباقين ليسوا مسيحيين). ويبدو من هذا التصريح أنهم رفضوا التعاليم البوغوميلية. وقد ذكر المحقق البابوي إيفان دي كاساماريس في تقريره أن الأمر يتعلق بوجود الباتاريين في البوسنة[٢].

يتضح لنا من كل ما ذُكر أن الهراطقة لم يكونوا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية.

---

(١) Bogomili i patareni,pp.391-393.

(٢) Racki,Bogomili i patareni,393-394.

بعد عهد «بان كولين» أصبحت البوسنة سيئة السمعة لدى حاشية البابا بسبب انتشار التعاليم البوغوميلية. وقد كتب البابا في مرات عديدة بطريقة غاضبة أن الهراطقة يمارسون طقوسهم الدينية بشكل علني، وفي مرتين أو ثلاث طالب البابا بشن حروب صليبية ضدهم. وهناك وثيقتان محفوظتان بهذا الخصوص قام راتشكي (Rački) بترجمتهما ودراستهما بشكل موسع ودقيق.

عندما ضعفت هذه الطائفة في إيطاليا وجنوب فرنسا أصبحت البوسنة هي معقلهم الرئيسي وأكبر حليف لهم. وقد أرسل هؤلاء رجالهم إلى البوسنة ليحصلوا العلم من كبار المعلمين[١]. ومن هؤلاء كان ياكوف باخ Jakov Bech الذي ذهب إلى هناك من تشيرا (Chieria) عام ١٣٧٨م لهذا الغرض، وعندما سأله المحقق البابوي هل يعرف أن أحدًا غيره قد ذهب للبوسنة لهذا الغرض؟ أجابه بأن موريتو رابيلاتور من تشيرا (Chieria) قد ذهب أيضًا عام ١٣٤٧م، وإيفان ناروو وجرانوني بينتشيو عام ١٣٦٠م، وبيتار باتريزي عام ١٣٧٧م، وبيراردو روسشاريو عام ١٣٨٠م، وأخا بيتار يعقوبيني عام ١٣٨٢م، مشيرًا إلى أنه سمع منهم ذلك[٢].

وقد عمل الملك البوسني ستيبان توما (Stjepan Toma) (١٤٤٤-١٤٦١م) بحماس على تحويل أتباع الطائفة البوغوميلية إلى الديانة الكاثوليكية. وقبل وفاته

(١) Ibid,440.

(٢) Ibid,440.

بفترة وجيزة، في عام ١٤٦١م، أرسل ثلاثة من نبلاء البوغوميليين البوسنيين إلى روما للقاء البابا بيو الثاني (Pijo II) ليعلمهم ويقنعهم، ويعاقبهم إذا أصروا على عنادهم. وقام البابا بتسليمهم إلى ثلاثة كاردينالات استطاعوا أن يقنعوهم بعد محاولات طويلة وشاقة. وبتوجيهات من البابا قام الكاردينال إيفان دي توركويمادا Ivan de Torquemada وهو عم عضو محاكم التفتيش المحقق الشهير تومي توركويمادا (Tomo Torquemada) بكتابة خطاب نقدي من ٥٠ نقطة، يعرض فيه النقاط الرئيسية للمعتقدات المانوية (Manichee, Manichaean)[١] ويدحضها باللاهوت الكاثوليكي، ويذكر فيه أسماء ثلاثة من البوغوميليين وهم «جورو كوتشينيتش» و«ستويشان تفرتكوفيتش» و «رادميلو فوتشينيتش». وقام الدكتور دراغوتين كامبير بطباعة هذه الوثيقة بالكامل، مضيفًا إليها مقدمة هامة وقيمة تحت عنوان «الكاردينال توركويمادا وثلاثة بوغوميليين بوسنيين»[٢].

ربما هناك تضخيم للحقائق في هذه المصادر، نتيجة لحذر المعلمين الكاثوليك ومن رغبتهم في تصحيح كل ما هو في رأيهم اعتقادات خاطئة. ولكن أن نعلن أن كل هذه المصادر اللاتينية لا قيمة لها لا يمكن أن يلبي هذا شروط الموضوعية في البحث العلمي.

---

(١) المانويون (Manichaean, Manichee) وهم في الأصل من أتباع ماني، معلم المعتقد المثنوي غير المسيحي في القرن الثالث. ثم أصبح يستخدم فيما بعد مصطلحًا يُطلق على الهراطقة المثنويين في المسيحية. (المترجم).

(٢) إصدار خاص لمجلة «كرواتيا ساكرا» Coratia sacra 1932.

بالإضافة إلى هذا فإن هذه المصادر ليست وحيدة، فالعديد من المصادر المحلية وغيرها التي جاءت من الأوساط الأرثوذكسية تؤكد صحتها. إن كل هذه المصادر تُدين اعتقادات البشانقة على أنها خاطئة، وهذا أكبر تأكيد على أن الكنيسة البوسنية لم تكن بشكل من الأشكال كنيسة أرثوذكسية.

ولدينا وثيقة هامة بهذا الخصوص وهي رسالة(١) بطريرك القسطنطينية جينادي الثاني سكولاري (Genadija II Skolaria) (١٤٥٣-١٤٥٩م) إلى رهبان سيناء. ذكر جينادي في رسالته أن المطران الأرثوذكسي في بلد الهرسك ستيبان (Herceg Stjepan) استطاع جذب الكثير من الكودوجيري (kudugeri) (لقب للبوغوميليين تستخدمه الكنيسة الأرثوذكسية) إلى الكنيسة الأرثوذكسية. وذكر بأن هرسك (Herceg) هو أرثوذكسي ضمنًا ولكنه لم يستطع الإفصاح عن ذلك علنًا لوجود الكثيرين من الكودوجيريين (kudugeri) في الدولة (وهو الاسم الذي تطلقه المصادر اليونانية على البوغوميليين). وقد كتب ف. سكاريتش (F.Skarić) بخصوص هذا «الاسم» مقالة بعنوان الكودوجيريون (kudugeri)(٢). وكانت رسالة البطريرك قد جاءت ردًّا على سؤال رهبان سيناء عما إذا كانوا يستطيعون قبول الصدقات من «هرسك ستيبان كوساتش»، وذكر اسمه علنًا في

(١) نشرت هذه الرسالة في المجلد ٦٣ من مجلة «الجمعية العلمية الصربية» ، صفحة رقم ١١. وكتب عنها ليبوب كوفاتشيفيتش في مجلة «استينا» الزادارية، عدد ٥، شهر مايو ١٨٨٨. وعرضها الأرشيمندريت ن. دوتشيتش حسب المخطوط الموجود في مدينة بريزرن.

(٢) Prilozi za knjizevnost,jezik,istoriju I folklore,Beograd,knjiga VI,sv.I,107-110,1927.

الكنيسة وفي الطقوس الدينية. وأضاف البطريرك في رسالته إذا أرسل «الهرسك» الصدقات اقبلوها منه، لأنها ستنفع في الحفاظ على المسيحية، ولكن لا تذكروا اسمه في الكنائس؛ لأنه لم يشهر نصرانيته علنًا، إنما اذكروه على موائدكم وفي صلاتكم وقداساتكم(١). فهذا المصدر ليس لاتينيًا، ويؤكد بشكل واضح أن الكنيسة في بلد «هرسك» ليست أرثوذكسية إنما بوغوميلية.

وفي أرشيف مدينة دوبروفنيك (Dubrovnik) لدينا الكثير من الوثائق الخاصة بديانة البوسنة. ولكن هذه الوثائق تذكر «البوغوميليين» باسم «الباتارينيين».

وقد أعد ونشر الدكتور تشيرو تروهيلكا (Čiro Truhelk) وصية الجوست رادين (Gost Radin)(٢)، والتي أخذها من أرشيف دوبروفنيك. لقد كان رادين أسقفًا لدى النصارى البوسنيين. وقد كتب وصيته هذه يوم ٥ يناير كانون الثاني ١٤٦٦م. وتعتبر هذه الوصية وثيقة هامة؛ لأنها تأتي من ممثل الكنيسة البوسنية الجوست رادين. وتكمن أهميتها في أنها ترى الباتارينيين البوسنيين قد تساهلوا في الكثير من علومهم الدينية تحت تأثير المسيحيين الآخرين مما أضعف علوم

(١) حول ديانة الهرسك ستيبان لدينا نقش يوضح ذلك في:
I.Ruvarac,O natpisu na crkvi hercega Stefana u Gorazdu,Glas Srpske kravjevske akademije,XVI,1889.

(٢) جوست (Gost): عضو في هرم هيئة الكهنوت في الكنيسة البوسنية. (ومعناها الحرفي هو «المضيف») المترجم.

طائفتهم. كما تم تبسيط وتخفيف الفروق الكبيرة بينهم وبين المسيحيين الآخرين، وهذا الأمر يعتبر عادة كقانون طبيعي لكل طائفة. فمع مرور الزمن تفقد كل طائفة حدتها وتقدم للأكثرية تساهلات وتنازلات. ولدينا في الطوائف الإسلامية أمثلة واضحة على ذلك. فمثلاً اليوم لا يذكر أحد أن الإباضية كانوا أحفاد الخوارج، أو يصف الوهابيين اليوم بأنهم مثلما كانوا عليه قبل مائة عام. نرى من وصية رادين أنه كان متزوجًا وله أولاد بالرغم من كونه رجل دين رفيع المستوى. في بداية الوصية وضع صورة الصليب، ثم قسم المتدينين إلى:

١) المنصرين، المسيحيين الحقيقيين من الأفنان[١].

٢) أناس آكلي اللحوم. كان البوغوميليون الحقيقيون نباتيين، أما باقي المواطنين فكانوا آكلي لحوم يحاولون أن يصبحوا ولو مرة واحدة مسيحيين حقيقيين نباتيين.

يؤكد الدكتور بيلار (Pilar) أن عادة تجفيف الفواكه، وخاصة البرقوق البوسني، هي من بقايا الثقافة البوغوميلية؛ لأن البوغوميليين كانوا يتغذون في الشتاء على الخبز والفواكه المجففة[٢]. ونرى من وصية الجوست رادين أن الباتارينيين كانوا يحتفلون بيومي الأحد والجمعة[٣].

---

(١) وهم أقنان الأرض كانوا يجندون للخدمات العسكرية والزراعية لسادتهم ويدفعون ضريبة العشر للملك – المترجم.

(٢) Bogomilstvo kao religiozno-povijestni te kao socijalni I politicki problem,28 .

(٣) انظر بحث د. تشيرو تروهيلكا: .. Glasnik Zemaljskog muzeja u sarajevu,XXIII,1911,pp.355-376

هناك دليل آخر يذكره تروهيلكا (Truhelka) مأخوذ من أرشيف دبروفنيك ألا وهو نقل الرقيق من البوسنة إلى دبروفنيك وبيعهم هناك كما يرد في كثير من الوثائق التي تؤكد ذلك. فقد باع التاجر الكتالوني بيتر دويو (Petar Dujo) لمواطن في دبروفنيك يدعى تومكو ميلكوفيتش (Tomko Milković) لفافة من القماش النفيس لنقلها وبيعها في سوق برشتانيك (Brštanik) الواقع على نهر النيريتفا (Neretva)، لكي يشتري بثمنها عددًا من الرقيق من فتيات البوسنة الباتارينيات. وقد اشترى تومكو جاريتين ودفع ثمنهما ٣٦ قطعة ذهبية. وفي ١٤ إبريل ١٣٩٣م ذهبت الجاريتان المذكورتان إلى رئيس جامعة دبروفنيك شيمون غوتشيتيتش (Šimun Gućetić) وصرحتا بأنهما مسيحيتان من والدين مسيحيين وطالبتا بعتقهما بناء على القوانين السارية. وقد دافع بيتر عن نفسه بقوله إنه اشتراهما على أنهما «باتارينيتان»، وعندما تأكدت المحكمة من أنهما مسيحيتان تم عتقهما. بناء على هذه القصة فإن كل الرقيق الذين تم بيعهم في دبروفنيك كانوا من الباتارينيين، ويستنتج تروهيلكا أيضًا أن الباتارينيين ليسوا مسيحيين إنما كانوا إنجيليين[١]. أما بالنسبة لنا فإن الباتارينيين كان لهم نوع من الصبغة المسيحية.

ومن بين المصادر المحلية التي تؤكد أن الباتارينية منتشرة في البوسنة، وليس الأرثوذكسية، يمكننا ذكر الآتي:

---

(١) Dr.Ciro Truhelka,Jos o testamentu gosta radian I o paternima,Glasnik Zemaljskog muzeja u Sarajevu,XXV,1939,pp.363-382.

ينقل المؤرخ الصربي فلاديمير تشوروفيتش (Vladimir Ćorović) في كتابه «البوسنة والهرسك»[١] من وثيقة بالحروف الغلاغولية[٢] من بداية القرن السادس عشر تحت عنوان «حوار البابا جيرجور الكبير (Grgur)» ما يلي: «أيتها المملكة البوسنية التعيسة المحرومة من قطرات الندى والمطر، التي ولد فيها ودافع عنها ومات لأجلها الكثير من الهراطقة الذين يقولون إن السيد المسيح المصلوب لم يمتلك جسمًا بشريًّا حقيقيًّا وإن العذراء المقدسة ماريا كانت ملاكًا، والذين يقولون الكثير من المفاهيم الخاطئة ضد الكاثوليك».

ويبدو هنا أن كل ما هو غير بوغوميلي أو غير أرثوذكسي أُلصق بهم.

ويذكر المؤرخ في نفس الصفحة مخطوط دير كروشيدول (Krušedol) الذي يصف البوغوميليين بـ«خدام الشياطين»الذين يمشون بالليل كاللصوص، ويبعدون المسيحيين الحقيقيين عن دينهم الإلهي الحق. ولدينا في مصادر دولة راتشكا (Rački) لعنتان أو ثلاث على البابونيين (Babune)[٣]وذكر عدة معارك معهم[٤]. ولكي يُثبت نيمانيا (Nemanja)[٥] الأرثوذكسية في دولته قضى على

(١) الصفحة ٤٦.

(٢) الحروف الغلاغولية أو «غلاغوليتسا» Glagoljica تطلق على أقدم أبجدية معروفة للغة السلافية التي تعود الى القرن التاسع، وهي مشتقة من فعل «غلاغوليتي» أو «الكلام»، وقد بقيت تستخدم في كرواتيا لوقت طويل قبل أن يتم التخلي عنها والتحول للحروف اللاتينية الحالية- م. الأرناؤوط.

(٣) وهو مصطلح معروف كان يطلق على البوغوميليين ببلاد الصرب - المترجم.

(٤) Corovic,Bosna I Hercegovina,p.44.

(٥) ستيفان نيمانيا أو القديس سيمون (١١١٣- ١١١٩م)- المترجم.

البوغوميليين بكل قوة، وطاردهم بلا رحمة وسلب أملاكهم وعاقبهم وقام بإحراقهم، وأمر بقطع ألسنة كهنتهم وبحرق كتبهم. وقد هرب البوغوميليون من صربيا إلى جميع الجهات، ولكن أغلبهم وجدوا المأوى عند جارتهم البوسنة(١).

ونقل المطران دانيلو (Danilo)(٢) قول الملك دراغوتين (Stefan Dragutin)(٣) «بأن الكثير من الهراطقة في البوسنة قد عادوا إلى الديانة المسيحية الحقة»(٤). وقد نشرت «مجلة الجمعية العلمية الصربية»(٥) وثيقة صربية قديمة بالأحرف الكريليية(٦) تروي قصة استعادة سربرنيتسا (Srebrenica)(٧) في عهد ستيفان لازاريفيتش (Stefan Lazarević)، وذكرت أن سكانها كانوا من البوغوميليين.

وبالرغم من اختفاء الديانة البوغوميلية من البوسنة إلا أن هذا المسمى بقي موجودًا بين السكان، فبعض المصادر الفرنسسكانية تتحدث عن «المتدينين

(١) Corovic,Istorija Jugoslavije,p.98.

(٢) المطران دانيلو كان كاتب سيرة الملك دراغوتين – المترجم.

(٣) الملك ستيفان دراغوتين نيمانيتش (Dragutin) (١٢٥٣-١٣١٦م) حكم صربيا من عام ١٢٧٦-١٢٨٢م – المترجم.

(٤) Klaic,Crtice iz hrvatske proslosti,p.70.

(٥) Sv.XX,knj.III,1866,p.148.

وانظر أيضا: Dr.Kamber,Kardinal Torquemada i tri bosanska bogomila,p.34;Racki,p.444

(٦) نسبة إلى القديس كيريل Cyril (٧٢٨ أو ٨٢٨- ٩٦٨ م) الذي ولد في سالونيك لأب يوناني وأم سلافية وكُلّف بنشر المسيحية بين السلاف في أوربا الشرقية، حيث بادر إلى ترجمة مقاطع من الإنجيل إلى اللغة السلافية القديمة بحروف مأخوذة من الأبجدية اليونانية. وقد استخدمت «الحروف الكيريلية» لاحقا للغات الروسية والبلغارية والمكدونية والصربية... الخ – [م. الأرناؤوط]..

(٧) مدينة في شمال شرق البوسنة – المترجم.

القدامى» (Starovirci)[١] في البوسنة. ويذكر شاعرنا حسن قائمي (توفي حوالي عام ١٦٩٠م) في قصيدته التي أدان فيها تدخين التبغ:

والتبغ دخنا وفي النتانة عشنا

مثل البوغوميليين![٢]

كل ما تم ذكره حتى الآن يُؤكد بدون أدنى شك أن البوغوميليين حكموا البوسنة قبل وصول الأتراك. ولا أساس للقول بأن الكنيسة البوسنية كانت أرثوذوكسية إلا في أعماق الذين يحاولون بكل الوسائل أن يؤكدوا ذلك.

كانت بلغاريا مهدًا للبوغوميلية، التي نعتبرها طائفة مسيحية، لأنها ظهرت على أيدي بعض المعلمين المسيحيين وانتشرت بين النصارى. وتؤكد كل المصادر تؤكد وجود اعتقادات مثنوية (Dualist) لدى البوغوميليين، فبالإضافة إلى إيمانهم بأن الرب واحد، هم يؤمنون بأن من خلق الكون ليس واحدًا. فالرب خلق الروح والعالم الخفي، والشيطان خلق المادة والعالم المرئي. ويضيف المؤرخون أن البوغوميليين كانوا يؤمنون بالثالوث بالرغم من أن تفسيرهم له كان يختلف كل الاختلاف عن تفسير غيرهم من الطوائف المسيحية.

---

(١) اسم قديم لسكان الجبل الأسود - المترجم.

(٢) Kemura-Corovic,Serbokroatische dichtungen Bosnischer Moslims,p.17.

وتشير آراء المؤرخين إلى أن البوغوميلية نمت وتطورت تحت تأثير الكثير من العوامل الخارجية، وأهمها تأثير الطائفتين الشمشاطية (Pavlićani) والماصالينية (Masalijanska). حيث قام الإمبراطور البيزنطي كونسطانطين كوبرونيم (Konstantin Kopronim) (٧٤١-٧٧٥م) بنقل الآلاف من السوريين والأرمن الشمشاطيين من آسيا إلى تراقيا (Trakiya)[١] لكي يقوموا بحماية حدوده. وبنفس الطريق قدم الماصولينيون الذين يطلق عليهم أيضًا «الأوهيتيون» (euhiti). وقد امتدت هاتان الطائفتان إلى مقدونيا وبلغاريا وأثرتا في البوغوميليين. كما أن ديانات أخرى مثل اليهودية والإسلام والتي كانت موجودة في بلغاريا أثرت أيضًا في البوغوميليين. وربما يدعو هنا للاستغراب أن يكون الإسلام أثر أيضًا في تطور البوغوميلية.

لقد كان لليهود حضورهم منذ القدم في مدينة سالونيك اليونانية وكانوا يتاجرون مع بلغاريا عبر شبه جزيرة البلقان، وحاولوا نشر ديانتهم في عهد الملك «بوغور ميخائيل».

وتكرر الأمر نفسه مع العرب الذين حاولوا نشر الإسلام من خلال توزيع الكتب والمراجع الإسلامية[٢]. وذكر الدكتور لوجو ثالر (Lujo Thaller) في كتابه «مِن الكاهن والساحر إلى الطبيب العصري» أن تلك الفترة شهدت وجود الكثير

---

(١) منطقة في نهاية جنوب شرق شبه جزيرة البلقان. (المترجم).

(٢) انظر رسالة البابا في: Racki,Bogomilstvo i patareni,p.350.

من المسلمين في بلغاريا، حتى إن البلغار في إحدى المرات قاموا بإحراق الكتب الإسلامية.

وفي كتاب «معجم البلدان» للكاتب العربي الكبير ياقوت[1] تحدث عن وجود المسلمين في المجر (الإسماعيليين)، فذكر أنه تحدث مع بعضهم في مدينة حلب وسألهم من أين جاءهم الإسلام؟ فرد عليه أحدهم وكان من أعلمهم فقال: سمعت من كبار السن عن سبعة من المسلمين جاءوا من بلاد «البلغار» وسكنوا عندنا وبدؤوا يوضحون لنا الضلال الذي كنا نعيش فيه بطريقة لينة، ووجهونا إلى الإسلام الحقيقي. وحمد الله الذي هداهم وأصبحوا مسلمين. وأضاف بأن الناس هناك يسمحون لهم بممارسة عقائدهم الدينية[2]. السؤال هنا ماذا كان يقصد ببلاد «البلغار»؟ هل قصد بلغاريا أو مدينة بلغار في فولغا (Volga)؟ الجواب الأقرب هو أنه قصد بلغاريا الحالية.

وذكر راتشكي (Rački) أن المسلمين كانوا من قبل في هذه المناطق، أي في منطقة «دوني فاردار» بمقاطعة سالونيك، حيث إن الإمبراطور تيوفيل (Teofil) (٨٢٩-٨٤١م) وطَّن جزءًا من الأتراك هناك، تم تسميتهم بأتراك فاردار[3]. وقد

(١) توفي ياقوت الحموي عام ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م).

(٢) معجم البلدان، القاهرة، الجزء الثاني، الصفحة ٣٨-٣٩.

(٣) Tafel,De Thessalonica Berolini,1839,p.79.

تنصّروا لاحقًا وانتموا إلى أبرشية خاصة[١].

نستنتج مما سبق أن المسلمين كانوا في بلغاريا وجوارها[٢] وتمكنوا من التأثير على تطور ونمو طائفة البوغوميلية.

وكما ذكرنا سابقًا فإن المؤرخين يعتقدون أن الشمشاطيين (Pavlićani) والماصالينين (Masalijanska) الذين تأثروا بالمانويين كانوا أكثر المؤثرين على البوغوميليين، ومن هنا حصل البوغوميليون على صفة «المثنوية».

لن أضيف في هذا الشأن أي جديد سوى أنني ألاحظ أن «المثنوية» لدى البوغوميلية ليست كما يشير إليها المسيحيون. ففي اعتقادي أن «المثنوية» كانت أبسط وأقل اعتدالاً، وتشبه مثيلاتها لدى كثير من الديانات التوحيدية، حتى لا يمكن وصفها بـ «المثنوية». فكثير من الديانات التوحيدية تنص على أن: الخير من الله (أو من الملائكة) والشر من الشيطان. والإسلام يعترف بأن الشيطان هو الذي يوسوس للإنسان ويحثه على الشر، وأن الله وهب الشيطان هذه الصفة حتى يوم القيامة.

وأريد الإشارة إلى موقف الإسلام غير العدائي من الشمشاطيين، وهي طائفة أسسها أسقف أنطاكية بولس (Pavle) الشمشاطي، وتم طرده عام ٢٦٥م

(٣) Racki,Bogomilstvi i patareni,pp.350-351.

(٢) انظر: Klaic,Poviest Bosne,p.347.

من الكنيسة. ذكر ابن حزم (توفي عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) في كتابه «الملل والنحل» أن هناك طائفة من الطوائف المسيحية وهم أتباع بولس الشمشاطي، وكان بطريركًا في أنطاكية قبل أن تتوسع الديانة المسيحية، وكان يؤمن بوحدانية الله وبأن عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله كغيره من الرسل-عليهم السلام، وقد خلقه الله في رحم مريم- عليها السلام- من غير زوج، وأن عيسى عليه السلام إنسان لا إلهية فيه. وكان يقول: لا أدري ما معنى الكلمة (logos) ولا روح القدس[١].

وذكر الكاتب العربي الشهرستاني (توفي ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م) في كتابه «الملل والنحل»، وقبلهما المؤرخ العربي المسيحي سعيد بن بطريق (توفي ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) أن تعاليم بولس لا تحتوي على «المثنوية». وحسب هذا الكاتب العربي الذي كان نصرانيًا فإن اعتقادات بولس حول عيسى عليه السلام هي أقرب للإسلام من اعتقادات باقي النصارى، وإن بولس كان وحدانيًّا يعترف بأن الرب واحد[٢].

إن هذه المعلومات ذات أهمية بالغة؛ لأنها تكشف لنا أحد أوجه اللغز المحير لانصهار بوغوميلي البوسنة والهرسك السريع في الإسلام.

وعندما نفسر بعض نقاط التماس بين البوغوميلية والإسلام سنفهم بالكامل الأسباب الرئيسية لاعتناقهم السريع والجماعي للإسلام.

---

(١) ابن حزم: الملل والنحل، الصفحة ٤٨.

(٢) انظر مقالتي في هذا الشأن: Glavni uzrok prelaza Bogomila na islam,Kalendar Narodne uzdanica za 1935.god.

إن كثيرًا من المؤرخين المحليين والأجانب يتبنون فكرة وجود نقاط تماس وتشابه كثيرة بين الإسلام والبوغوميلية، سببت انتقالهم السريع للإسلام. مثلاً: العالم الإنجليزي البروفسور سير توماس دبليو أرنولد (Sir Thomas W. Arnold) الأستاذ في جامعة لندن يقول في كتابه «تاريخ انتشار الإسلام»[١] بعد أن ذكر افتراضات بعض الأوروبيين: إن الدخول الكبير للبوغوميليين في الإسلام في بداية الفتوحات التركية كان بنية عودتهم لديانتهم في أول فرصة تتاح لهم، ولكن عندما لم يحصلوا على هذه الفرصة فإن نيتهم هذه ضعفت وزالت. ثم ذكر أرنولد تحديدًا: إن هذا الافتراض كان تخمينًا ولا يمكننا الاعتماد عليه كدليل قاطع. نحن نظن أن السبب الأقوى للدخول الجماعي للبوغوميليين إلى الإسلام جاء لكونهم أميل للإسلام بسبب النقاط الكثيرة الموجودة في اعتقاداتهم والتي تتشابه مع الديانة الإسلامية. فهم مثلاً كانوا يرفضون عبادة -مريم عليها السلام- والتصليب[٢] وكل أنواع رجال الدين، ونفروا من الصليب كرمز ديني؛ كما كانوا يعتقدون بأن التوجه بالصلاة لصور وتماثيل القديسين هو نوع من عبادة الأوثان. وبعكس الكنائس الكاثوليكية التي كانت مزينة ومزخرفة بالصور، كانت كنائسهم بسيطة ومتواضعة. كما كان لهم رأي سيئ بخصوص أجراس الكنائس

(١) ترجمه للغة التركية السيد خليل خالد، وترجم السيد درويش كوركوت أجزاءه الستة الأولى للغة البوسنية. تم نشر الترجمة بالتدريج في السنة الأولى والثانية والثالثة لمجلة «الجماعة الدينية الإسلامية».

(٢) التصليب: هو نوع من الصلاة المسيحية، وهناك اختلاف بين الطوائف المسيحية في كيفية التصليب بعدة أشكال: التصليب بإصبع، أو بإصبعين، أو بثلاث، أو بخمس. (المترجم).

التي وصفوها بأنها «مزامير الشياطين». وكانوا يؤمنون بأن عيسى عليه السلام لم يُصلب إنما صلب شخص آخر وهمي، وهذا يتفق جزئيًّا مع القرآن الكريم. كما أن تحريم المشروبات الكحولية والميل نحو حياة الزهد والبساطة تجعل البوغوميليين قريبين من الإسلام. وكانوا يصلون في اليوم خمس مرات وكثيرًا ما كانوا يركعون في صلواتهم، لذلك لم يحتاجوا إلى بذل جهد كبير لتعلم الصلاة في الجوامع[١]، هذه كانت ملاحظات العالم الإنجليزي الكبير أستاذ جامعة لندن البروفسور أرنولد.

من بين المؤرخين المحليين الذين يؤيدون هذه النظرية العالم بتاريخ البوسنة الدكتور تشيرو تروهيلك (Truhelk) حيث عرض رأيه في عدد من أعماله، خاصة في عمله «وصية الجوست رادين» و «جذور المسلمين البوسنيين»[٢]. أما من المسلمين فقد اعتمد المؤرخ الدكتور باشأغيتش (Bašagić) وغيره هذه النظرية[٣].

ولكن يجب التنوية إلى أننا لا نستطيع تأييد البروفسور أرنولد في كل ما ذكره، فبالرغم من أن ما ذكره ينطبق على البوغوميليين في بلغاريا وغيرها من الدول، فإنه لا ينطبق على البوغوميليين في البوسنة والهرسك، فمثلاً لا نستطيع القول بأنهم كرهوا الصليب كرمز ديني؛ لأن الصليب كان موجودًا في عدد من

---

(١) Glasnik Islamske vjerske zajednice,god.III,p.345.

والترجمة التركية ص ٤٠٢.

(٢) الصادر في سراييفو، الصفحتان ١١-١٢.

(٣) Kratka uputa u proslost Bosne i Hercegovine,p.18.

كتبهم، ويمكننا تعليل ذلك بأنه مع مرور الوقت ضعفت حماستهم واعتمدوا حلولاً وسطًا مع الطائفتين المسيحيتين.

وإذا لم نتفق مع أرنولد في بعض آرائه، فهذا لا يعني أننا نرفضها جميعًا.

لقد ذكرنا سابقًا رأيين حول الديانة في البوسنة قبل الأتراك: الأول كان يؤكد أن الديانة الرئيسية كانت البوغوميلية أو الباتارينية، في حين أن البوسنيين كانوا يسمون أنفسهم بالمسيحيين؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها الديانة العيسوية الرسولية الحقيقية الوحيدة. أما بيترانوفيتش (Petranović) وغلوشاتس (Glušac) فكانا يصران على أن الديانة الأرثوذكسية هي التي سادت في البوسنة.

وسنعرض هنا رأيًا ثالثًا كان يسانده ياروسلاف شيداك (Jaroslav Šidak)، وهو كاثوليكي كرواتي، ذكره في كتابه «مشكلة الكنيسة البوسنية في علم التاريخ من بيترانوفيتش إلى غلوشاتس»[١]. حيث استطاع أن يفند أطروحة غلوشاتس إلى حد ما. وتوصل إلى أن الكنيسة البوسنية لم تكن أرثوذكسية مع عدم اعترافه بأنها كانت بوغوميلية. وحسب رأيه فإن الكنيسة البوسنية كانت كنيسة مسيحية حقيقية وليست هرطقية. ففي بداية استقلال دولة البوسنة كانت تنتمي إلى كنيسة الروم الكاثوليك. إلا أن الرابطة مع كنيسة الروم الكاثوليك كانت ضعيفة ولم تتمكن الكنيسة من مواجهة الحركة الشعبية الدينية في القرنين

(١) Rad Jugoslovenske akademije u Zagrebu,knjiga 259,1937.

الثاني عشر والثالث عشر، لذلك فإن الكنيسة البوسنية أصبحت مستقلة بشكل كامل بدون أي تأثير خارجي عليها.

وهكذا ينتهي شيداك إلى أن الكنيسة البوسنية هي كنيسة بوسنية فقط، فليست أرثوذكسية ولا كاثوليكية بالرغم من أنها في البداية كانت فرعًا من الكاثوليكية.

وقد حاول الأسقف سفيتيسلاف دافيدوفيتش (Svetislav Davidović) تفنيد نظرية شيداك وتأكيد نظرية غلوشاتس، ولكن بدون أي أدلة حقيقية[١].

انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك

يمكننا الانتقال للحديث حول أسلمة البوسنة والهرسك وانتشار الإسلام في هذه المناطق. لقد حاول الكثيرون عرض الوضع بطريقة مغرضة ومختلفة عما هو عليه الحال. ففي الكثير من المقالات والأعمال التي تخص هذا الموضوع تم تشويه الحقائق ونشرها بالشكل الذي يخالف الحقيقة، وبالرغم من ذلك فهناك أعمال موضوعية تقارب الحقيقة، ولكنها للأسف قليلة ولا تفي بتوضيح الوضع بشكل مناسب، وسأحاول تركيز الضوء على هذا الموضوع بالرغم من فقر وقلة المواد المتوفرة.

(١) “Srednjovjekovna bosanska cerkva” nije bila bogomilska ni patarenska”,Bratsvo,god. XIV,br.10-12,1938,Sarajevo.

لقد نقل الأتراك العثمانيون الإسلام إلى البوسنة والهرسك، ولا توجد أي دلائل تشير إلى وجود أي أثر للإسلام في البوسنة والهرسك قبل وصول العثمانيين.

فالعرب الذين وصلوا إلى شواطئ البحر الأدرياتيكي، والإسماعيليون الموجودون في المجر، والمسلمون الموجودون في مقدونيا لم يتمكنوا من ترك أي أثر في البوسنة والهرسك.

لقد احتكت السرايا العسكرية التركية بالبوسنة والهرسك قبل خمس سنوات من معركة قوصوة (كوسوفا الشهيرة). ففي عام ١٣٨٤م وصل تيمورتاش باشا (Timurtaš) مع جيشه وخرب وسلب ونهب في شرق البوسنة.

وبعد معركة قوصوة (كوسوفا) أرسل السلطان بيازيد (Bajezit) في ربيع ١٣٩٠م يجيت باشا (Jigit) مع جيشه، حتى إن البعض يؤكد أن السلطان بيازيد نفسه وصل البوسنة مع جيشه. وفي عام ١٣٩٦م وصلت سرايا الجيش التركي عبر سلافونيا (Slavonija) إلى منطقة شتايرسكا (Štajerska).

وقد استمرت الحملات التركية على البوسنة بعد وفاة السلطان بيازيد، حيث وصل الجيش التركي عام ١٤١٤م إلى منطقة جورني فرباس (Gornji Vrbas)، وتمركزت وحداته في منطقة بوسانسكا سكوبليا (bosanska Skoplja)، بالقرب من مدينة دوني وقف (Donji Vakuf).

وفي عام ١٤١٥م وصلت الوحدات التركية إلى منطقة لاشفا (Lašfa). وفي عام ١٤١٦م وصل العثمانيون إلى هوم (Hum) (الهرسك حاليًّا) وإلى مشارف مدينة دبروفنيك (Dubrovnik) على شواطئ الأدرياتيكي.

ومنذ ذلك الحين بقي الأتراك بشكل مستمر في البوسنة، وسقطت مدن فوتشا (Foča) وبليفليا (Pljevlje) وتشاينيتشا (Čajniče) ونيفيسينيا (Nevesenje) في أيديهم.

في عام ١٤١٨م فتح إسحاق باشا (Ishak) مدينتي فيشه جراد (Više Grad) وسوكول (Sokol).

في عهد السلطان مراد الثاني عامي ١٤٢٤م، و١٤٢٥م عسكرت القوات التركية في البوسنة. وفي عام ١٤٢٨م أخذت القوات التركية من آل بافلوفيتش[1] (Pavlovići) منطقتي هوديديد (Hodidjed) وفرهبوسنة (Vrhbosna). بعد ذلك بفترة وجيزة فقدت القوات التركية منطقة هوديديد، ولكن القائد العسكري التركي باراك (Barak) استعادها في صيف عام ١٤٣٥م.

ولا نزال نحتفظ بمرسوم (ferman) للسلطان مراد من عام ٨٤٦ هـ/

(١) البافلوفيون (Pavlovići) هي أسرة صربية معروفة باسم «يابلانيتشي» كانت تمتلك وتحكم شرق البوسنة، بدأت سلطتها تكبر في نهاية القرن الرابع عشر بقيادة الأمير بولس رادينوفيتش - المترجم.

١٤٤٢-١٤٤٣م يمنح بموجبه قطعة أرض في منطقة رومانيا (Romanija) لشخص يدعى شيرميرد (Širmerd) مقابل خدماته[١].

ثم فتح العثمانيون مدينتي زفورنيك (Zvornik) وسربرنيتسا (Srebrenica) (شمال شرق البوسنة) عام ١٤٣٦م، وقبل أن يفتح الأتراك البوسنة بالكامل سيطروا على نيفيسينيا (Nevesinje) وغاتسكو (Gacko) (جنوب شرق البوسنة) وزاغوريا (Zagorje) (شمال غرب البوسنة في كرواتيا)، وفوتشا (Foča) وأوستيكولينا (Ustikolina) وبودرينيا (Podrinja) (شرق البوسنة) وبليفليا (Pljevlje) (الجبل الأسود) وتشاينيتشا وفيشه جراد وسوكول وسربرنيتسا وزفزرنيك ووادي ميلاتسكا مع فره بوسنة «سراييفو لاحقًا» والتي تم فيها وضع الأسس الأولى للعثمانيين. وقد كان المسلمون وصلوا إلى جميع هذه المناطق بدون أدنى شك، وبدأت الجوامع بالظهور فيها.

ويعتبر جامع السلطان (Careva) أول جامع بني في سراييفو بدون أدنى شك ويسمى بالمصادر التركية القديمة الجامع العتيق (Džamii-atik)، وكانوا يطلقون هذا الاسم عادة على أول جامع يبنى في المنطقة. ولم يتم إثبات التأكيدات التي تقول بأن مسجد هاسيتشي حواء (Haseći Hava) ينتمي لذلك العهد. لأن هذه

---

(١) يوجد المرسوم الأصلي لدى عثمان سوكولوفيتش في سراييفو.

التأكيدات جاءت من التاريخ المنحوت على شاهدة قبر بانية المسجد، ولكن على الأغلب تم نحت هذا التاريخ في فترة لاحقة.

لقد بدأ الإسلام بالانتشار بين المواطنين والسكان في تلك الفترة، ولم يقتصر الدخول في الإسلام على العامة، إنما شمل المسئولين والنبلاء كذلك.

ففي وقفية[١] (vakufnama) إسحاق بك، والتي كُتبت قبل فتح البوسنة بعام واحد، أي في جمادى الأولى ٨٦٦ هـ، الموافق لفبراير عام ١٤٦٢م، ورد ذكر أرض بلبان بن بوغشين (Bogčin Balban sin)[٢]. وحسب رأي السيد فلاديسلاف سكاريتش (Vladislav Skarić)، فقد تم دفن بلبان بن بوغشين بن الكنيزستيبكا (Knez)[٣] في مقبرة تسرناتش (Crnać) في منطقة جورني كوتوراتس (GorniKotorac)، ويوجد نقش على الحجر الرخامي لقبره[٤]. كان بلبان نبيلاً وغنيًّا، وهذا ما نراه من «وقفية إسحاق بك»، حيث كان يمتلك جبل تربيفيتش (يطل على سراييفو اليوم) وغيره من الممتلكات في قرى سراييفو وحقولها، وقد اعتنق الإسلام مبكرًا.

---

(١) لدينا في البوسنة عدة مدن يدخل في تركيب اسمها الوقف دلالةً على دور الوقف في تأسيسها ونحوها مثل «دونيي وقف» Donji vakuf و«غونيي وقف» Gornji vakuf وغيرها [م. الأرناؤوط].

(٢) G.Elezovic,Tuski spomenici u sklju,Glasnik Skopskog naucnog drustva,knjiga I,sv.1,p.172.

(٣) الكنيز هو لقب يعادل لقب البارون (المترجم).

(٤) Vladislav Skaric,Sarajevo,pp.34,40

كما أن الإسلام انتشر في القرى كما انتشر في المدن؛ لأن «وقفية إسحاق بك» تبين وجود مقابر إسلامية في حقول سراييفو. وحسب رأي المؤرخين فإن «نصوح بك» بنى جامعه عام ١٤٥٢م. مما يعني أن الإسلام لم ينتظر الفتح الرسمي للبوسنة إنما انتشر في المدن والقرى قبل ذلك، وبدون أدنى شك فإن انتشاره كان سلميًّا بدون استخدام العنف؛ لأن الأتراك في تلك الفترة كانوا سياسيين أكثر منهم عسكريين، ولو استخدموا القوة في نشر الإسلام لأصبحت سمعتهم سيئة في دول الجوار.

في ربيع ١٤٦٣م، قام السلطان محمد الفاتح باجتياح البوسنة، واحتل جميع المدن الرئيسية والهامة فيها، سواء بالقوة أو بالاستسلام، ودخل مع جنوده العاصمة الملكية ياييتسا (Jajca)، حيث جرت عملية أسلمة سريعة، بحضور أكثر من ٣٦ ألف أسرة بوغوميلية إلى ياييتسا لتقديم الولاء والطاعة للسلطان الفاتح[١]. ونص قانون «الإنكشارية» على وجه التحديد على ما يلي: عندما دخل فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح -رحمة الله وبركاته عليه- البوسنة بجيشه المنتصر، وشاهد سكان هذا البلد وكل العالم قوة وقدرة السلطان المفدى، حضروا إليه وقدموا إليه الطاعة والولاء ودخلوا مباشرة في الإسلام. أُعجب السلطان المفدى بدخولهم الجماعي في الإسلام فقال «حسب علمي أن هؤلاء المواطنين

(١) Basagic,Bosnjaci i Hercegovaci u islamskoj knjizevnosti,p.3.

وحسب زنكسن فإن ٣٦ ألف أسرة بوغوميلية اعتنقت الإسلام آنذاك.

طيبون؛ لأنهم اعتنقوا الإسلام»، وسألهم أن يطلبوا منه ما يريدون، فرجوه أن يأخذ الفتيان منهم لتربيتهم وتعليمهم في إستانبول ليصبحوا موظفين كبارًا، فاستجاب السلطان لطلبهم، وأمر بجمع الفتيان لتربيتهم في القصور السلطانية. ووصل أكثرهم إلى رتب عالية ومناصب رفيعة[١]. وقد اعتنق نبلاء البوغوميليين الإسلام وتبعهم عامة الشعب. وتكرر هذا الحدث عند فتح الهرسك.

وكان من بين النبلاء الذين اعتنقوا الإسلام الابن الأصغر لهرسك ستيبان (Herceg Stjepan) ستيبان، الذي أصبح صدرًا أعظم باسم أحمد باشا هرسك زاده، وأبناء الملك ستيبان توم جيغموند (Žigmund) وكاترينا (Katarina) وغيرهم ممن كانوا ينتمون إلى كبار نبلاء هذه الدولة.

ومن هنا كان رأينا أن الإسلام انتشر في البوسنة والهرسك بسرعة على عكس دول الجوار، ويرجع السبب في ذلك إلى الدخول الجماعي للبوغوميليين في الإسلام. حتى إنه خلال فترة قصيرة اعتنق الجميع تقريبًا الإسلام. إن الكثيرين ممن كتبوا عن هذا الموضوع بدّلوا الحقائق التاريخية؛ لأنهم أرادوا إظهار أن المسلمين البوسنيين ليسوا السكان الأصليين للبوسنة والهرسك، إنما هم دخلاء عليها.

---

(١) Basagic,Bosnjaci I Hercegovaci,pp.4-5;Upota u proslost Bosne I Hercegovine,p.16.
وكانت النسخة الأصلية لهذا القانون الذي يعود إلى ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م في حوزة باشأغيتش.

وهكذا فهم يقولون: كان المسلمون يمثلون الأقلية في المدن في بداية الحكم التركي، وبعد حرب «فيينا» ١٦٨٣م، نزح المسلمون إليها من المجر وغيرها من الدول التي خسرتها تركيا.

ويتنبى بيتر جاكوفيتش (Petar Gaković) هذا الرأي في كتابه «إسهامات في تاريخ وإثنوغرافيا البوسنة». ويذكر الأسقف سفيتي سلاف دافيدوفيتش (Svetislav Davidović) في مقاله «الكنيسة البوسنية في العصور الوسطى لم تكن بوغوميلية ولا باتارينية»[١] بالحرف الواحد: إن مسلمي البوسنة والهرسك يشكلون الأغلبية في المدن؛ لأن عددًا كبيرًا من الأتراك وصلوا إليها، سواء كجنود أو كمهاجرين من المجر وكرواتيا وسلوفينيا ودالماشيا وصربيا والجبل الأسود عندما خسرت تركيا تلك الدول. ولا يوجد أي دليل على أن البوسنيين (المسيحيين) دخلوا في الإسلام بشكل واسع - كما يود راتشكي- بعد سقوط البوسنة والهوم (الهرسك اليوم) لأن المسلمين، وبالرغم من هرب الكثيرين من الأرثوذكس إلى دول الجوار أو اعتناق القليل منهم الإسلام، كانوا دائمًا -مثل الكاثوليك- هم الأقلية». هذا الاقتباس من كلام الأسقف دافيدوفيتش يبين أنه يريد - وكل من يشاطره الرأي- أن يظهر أن البوسنة والهوم (الهرسك اليوم) كانت أرثوذكسية قبل وصول الأتراك.

---

(١) Bratsvo,god.XIV,br.10-12.

إن هذه النقاشات كانت أشبه بالنقاشات الدعائية والسياسية للوصول للهدف المنشود أكثر من كونها نقاشات تهدف للتوصل إلى الحقائق التاريخية. وبعد أن ذكرنا سابقًا عدة أدلة على الدخول الجماعي في الإسلام في بدايات الحكم التركي، سنذكر الآن أدلة جديدة، لكي نؤكد أن الإسلام انتشر في المدن وفي القرى على حد سواء، وذلك في بدايات الحكم التركي.

لدينا عدد قليل من الوثائق المحفوظة من تلك الحقبة، وكل هذه الوثائق تخدم تأكيداتنا مثل وقفية إسحاق بك. ولدينا دليل من المحكمة الشرعية يعود للعام ٨٧٣ هـ (١٤٦٩م)، أي ست سنوات بعد فتح البوسنة، يُذكر فيه خلاف حول قطعة أرض بين شخص يدعى «داود بك» وفلاحين من قرية دوسينا في ناحية كريشيفو (Kreševo). وقد حكمت المحكمة الشرعية لصالح الفلاحين؛ لأن الأرض كانت ملكهم وورثوها عن آبائهم وأجدادهم. الفلاحون المذكورون هم حسين بن بولس ومحمد بن بولس وحسن بن راديفوي، يتبين لنا من أسماء هؤلاء الفلاحين أنهم اعتنقوا الإسلام بعد الفتح مباشرة. والمثير للاهتمام أن من بين الشهود في هذه القضية كان ستة مسلمين أعطوا آباءهم اسم «عبد الله». والجدير بالذكر أيضًا أن المسلمين كانوا يغيرون أسماء آبائهم غير المسلمين ويعطونهم اسم «عبد الله».

وقد وُجد هذا الدليل (حكم المحكمة الشرعية) لدى السيد صالح خوجه

سالجينوفيتش من قرية دوسينا في ضواحي مدينة كريشيفو (Kreševo)[١].

كما وصل إلينا أيضًا حكم قاضي مدينة زنيتسا (Zenica) من عام ٨٠٨ هـ (١٥٠٢ م)، والخاص بحل خلاف على قطعة أرض تابعة لأشخاص من مدينة بوبوفاتس (Bobovac)، حيث كان الشهود على هذا الخلاف من كبار السن من القرى المجاورة الذين عاصروا الفتح العثماني. فقد ورد ذكر جيفان وأبنائه ساروج وحسن، وكذلك دوبريشين وابنه علي، وبولس بوجيليا، وفوكاتش وأبنائه ساروج ونيكولا، وكلهم من قرية دارغوفيتش. ونرى من هذه الوثيقة ذكر أسماء مسلمين اعتنقوا الإسلام من القرى البوسنية المجاورة لمدينة بوبوفاتس. والمثير للاهتمام أن ساروج بن فوكاتش مسلم، في حين أن أخاه نيكولا لم يكن مسلمًا[٢].

وهناك حكم صادر عام ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) في الخلاف بين شاه بك بن شيرمرد (وقد أهدى السلطان مراد الثاني ١٤٤٢-١٤٤٣م هذا الشخص قطعة أرض في منطقة رومانيا بالقرب من سراييفو) وفلاحين من قريتي ميليتينا وبريشكوفيتش في منطقة رومانيا. كان من بين الشهود في هذه القضية سليمان بن بيلاكوف وكاراجوز بن بوليتش وإلياس بن رايكو ويوسف بن فوكوتين وعلي بن

(١) فقدت هذه الوثيقة بسبب إهمال البعض، ولكن تم كتابة النص بعناية، وذكره كاديتش في وقائعه، الجزء الأول، الصفحات ١٧٠-١٧٢، وهذا المخطوط موجود في مكتبة الغازي خسرو بك في سراييفو.

(٢) لدينا صورة لنسختين من هذه الوثيقة في أرشيف مكتبة الغازي خسرو بك في سراييفو تحت رقم ١٣٢٥.

بيلاكو وبالي بن بوليتش[١]. نرى أن الشهود الفلاحين في هذه القضية – وبأعداد كبيرة– كانوا جميعهم من المسلمين.

ولدينا في سجلات المحكمة في سراييفو من عام ٩٦٤ –٩٦٥ هـ (١٥٥٦–١٥٥٨م) عدد من قضايا «الوصايا» التي تم فيها ذكر الأنساب، يمكننا أن نستخدمها كوثائق. أهمها قضية أنساب لشخص يدعى «أوليا» من قرية دروزغوميتفا، حيث شهد الشهود على أنه ابن سليمان بن ميلودار بن فوتشين بن أوستويا. وكان الوزير الكبير المرحوم علي باشا هو ابن رادوشين بن فوتشين بن أوستويا، إذًا كان جدهم المشترك أوستويا[٢]. يعود هذا السجل إلى ٢١ جمادى الأولى ٩٦٤ هـ (١٥٥٧م). فإذا كان والد «أوليا» سليمان مسلمًا، فهذا يعني أنه اعتنق الإسلام بعد الفتح.

كان صديقي حمدي أفندي كراشفلياكوفيتش يعتقد أن هذا الأمر يتعلق بعلي باشا، الذي بنى جامع علي باشا في سراييفو، وبناء على ذلك كتب أن علي باشا من قرية «دروزغوميتفا». ولكن علي باشا ورد ذكره هنا على أنه الوزير الكبير وأنه «مرحوم»، ونحن نعلم من السجل المذكور[٣] بأن باني جامع «علي باشا» توفي بعد ذلك، أي في ١٧ صفر ٩٦٥ هـ (ديسمبر ١٥٥٧ م)، إذًا من الواضح أن

---

(١) الوثيقة الأصلية موجودة لدى عثمان أفندي سوكولوفيتش في سراييفو. وانظر حولها مقالة السيد سوكولوفيتش:
Iz nase proslosti-Najstariji poznati dokumenti,Gajret,br.6,1935,pp.99-101.

(٢) الصفحة ١٢٠ من السجل المذكور.

(٣) الصفحة ٣٩٠.

الحديث هنا عن «علي باشا» آخر. ونجد في قائمة كبار الوزراء لتلك الحقبة تعيين الوزير «خادم علي باشا» عام ٩٠٧هـ (١٥٠١م) الذي عزل عام ٩٠٩ هـ، وخلفه أحمد باشا هرسك زاده في الوزارة. وأُعيد «خادم علي باشا» لمنصب الصدر الأعظم في عام ٩١٢هـ وبقي في منصبه حتى مقتله عام ٩١٧ هـ (١٥١١ م). ولا تعرف المصادر التركية أصل الوزير خادم علي باشا، ولكن يمكننا إثبات أن هذا الوزير بوشناقي الأصل بناء على هذه الوثيقة.

بالإضافة إلى الأصول التي ذكرناها في هذا السجل، ورد أيضًا ما يلي: توفي في حي «سرَّاج علي» بسراييفو ابن بك بن شيرميرد بن راديتش. وظهر مراد بن تيمورهان بن إلياس بن راديتش وريثًا له[١]. وقد أبلغ قاضي زفورنيك قاضي سراييفو بأن الورثة هم أحمد بن لطفي بن ماركو الذي توفي في سراييفو، وعائشة وحليمة ابنتا حسين بن ماركو[٢].

ويتبين لنا من خلال وقفية (vakufnama) مصلح الدين تشيكيرتشيش Muslihudin Čekerekčije أن المدعو حسن بن ياتيجيف كان يمتلك دكانًا بالقرب من جامع «الغازي خسرو بك»، وكان تاريخ هذه الشهادة الوقفية يعود إلى ٩٣٢ هـ (١٥٢٦م)[٣].

(١) الصفحة ٩٧.

(٢) الصفحة ٢٣.

(٣) Kresevljakovic,Dzamija I vakufnama Muslihudina Cekrekcije,Sarajevo 1938,p.11.
والنسخة الأصلية للوقفية محفوظة في أرشيف مكتبة الغازي خسرو بك.

ولنكرر مرة أخرى: هناك القليل من الوثائق من تلك الحقبة، ولكن هذا العدد القليل من الوثائق يمكن أن يستخدم كدليل ضد التأكيدات المغرضة لانتشار الإسلام في البوسنة والهرسك.

إن أغلب الأمور التي ذكرناها كانت تخص العامة من الفلاحين أو المدنيين، بينما أغفلت ذكر النبلاء الذين اعتنقوا الإسلام وأثبتوا وجودهم في المناصب العليا[(١)].

إن الكثيرين يتناسون شيئًا عندما يؤكدون أن المسلمين في البوسنة والهرسك هم غالبًا أهل المدن، صحيح أنهم كانوا يمثلون الأغلبية في المدن، إلا أنهم كانوا يمثلون أيضًا ثلث عدد المسلمين في البوسنة والهرسك، أما الباقي فهم من سكان القرى، هذا التأكيد يأتي من خلال الإحصاءات.

ويلاحظ في الفترة الأخيرة أن عدد المسلمين في المدن بدأ في الازدياد، وذلك لأن القوة الاقتصادية للمسلمين قد ضعفت بالنظر إلى الآخرين، أو تم إضعافها من قبل غير المسلمين مما جعلهم يبحثون عن وضع أفضل في المدن.

ذكر دافيدوفيتش وغاكوفيتش وغيرهما أن كثيرًا من الأتراك سكنوا في البداية في المدن. إن هذه اختلاقات وأكاذيب لا يستطيعون هم أنفسهم إيجاد

---

(١) يمكننا إيجاد عدد من النبلاء في بحث تروهيلكا: O porijeklu bosanskih muslimana,p.9.

الأدلة عليها؛ لأن عدد الأتراك لم يكن بهذا الحجم الذي يستدعي رحيلهم إلى البوسنة واستيطانهم بها. لقد ترك الأتراك وحداتهم داخل القلاع بالرغم من أن أغلبهم لم يكونوا من الأتراك الأصليين. بالإضافة إلى أن عدد هذه الوحدات كان غير كافٍ. فمثلاً: من المعلوم أنهم تركوا في منطقة زفيتشاي على نهر الفربس ٥٠ من الرماة و٣٠ جنديًّا، وإذا كنا نعرف أن زفيتشاي كانت قلعة حدودية مع المجر، عندها نرى أن الأتراك تركوا أعدادًا قليلة من وحداتهم البشرية في البلاد. فحسب هذه النسبة نحن نقدر أنهم تركوا في البلاد المفتوحة حوالي عدة آلاف من الأتراك الأصليين فقط.

والدليل على عدم وجود فائض في عدد العثمانيين يمكنهم من تشكيل مستعمرات في البلاد المفتوحة، هو تصرف السلطان محمد الثاني عندما فتح مدينة يايتسا وغيرها من المدن، فقد أرسل ثلث سكانها إلى القسطنطينية ليسكنوا هناك ويملؤوا الفراغ الذي حصل بسبب هرب اليونانيين، وتابع هذه السياسة خلال فتوحاته التالية؛ وخاصة المدن اليونانية[1].

بالإضافة إلى هذا فبعد فتح البوسنة بحوالي ٧٠ سنة، تم فتح المجر، وقد سكن البوسنيون المسلمون كثيرًا من أرجاء المجر وكانوا يتكلمون اللغة البوسنية.

وذكر الرحالة التركي إوليا جلبي (Evlija Čelebi) الذي زار المجر

(١) Truhelka,ibid,pp.6-7.

عام ١٦٦٠-١٦٦١م، أي قبل حرب فيينا، أن سكان مدينة بيتشوه (Pečuh)[(١)] وسكان مدينة بودا (Budim) كانوا جميعًا من البوشناق[(٢)]، وسكان شيكلوش (Šikloš) يتحدثون اللغة المتترَّكة (poturski)[(٣)]، وحسب رأيي كان يقصد باللغة المتتركة لغتنا، أي لغة البوشناق. بالنسبة لسكان سيجيتفار (sigetvar) فقد قال بأن بشرتهم بيضاء وهم بوشناق[(٤)]. بينما قال عن سكان مدينة كانيجا (Kaniža) أنهم بوشناق، ويتكلمون عدة لغات، على رأسها اللغة البوسنية[(٥)]. فلو لم يكن في البوسنة والهرسك بعد الفتح مباشرة كثير من المسلمين من الدم السلافي واللغة البوسنية، لما تمكنوا من الاستيطان في تلك الأماكن المجرية، وتحدثوا باللغة البوسنية.

وهذا دليل قاطع آخر على تأكيداتنا، فأغلب الجوامع في البوسنة والهرسك تم بناؤها قبل حرب فيينا بكثير، وهذا يعني أن الحاجة كانت ملحة لهذا العدد الكبير من الجوامع بسبب كثرة عدد المسلمين في المدن وفي القرى. فقد تم بناء ٩٨ جامعًا من أصل ١٠٤ جوامع في سراييفو قبل عام ١٦٠٠م، وتقريبًا تم بناء نفس العدد في موستار وبانيالوكا وفوتشا وروجاتيتسا وترافنيك وغيرها من المدن

---

(١) Evlija Celebi,Sejahatname,sv.VI,p.201.

(٢) المرجع السابق، الجزء السادس، الصفحة ٢٤٧.

(٣) المرجع السابق، الجزء السادس، الصفحة ٥٠٣.

(٤) المرجع السابق، الجزء السادس، الصفحة ٥١٦-٥١٧.

(٥) المرجع السابق، الجزء السادس، الصفحة ٥٣٤.

والقرى في أنحاء البوسنة والهرسك. وهناك الكثير من الجوامع القروية التي تحتوي على التقاليد الحية في تلك المناطق منذ الفتح.

إن غلوشاتس (Glušac) وأمثاله ممن يمتلكون نفس النوايا يريدون القول إن المسلمين في البوسنة والهرسك هم من الدخلاء، وإن العناصر الأرثوذكسية هم المواطنون الأصليون، في حين أن الوثائق التاريخية تثبت عكس ذلك. وإذا لم تكن هذه الوثائق التاريخية موجودة، فيكفي دليلاً لتأكيدنا وجود لغة البوسنيين المسلمين النقية، التي لا تحتوي على عناصر من اللغة التركية كما تحتويها لغة الصرب الأرثوذكس بالرغم من استقلالهم من السلطة التركية قبلنا. يقول الدكتور تروهيلك (Truhelk): «إذا تم اعتبار أن السلالة السلافية التي سكنت جنوب أوروبا هي أولى ممثلي البشرة البيضاء، وصفاتها الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين[١]، نجد أن المسلمين هم أكثر من يحمل هذه الصفات، أي أن المسلمين هم أنقى السلافيين في البوسنة[٢]. وقد تجاهل غلوشاتس وأمثاله مثل هذه الأدلة.

عندما أثبتنا بالأدلة التاريخية القاطعة أن البوشناق اعتنقوا الإسلام أفواجًا، فُرض علينا سؤال عن الطرق التي استخدمها الأتراك لنشر الديانة الإسلامية.

---

(١) يمثل ذوو العيون السوداء من المسلمين ٤٧٪ من سكان البوسنة والهرسك، ومن الكاثوليك يمثلون ٤٧٪، في حين أن الأرثوذكس يزيدون بنسبة ١٠٪، أي ٥٧٪. أما الشعر الفاتح فيمثل لدى المسلمين ١٢,٣٠٪، ولدى الكاثوليك ٩,٢٤٪ ولدى الأرثوذكس ٧,٧٧٪ فقط.

(٢) Truhelka,O porijeklu bosanskih muslimana,19.

إن أول ما يجب إبرازه هنا أن الحديث عن تتريك البوسنيين النصارى بالعنف في عصر الفتوحات لا أساس له من الصحة إطلاقًا(١). فقد تم اختلاق مثل هذه الأحاديث ونسبتها للحقائق التاريخية من قبل أناس لا يهتمون بالحقائق التاريخية أصلاً.

هناك الكثير من الوثائق التي تؤكد ذلك، خاصة «عهدنامه» الذي ضمن به السلطان محمد الفاتح الحرية الدينية للرهبان البوسنيين(٢). يوجد هذا الميثاق في دير فوينيتسا (Fojnica). ولا يوجد أي دليل على أن هذا الميثاق مزور. فقد كان السلاطين الأتراك دائمًا يشيرون إليه. ويوجد في كتاب كيمورين «تاريخ الكاثوليك البوسنيين» خمس وثائق تشير إلى هذا الميثاق، منها ثلاثة مراسيم (ferman)، وحكم سلطاني (bujuruldija) وعرض حال (arzuhal). كما أن باقي السلاطين قبل محمد الثاني وبعده أصدروا مواثيق مشابهة. وكان السلطان محمد الثاني عندما فتح البوسنة وجد بالإضافة إلى البوغوميليين قليلاً من الكاثوليك.

---

(١) وقد بحث الدكتور تروهيلك (Truhelk) هذه الحقيقة بشكل مفصل في كتابه المذكور أعلاه (الصفحات ٧-١٢). في حين أن سكاريتش في مقاله «انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك»، يبدأ مقاله هكذا: «من الخطأ الاعتقاد أن الإسلام انتشر فجأة وبالقوة في شبه جزيرة البلقان. هناك الكثير من الأدلة على عدم حدوث ذلك. أنا سأذكر سببًا واحدًا، ما كان القرن التاسع عشر ليشهد نصرانيًا واحدًا ولا حتى كنيسة واحدة أو ديرًا لو أن الإسلام انتشر بعنف الدولة. الإسلام انتشر بالدعوة والعلاقات الإنسانية».

Skaric,Sirenje islama u Bosni I Hercegovini,Kalendar Gajreta za 1940,p.29.

(٢) Kasim Gujic,Osvajac Bosne sultan Mehmet II i bosanski franjevci,Zagreb 1935; Kemura,Biljeske iz proslosti bosanskih katolika,Sarajevo 1916,pp.4-7.

وحسب معتقدات البوغوميلية لم يكونوا يمتلكون كنائس على عكس الكاثوليك الذين كانت لهم كنائسهم. وقد دخل البوغوميليون في الإسلام مباشرة، في حين أن الكاثوليك هم الذين طلبوا الحماية لكنائسهم وممارسة طقوسهم، وقد حصلوا على ما طلبوا.

لقد كان الأتراك يعرضون على غير المسلمين الدخول في الإسلام، وبدون شك فعلوا ذلك عندما دخلوا البوسنة، بالرغم من عدم وجود أي اتفاق بين الأتراك والبوغوميليين قبل فتح البوسنة، وبقي على كل فرد أن يقبل العرض التركي أو أن يرفضه، ولم يكن هناك أي غصب في ذلك.

ولدينا في مخطوط كُتب عام ٩٩٣هـ (١٥٨٥م)، ونُسخ عام ١٠٥٠هـ (١٦٤٠م) جزء يخص انتشار الإسلام في البوسنة والبوسنيين المُتَترِّكين. هذا الجزء يحتوي على عدة حكايات حول المُتَترِّكين. وقد نشرتُ هذا الجزء في «الكتاب السنوي لجمعية الأمل الوطني» لعام ١٩٣٨. وأعتقد أن هذا الجزء مهم من الناحية التاريخية على الرغم من أن الكاتب لم يكن يهدف إلى تسجيل معلومات تاريخية فيه، إنما كان يهدف إلى سرد حكايات وقصص يخلط فيها النثر مع الشعر، حيث ذكر أن الديانة المسيحية وقانون المسيح كانا في البوسنة قبل دخول الأتراك، وعندما دخل العثمانيون البوسنة أرسلوا «مسيح باشا» (توفي عام ٩٠٧هـ / ١٥٠١م) ليقوم بوضع القوائم وتسجيل المواطنين، فوجد السكان يعيشون في خوف من الضرائب

الكبيرة (الجزية)، فطلب من الباب العالي أن يعفيهم من الجزية، ولكن طلبه لم يقبل؛ لذلك، وبالاتفاق مع الأعيان، أصدر قرارًا ينص على أن من يغير اسمه ويحمل اسمًا مسلمًا سيسامح من دفع الجزية؛ فقام الكثيرون بترجمة أسمائهم (لا بتغييرها) إلى التركية فمثلاً: جيفكو أصبح يحيى وفوك أصبح كورت وجفوزدان أصبح تيمور، وتم إلغاء الجزية عنهم وذهب الخوف عن السكان. واقتصرت الضريبة على دفع قطعة ذهبية واحدة.

بعد هذا انقسم السكان إلى ثلاث مجموعات: مسلمين حقيقيين ومسيحيين ومتترّكين، ويفسر الكاتب أن «المتتركين» هم نصف أتراك، أي نصف مسلمين. وللمتتركين سجلات مضاعفة، فهم مسجلون لدى المشايخ ولدى القسيسين، وهم يترددون ولا يعرفون لأي طرف يميلون. وقد هاجمهم الكاتب وتحدث عنهم بكلمات سيئة، وربما هدف بذلك إلى إصلاحهم وإدخالهم في الإسلام بصدق[١]. فإذا نظرنا إلى هذا المخطوط على أنه وثيقة تاريخية، نستطيع عندها أن نثبت وجود نوع من الدعاية للإسلام، وأن البعض دخلوا الإسلام لأسباب مادية. المثير للاهتمام هنا أن هذا الأمر تم بنصيحة من كبار السن (الاختيارية). ومجرد تعبير «كبار السن» (الاختيارية) يجذبنا لأنه له صلة بالبوغوميلية. ونحن نعرف أن كل من دخل الإسلام في الفترة الأولى كانت له امتيازات أكثر من أولئك الذين بقوا على ديانتهم، ولكن في نفس الوقت نرى

(١) Kalendar Narodna uzdanica za 1938,pp.29-45.

أن من بقي على ديانته لم يُتخذ بحقه أي إجراء عنيف، بل على العكس فقد تم تسليمهم مهام ومناصب حساسة مثل الفرسان (sipahi) وحكام النواحي وحراس القلاع وجنود وضباط في جميع فروع الجيش باستثناء الإنكشارية كما أكد تروهيلك (Truhelka) وتشوروفيتش وسكاريتش[١].

إننا لا ندري هل كانت هناك دعاية من قِبل علماء الدين في البدايات، ولكن نعتقد أن العلماء ورجال الدين والمثقفين بدؤوا ينشطون بعد اعتناق المواطنين للإسلام، حيث كان من اللازم تعليم الدين للمسلمين الجدد. وربما بدأت دعايتهم للإسلام تنتشر بين غير المسلمين. يُذكر أن كاتب السِّير الكبير الحاج محيي الدين محمد بن عمر بن حمزة بن إنتيوهيا (توفي عام٩٣٨هـ/ ١٥٣١م في بروسي) والذي بنى جامعين في سراييفو، موجودين حتى يومنا هذا، يُذكر أنه قبل عام ٩٣٢هـ عاش في مدن الروملي وسكوبليه وسراييفو أكثر من عشرة أعوام ليترجم معاني القرآن الكريم والتعاليم الدينية، وفي تلك الفترة اعتنق كثير من السكان الإسلام[٢]. ويُحكى كذلك أن عيواظ ديده[٣] (المعروف في البوسنة، وحتى يومنا هذا يقوم مسلمو البوسنة بالحج إلى مقامه بالقرب من

(١) Truhelka,O porijeklu bosanskih muslimana,p.9;Corovic,Bosna i Hercegovina,p.64; Skaric,Sirenje islama u Bosni i Hercegovini,calendar Gajret za 1940,pp.29- 33.

(٢) كتاب الشقائق النعمانية (على هامش ابن خلكان) الجزء ١، ص ٤٦٤.

(٣) شخصية دينية بوسنية، معروفة لكونه بدعائه لله تعالى أدخل الماء لمدينة بروساتس التي حالت صخرة كبيرة دون ذلك، وقد استجاب الله لدعائه وانشطرت الصخرة الكبيرة ومرت المياه من خلالها للمدينة. (المترجم).

مدينة بروساتس) حضر مع السلطان محمد الفاتح وسكن في مدينة بروساتس، وأن كثيرًا من سكان تلك المنطقة اعتنقوا الإسلام بفضله، وأن قرية «فسالا» دخلت بالكامل مع كاهنها في الإسلام. وقد درس هذا الكاهن على يد عيواظ ديده وأصبح حافظًا للقرآن الكريم، وعينه عيواظ ديده كمعلم في تلك القرية[١]. وهناك العديد من هذه القصص التقليدية الموجودة لدى شعبنا[٢].

إن وجود المتتركين (أنصاف المسلمين) في الفترة التي كتب فيها الكاتب المذكور مخطوطه الخاص بانتشار الإسلام في البوسنة والهرسك (عام ١٥٨٥م) يبين أن السبب في وجودهم يعود إلى قلة عدد الأئمة والوعاظ، وهو ما يلمح له الكاتب في إحدى الطرائف المذكورة في هذا المخطوط.

بعد التمعن في كل ما عرضناه، نجد أن سؤالاً يفرض نفسه حول الأسباب الحقيقية التي ساهمت في نشر الإسلام بهذه الطريقة في تلك المناطق. قبل كل شيء يجب أن نعرف، وكما قلنا سابقًا، أن البوسنة قبل وصول الأتراك كانت معقلاً لنزاعات دينية مريرة. حيث دار النزاع بين ثلاثة مكونات دينية أساسية هي البوغوميلية، وكانوا بوشناقيين حقيقيين، والكاثوليك، وبعض الأرثوذكس. وكان

---

(١) Mehmet Hulusija,Uvejs-dede,Bosna ve Hersek vialjet- salnamesi,za god.1305(1887).

(٢) يمكن ذكر قصيدة الشاعر هوائي (توفي عام ١٦٥١م) بالرغم من أنها من وقت متأخر، حيث يدعو فيها غير المسلمين إلى الإسلام بطريقة مؤثرة. القصيدة مؤلفة من ٢٥ مقطعًا، كل منها يحتوي على ٤ أبيات، وكل مقطع ينتهي بـ «تعالوا معنا إلى الدين».

الكاثوليك يتلقون الدعم من المجريين الذين حاولوا أن يكون لهم تأثير سياسي على البوسنة بواسطة العامل الديني، وكانوا يشكلون السلطة العليا فيها منذ عام ١١٣٦م. كان هناك تياران سياسيان قبيل وصول الأتراك إلى البوسنة هما: الكاثوليك الذين اعتمدوا على المجريين وحافظوا على صلاتهم معها. والبوغوميليون الذين كانوا يتطلعون للأتراك كعنصر مرحب به ليساعدهم على التخلص من نفوذ المجر. حتى إن بعض نبلاء البوغوميليين دعوا الأتراك ليفتحوا بلادهم.

ومن المفهوم هنا لماذا لم يكن البوغوميليون يؤيدون المجر والكاثوليك الذين قاموا عدة مرات بتجهيز حملات صليبية ضد البوسنة. بالإضافة إلى أن البوغوميليين كرهوا الديانة الأرثوذكسية بسبب مطاردتها لهم كما ذكرنا سابقًا. فقد لاحظ البوغوميليون أن الأتراك يتمتعون بالعدالة والتسامح الديني والمساواة، وأنهم بكل رضى يتركون إدارة البلاد المفتوحة لسكانها الأصليين إذا اعتنقوا الإسلام، وأن الحضارة التي جلبها الأتراك معهم كانت تجذب البوغوميليين، وكذلك المجد الذي يمكن أن يصلوا إليه مع الأتراك ولو لم يكونوا من أصل تركي، مثل الوزير الكبير محمد باشا الذي حضر مع الجيش التركي إلى البوسنة وكان من دم سلافي، بالإضافة إلى كل هذا فإن الدين الإسلامي كان بحد ذاته مفهومًا وديمقراطيًّا وغير معقد، ولا يوجد به رجال دين مميزون ومعصومون يديرونه، فكل من يعرف هذا الدين يمكن أن يكون معلمًا له، مع وجود تشابه في الكثير من التعاليم الدينية بين الإسلام والبوغوميلية كما ذكرنا سابقًا، كل هذه

الأمور توضح أسباب انتشار الإسلام بين البوغوميليين بهذه السرعة في البوسنة والهرسك.

وبالطبع إن عدد المسلمين في البوسنة والهرسك تغير مع الزمن، ازداد أحيانًا، وقل أحيانًا أخرى. ازداد عندما دخل أفراد جدد في الإسلام، بينما بقي عدد من البوغوميليين على ديانتهم لفترة من الزمن. وبسبب الهجرة من دول الجوار إلى البوسنة بعد انسحاب الأتراك منها بعد حرب «فيينا» ١٦٨٣م، عندما خسر الأتراك المجر، وبسبب هجرة أغلب البوشناق الذين كانوا يقيمون هناك. كما حدثت هجرة أخرى للبوسنة بعد قيام جمهورية البندقية باحتلال دلماسيا، حيث إن أغلب المهاجرين جاؤوا من مدينة ليكا (Lika)، بعد ذلك حدثت هجرات مماثلة من الجبل الأسود وصربيا.

كما أن عدد المسلمين في البوسنة والهرسك في بعض الأحيان قد انخفض بسبب ضحاياهم خلال الحروب التي قادتها تركيا؛ لأنهم كانوا يشكلون جزءًا كبيرًا من جيوشها. ففي كتاب رفعوه إلى السلطان ذكر البوشناق الذين خاضوا معركة بانيالوكا عام ١٧٣٧م أن من بين ٥٢٠٠ جندي وبطل بوسني ذهبوا إلى «أوزيا» عاد ٥٠٠ جندي فقط[١]. وكان هناك الكثير من هذه المعارك، بالإضافة إلى ظهور الأمراض المعدية والطاعون الذي حصد الكثير من مسلمي المدن.

---

(١) Kresevljakovic,Bitka pod Banjom Lukom 4.VIII.1737,p.18.

وجاء في الكتاب المذكور للسلطان: أنه قبل خمس سنوات توفي أكثر من ٢٠ ألف بطل بسبب الطاعون.

إن الطاعون حصد المسلمين في القرى كذلك، ولم يتم توطين مسلمين جدد بدلاً عنهم فيها، في حين جاء مواطنون أرثوذكس جدد بدلاً من الذين ماتوا بمرض الطاعون. فقد ذكر سكاريتش[١] بأن ١٠,٥٪ من سكان حقول سراييفو وضواحيها المسلمين كانوا من آباء مهاجرين، في حين أن ٣٤٪ من الأرثوذكس كان آباؤهم مهاجرين من مدن الهرسك مثل بيليتشا وغاتسكو وكولاشين وكذلك من الجبل الأسود.

كما أن الهجرة من البوسنة إلى تركيا في السنوات الستين الأخيرة قللت من عدد المسلمين، حيث فقدت البوسنة والهرسك حوالي ١٠٠ ألف مسلم.

وتفيدنا المعطيات التاريخية أن من يفي من البوغوميليين قد اعتنقوا الإسلام لاحقًا، وهكذا يؤكد الدبلوماسي الإنجليزي ريكاونت (Ricaut) في النصف الثاني من القرن السابع عشر بأن البوغوميليين البوسنيين لم يذوبوا في بوتقة الإسلام بشكل كامل، حيث إنهم يؤمنون بمحمد ﷺ ويقرؤون القرآن الكريم ولكن كانوا يشربون الخمر في رمضان[٢]. ويتشابه ما يسوقه ريكاوت هنا

---

(١) Sarajevo i njegova okolina,p.16.

(٢) Ricaut,Histore de l’Etat present de l’empire Ottoman,Amsterdam 1670,p.288.

إلى حد كبير مع ما جاء بالمخطوط التركي الذي تم فيه ذكر «المتركون» وتسجيلهم المزدوج كمسلمين ومسيحيين. في أحد سجلات موستار الذي يعود إلى ما بعد عام ١٦٠٠م الكثير من الأسماء الإسلامية لأبناء، أسماء آبائهم غير إسلامية، مما يعني أن انتشار الإسلام في منطقة وادي نيرتفا (الهرسك) تأخر مقارنة مع البوسنة. ذكر فوليتيتش فوكاسوفيتش (Vukasović) في ملاحظاته الخاصة بثقافات السلافيين الجنوبيين[١]: أخبرني الأب المشهور جرجا مارتيتش بأنه كان يعرف رجالاً محمديين، كانوا يسمون بأسماء تركية وكانوا بوغوميليين ضمنًا. كانوا يمارسون طقوس ديانتهم البوغوميلية، ولم يكونوا يذهبون للجامع. وحسب ما أشار لي الأب مارتيتش فهم من أواخر البوغوميليين في مدينة «يابلانيتسا»، حتى يمكنني القول إنهم من قرية «دريجنيتسا» على ضفاف نهر «دريجانكا». هذا ما كتبه فوكاسوفيتش قبل ٤٣ سنة. وقام إبراهيم بك باشأغيتش بإرسال المشايخ بالقوة إلى دريجنيتسا لأن الفلاحين هناك لم يعرفوا شيئًا عن الإسلام. وتعتبر الملاحظة التالية لابرشية الهرسك لعام ١٨٦٧م هامة، وترجمتها تعني: «إن أسرة هيليش (Heleš) من قرية دوبوتشانس (كوتور كونييتس الحالية) هي آخر أتباع البوغوميلية واعتنقت الإسلام قبل عدة سنوات»[٢]. وحسب تصريح السيد

= والاقتباس هنا مأخوذ من:

Dr.Kamer,Kardinal Torquemada i tri bosanska bogomila,p.36.

(١) Dubrovnik,1897,p.112.

(٢) Corovic,Bosna i Hercegovina,p.46.

مارتيتش والذي سجله الدكتور يلينيتش في كتابه «الباتارينيون في البوسنة» (De Patarenis Bosnae) يتضح أنه بعد احتلال نيريتفا بقي ستة عشر بيتًا باتارينيًّا. وذكر المطران كوسانوفيتش بأنه كان لا يزال يعيش بالقرب من مدينة «كريشفو» بعض الباتارينيين. وصرح أزبوث بأنه سمع بوجود باتارينيين بالقرب من «كريشفو» وبالقرب من «رامه»[١] في عصره. كما سجل محمد بك قبطانوفيتش ليوبوشاك عام ١٨٨٧م في مجلة «نارودنو بلاغو Narodno blago»[٢]: يوجد حتى يومنا هذا بالقرب من «رامه ونيريتفا» فلاحون محمديون حافظوا على طقوسهم من عهد البوغوميليين، وهو يقومون بممارستها عن ظهر قلب خلال اجتماعاتهم العائلية[٣].

ولدينا الكثير من هذه الأخبار التي يمكن أن تكون دليلاً جيدًا على أن الإسلام في قرى مدينة «كونيتس» انتشر في وقت متأخر. ويؤكد ذلك أن نساءهم لا يرتدين الحجاب حتى يومنا هذا. كل هذه الأمور جعلتني أسأل أحد الفلاحين المطلعين وهو عثمان زيليتش من ضواحي كونيتس، على الأغلب من قرية «بييله»، عن التقاليد التي احتفظ بها سكان تلك المناطق بعد اعتناق الإسلام.

---

(١) Bosnien und Herzegowina,p.93.

(٢) الصفحة ٢٣٩.

(٣) انظر مقالة محمد حاجي ياهيتش «انتشار الإسلام لدى المسيحيين البوسنيين»: Obzor od 31.prosinca 1937.

فأجابني بالآتي: «وصل السلطان محمد الفاتح إلى منطقة إيفان، لذلك فإن السكان تَترَّكوا حتى منطقة إيفان، وارتدت نساؤهم الحجاب في القرى. أما النساء اللاتي يعشن في منطقة إيفان إلى هنا فلا يتحجبن. كما أن سكان نوفاليتشي (أي الجدد) من منطقة فردوليا اعتنقوا الإسلام في وقت متأخر لذلك يدعون نوفاليتشي (أي الجدد)، وآخر أسرة اعتنقت الإسلام هي أسرة ميليتشي من قرية أوموليا؛ لذلك فقد احتفظ الناس ببعض التقاليد القديمة!».

هنا أنتهي من العرض! ويمكنني إيلاء الموضوع اهتمامًا وتحليلاً أكثر بشرط أن أجد وثائق هامة وقيمة تجعله أكثر وضوحًا.

ونستطيع الاستنتاج مما ذكر أن مسلمي البوسنة والهرسك هم مواطنون أصليون لهذا البلد وليسوا دخلاء. فلقد تركوا دينهم القديم البوغوميلية باختيارهم واعتنقوا الإسلام الحنيف لأسباب مبررة.

إن مسلمي البوسنة والهرسك يحبون أرضهم وشعبهم ويضحون من أجلها، لذلك فهو وطنيون وقوميون. إن الانتقادات التي تقول بأن المسلمين ليسوا عنصرًا قوميًّا لا أساس لها من الصحة. إن خلفية مثل هذه الانتقادات تأتي من أولئك الذين يطرحونها تحت اسم القومية المتعصبة. إذًا الخطأ لديهم وليس لدى مسلمي البوسنة الفخورة والهرسك القوية.

 السبب الرئيسي في اعتناق البوغوميليين للإسلام

كان أجداد سكان البوسنة والهرسك بوغوميليين اعتنقوا الإسلام طواعية.

وقد دارت نقاشات كثيرة حول الأسباب التي دعت البوغوميليين لأن يتخلوا عن دينهم طوعًا ويعتنقوا الإسلام الحنيف أفواجًا. إن الأسباب كثيرة بلا شك، ولكن لا شك أيضًا في قيام الكثيرين بعرض هذه الأسباب بشكل مغرض ويسيء بحق التاريخ، من خلال ذكر أسباب كاذبة ولا أساس لها من الصحة.

على ما أعتقد، ولست مخطئًا في اعتقادي، فإن أكبر سبب لاعتناقهم الإسلام أفواجًا يكمن في المعتقد البوغوميلي نفسه، والذي كان أقرب للمعتقدات الإسلامية منه للكاثوليكية أو الأرثوذكسية.

وسأذكر بعض الأمور الخاصة بمعتقدات البوغوميليين كدليل على ذلك.

إن العقيدة البوغوميلية نمت وترعرعت في الشرق، ووجدت منبعًا لها في الطائفة المسيحية «الشمشاطية» والتي أسسها بطريرك أنطاكية «بولس الشمشاطي»

والذي طُرد من الكنيسة عام ٢٦٥م، وقد سكن أتباعه في بلغاريا حول منطقة «بلوفديف» واشتهروا هناك بالاسم السلافي هو البوغوميليون (bogomili) أو (البوغوميل).

ولكي نتعرف على العقيدة البوغوميلية يجب أن نتعرف على عقيدة أتباع «بولس الشمشاطي»، والتي يصف المسيحيون أتباعها بأنهم «هراطقة».

وكان العلماء العرب الذين تناولوا المعتقدات والطوائف الدينية، قد ذكروا منها عقيدة أتباع «بولس الشمشاطي».

فقد ذكر العالم العربي علي بن أحمد «ابن حزم» (توفي عام ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٤م) في كتابه «الملل والنحل» أتباع «بولس الشمشاطي» فقال: «ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي وكان بطريركًا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية، وكان قوله: التوحيد المجرد الصحيح. وإن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء – عليهم السلام. خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر. وأنه إنسان لا إلهية فيه. وكان يقول: لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس». (الملل والنحل، المجلد الأول، ص ٤٨. والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المجلد الثاني، ص ٣١١).

وذكر العالم أبو الفتح الشهرستاني «محمد بن عبد الكريم» (توفي عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣ م) في كتابه «الملل والنحل» : «وبوطينوس وبولي الشمشاطي

يقولان: إن الإله واحد وإن المسيح ابتدأ من مريم - عليهما السلام. وإنه عبد صالح مخلوق إلا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته، وسماه ابنًا على التبني لا على الولادة والاتحاد. (الملل والنحل، المجلد الثاني، ص ٦٥ و٦٦).

وكذلك العالم العربي سعيد بن بطريق وكان أقدم من العالمين المذكورين (توفي عام ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، وكان نصرانيًّا، ولكنه لم يذكر في كتابه بخصوص معتقدات أتباع «بولس الشمشاطي» أي شيء يمكن أن يتعارض مع الإسلام. فهو لا يرى أي أثر للمثنوية (Dualist) التي ينعتهم بها الآخرون، فقد قال واصفًا بولس الشمشاطي الذي أتى بمعتقدات جديدة: «وكانت مقالته: إن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنسانًا كواحد منا في جوهره فإن ابتداء الابن من مريم. وإنه اصطُفِيَ ليكون مخلصًا للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سُمي ابن الله. وقال إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ولا نؤمن بالكلمة ولا بروح القدس. وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفًا في مدينة أنطاكية، ونظروا في مقالة بولس فأوجبوا على هذا الشمشاطي اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بمقالته وانصرفوا». (انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المجلد الثالث ص ١٣، وهداية الحيارى من اليهود والنصارى الملحق، ص ١٠٧ و١٠٩).

من خلال النظر بتمعن فيما ذكر نرى التشابه الكبير في النقاط الرئيسية بين المعتقدات الإسلامية ومعتقدات «بولس الشمشاطي»، وهذا التشابه ينطبق على معتقدات البوغوميليين.

ولا نحتاج إلى تأكيد أن المعتقدات البوغوميلية كانت تشبه معتقدات «بولس الشمشاطي» في الكثير من النقاط الرئيسية، مضيفين أن البوغوميليين كانوا ضد تقديس «الأيقونات»، وضد تزيين وزخرفة الكنائس، وكانوا لا يؤمنون «بالتصليب»، ولم يعترفوا «بغفران الأسرار» ولم يحترموا الصليب، حتى إنهم كانوا يعتقدون أنه نوع من الذنوب، وكانوا يحتفلون بيوم الجمعة، وكان الزواج عندهم مؤسسة مدنية... إلخ.

وإذا حللنا كل هذه الأمور بدقة فسنعرف لماذا اعتنق أجدادنا البوغوميليون الإسلام الحنيف ودخلوا فيه أفواجًا.

لقد نُشرت في مجلة «متحف البوسنة والهرسك» في البوسنة والهرسك عام ١٩٢٠م، الصفحات ٥٧-٨١، مقالة جميلة للدكتور يوسيب ماتاسوفيتش (Josip Matasović) تحت عنوان «مشاهد من تاريخ معتقدات بولس الشمشاطي»، وأنا أعتقد أن ما كتبته هنا يمكن أن يكمل مقالة الدكتور يوسيب ماتاسوفيتش.



وضع غير المسلمين في الدولة الإسلامية

(ومقارنته بالوضع الحالي)[1]

ستكون محاضرتي حول وضع غير المسلمين في الدولة الإسلامية، والحقوق التي يتمتعون بها في الإسلام، وما حصلوا عليه فعلاً في الحياة العملية في الدول الإسلامية في فترات مختلفة.

لقد اخترت هذا الموضوع بهدف المقارنة بين تعامل المسلمين مع غير المسلمين وتعامل غير المسلمين مع المسلمين، في ضوء بعض الأحداث التي حصلت في وقتنا الراهن، والتي سأعرضها لاحقًا.

ويسرني أن تكون هذه المحاضرة عشية الاحتفال بذكرى مولد خير المرسلين محمد رسول الله ﷺ، الذي نشر من الصحراء البرية، العدالة والحضارة والدين الحنيف السمح والمتسامح، الدين النبراس الذي يجب أن يتعلم منه الهمج الثقافة والتمدن.

---

(١) تم إعداد هذا المقال كمحاضرة كان من المفروض إلقاؤها في مقر منظمة «مرحمت» الخيرية في سراييفو يوم ٨ إبريل قبيل الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ. لم يكن بالإمكان نشر محتوى هذا المقال للعامة بسبب الظروف الحالية، ولكن الأحداث الطارئة التي حدثت منعت من إلقاء المحاضرة. وأعتقد أنه لا يوجد أي عائق يمنع من نشر المقال بشكله الأساسي بدون تغييرات تذكر في هذه الفترة. محمد خانجيتش.

وسوف أبين في هذه المحاضرة، ولو جزئيًّا، أن ولادة هذا النبي العظيم ﷺ لم تكن رحمة ونعمة لأتباعه فقط، إنما رحمة لكل البشر. حتى أن رسالته جاءت رحمة من الله تعالى للخلق أجمعين كما قال الله - جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

إن الناس يقسمون، حسب التعاليم الإسلامية، بالنسبة لمواطنتهم إلى قسمين: رعايا الدولة الإسلامية والأجانب، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين: مسلمين، وغير مسلمين يتمتعون بحماية الدولة الإسلامية وهم «أهل الذمة». ومعنى «الذمة» في اللغة العربية «العهد والضمان والحماية».

ومن هنا نرى أن الإسلام يتسامح مع الديانات الأخرى ومع معتنقيها في دولته، ويعتبرهم في عهدته ويضمن لهم الحماية ويدافع عنهم.

أما الأجانب فيقسمون كذلك إلى قسمين: أولئك الذين وقعوا عهودًا مع المسلمين «مستأمنين»، وآخرين يعادون الدولة الإسلامية. وتنظم قوانين الحرب الإسلامية التعامل مع أعداء الدولة الإسلامية، وهذا ليس موضوع محاضرتنا اليوم. لذلك سوف أتحدث عن القواعد والتشريعات الإسلامية التي تتناول غير المسلمين الذين يعيشون في الدولة الإسلامية، أو أولئك الذين وقعوا عقودًا وعهودًا مع المسلمين.

يعتبر كل مواطن غير مسلم يقبل دفع الجزية في عهدة وحماية الدولة الإسلامية، وتسري عليه القاعدة العامة التي تقول «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، أي يتمتع بكل الحقوق التي يتمتع بها المسلمون، وعليه نفس الواجبات التي عليهم. وواجب كل مواطن الدفاع عن الدولة التي تؤمن له السلام وتضمن له الحقوق.

ولا تستوجب التشريعات الإسلامية على غير المسلمين الخدمة العسكرية في دولة الإسلام، لذلك فإن «الجزية» تعتبر نوعًا من مساهمتهم المادية في الدفاع عنهم.

إن تسامح المسلمين مع أهل الذمة كبير. فالمذهب الحنفي لا يعتبر الذمي غير مخلص للدولة حتى عندما يمتنع عن دفع الجزية بعد القبول بها أو عندما يفعل الفاحشة مع المسلمة أو عندما يقتل مسلمًا أو يسيء أو ينتقد الرسول ﷺ.

إن الذميين يتمتعون بحريات كبيرة في الدولة الإسلامية، فالأحناف يعتبرونهم متساوين في الحقوق مع المسلمين. فإذا قتل المسلم ذميًّا عمدًا يعاقب بعقوبة القتل، وإذا قتله بطريقة غير متعمدة يدفع لأهله الدية كما يدفعها المسلم عن المسلم.

أوصى رسول الله ﷺ المسلمين في أحاديث كثيرة – تعتبر قانونًا للمسلمين – بأن يكونوا عادلين ومتسامحين في تعاملهم مع أهل الذمة، وأن يحفظوا العهود معهم. فقال ﷺ: «من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا» (مسند أحمد بن حنبل وسنن النسائي). وقال ﷺ: «من آذى ذميًّا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» (الخطيب البغدادي، وقال جلال الدين السيوطي: حديث حسن). وقال ﷺ: «منعني ربي أن أظلم معاهدًا أو غيره» (المستدرك للحاكم). وقال ﷺ «أيها الناس إنكم قد أسرعتم في حظائر اليهود، ألا لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها» (مسند أحمد بن حنبل وسنن أبي داود). وقال ﷺ: «المسلمون على شروطهم وأنا أكرم من وفى بذمته» (سنن البيهقي). وقال ﷺ: «ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة» (أبو داود والبيهقي).

كل هذه الأحاديث التي جمعت في كتاب «كنز العمال» تشير إلى أن الرسول ﷺ اهتم بغير المسلمين الذين كانوا على عهد مع المسلمين.

نحن نعرف أن هذه الأحاديث لم تذكر في القرن العشرين، قرن التسامح كما يسميه الأوروبيون، إنما ذكرها الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا، عندما كان التعصب الديني في أوجه.

لم تكن في عهد الرسول الأعظم ﷺ أي مساكن للنصارى بالقرب من المدينة المنورة، في حين كان اليهود يسكنون في بعض أحيائها، وكانوا يحيكون المؤمرات ضده ﷺ بالرغم من إبرامه عهودًا معهم. لذلك دب الخلاف بين المسلمين وبينهم، وبالرغم من ذلك فلا يوجد أي أثر أو ذكر لأي عنف ضدهم أو منعهم من ممارسة عبادتهم خلال فترة سريان العهود.

وكان أول احتكاك للمسلمين مع النصارى في نجران، وهي منطقة خصبة على ضفاف نهر في اليمن قبل الهجرة، في السنة العاشرة من البعثة. إلا أن هذا الاتصال كان عرضًا. أما الاتصال الثاني فكان في السنة التاسعة للهجرة أي بعد فتح مكة، حيث بدأت وفود القبائل العربية بالقدوم على رسول الله ﷺ. فقد أرسل أهل نجران وفدًا من ستين فردًا من أعيانهم رأسهم رجل يُدْعَى العُقاب، ورجل آخر تولَّى إدارة الرحلة كانوا يلقِّبونه بالسيد، ورجل ثالث مسئول عن الأمور الدينية وهو أسقف الرحلة وحبرها، واسمه أبو الحارث، وكانوا يتولون التفاوض مع الرسول ﷺ. وخلال المفاوضات حان وقت أداء صلواتهم، فسمح لهم – عليه الصلاة والسلام– بالصلاة في المسجد، وحاول بعض الصحابة–رضوان الله عليهم– أن يمنعوهم من ذلك، فنهاهم الرسول– عليه الصلاة والسلام– من ذلك، وطلب من النصارى أن يتوجهوا عن الشرق– حسب معتقداتهم– لأداء صلاتهم. وقد استنتج ابن القيم من هذا إمكانية دخول غير المسلمين للمساجد،

حتى إنهم يستطيعون أداء صلاتهم إذا دعت الحاجة، على أن لا يصبح ذلك في حكم العادة.

وبعد مفاوضاتهم مع الرسول ﷺ، قبلوا بدفع الجزية، وقد أمر الرسول- عليه الصلاة والسلام- بكتابة عقد جاء فيه: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ لِلأَسْقف أَبِي الْحَارِثِ، وَأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ، وَكَهَنَتِهِمْ، وَرُهْبَانِهِمْ، وَكُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ جِوَارُ اللهِ وَرَسُولِهِ، لا يُغَيَّرُ أُسقفٌ مِنْ أسقفَتِه، وَلا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلا كَاهِنٌ مِنْ كَهَانَتِهِ، وَلا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ، وَلا سُلْطَانُهُمْ، وَلا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، جِوَارُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَبَدًا مَا أَصْلَحُوا وَنَصَحُوا عَلَيْهِمْ غَيْر مُبْتَلِينَ بِظُلْمٍ وَلا ظَالِمِينَ».

وبقي مسيحيو نجران على دينهم وتمتعوا بكل حقوقهم حتى نهاية عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أنهوا هذا العقد بالتراضي وانتقل بعضهم إلى سوريا والبعض الآخر إلى بلاد ما بين النهرين، بعد أن اشترت الدولة الإسلامية أراضيهم في نجران.

ويبدو من هذا أن حياتهم وحريتهم الدينية واستقلاليتهم قد تم ضمانها بهذا العقد. وكان لهم كنيسة كبيرة يسمونها «كعبة نجران» لم تُمس أبدًا وكانوا يمارسون فيها طقوسهم وعباداتهم بحرية كاملة.

ولم يتغير الوضع بعد وفاة الرسول الأعظم- عليه الصلاة والسلام، فقد تمتع غير المسلمين بحقوقهم التي ضمنها الإسلام في عهد رسول الله. فلم تمس معابدهم بأذى، وقد أوصى خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيوشه فقال: «وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»، إذًا فقد أوصاهم وهم ذاهبون إلى المعارك أن يحافظوا على المعابد وكل ما هو مقدس لدى الآخرين.

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حاصر المسلمون مدينة القدس، وعندما أراد أهلها الاستسلام طلبوا أن يبرموا اتفاقًا مع الخليفة الفاروق رضي الله عنه، فسافر بنفسه الى القدس وأعطى سكانها عهدًا خطيًّا جاء فيه: «هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صُلُبِهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم».

وعندما تسلم أمير المؤمنين القدس دعا البطريرك لتفقد كنيسة القيامة، فلبى دعوته، وأدركته الصلاة، وهو فيها فتلفت إلى البطريرك، وقال له أين أصلي؟ فقال مكانك صل. فقال: ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة فيأتي المسلمون من بعدي، ويقولون هنا صلى عمر، ويبنون عليه مسجدًا. وابتعد عنها رمية حجر

وفرش عباءته وصلى، وجاء المسلمون من بعده وبنوا على ذلك المكان مسجدًا، وهو قائم إلى يومنا هذا.

وأود الإشارة هنا إلى الفرق بين فتح أمير المؤمنين عمر ﵁ للقدس، وبين احتلالها في الفتوحات الصليبية، عندما حاول الصليبيون القضاء على الإسلام فاحتلوا سوريا وفلسطين. وفي يوم الجمعة السابع من شعبان ٤٩٢هـ (١٠٩٩م) دخل الصليبيون القدس بعد حصار دام أربعين يومًا تقريبًا، فعاثوا فيها فسادًا وقتلاً لأكثر من أسبوع، حيث قتلوا أكثر من سبعين ألفًا من المسلمين، وحتى داخل المسجد الأقصى قتلوا العلماء والشيوخ والأطفال والنساء. ثم جمعوا من تبقى في حرم المسجد الأقصى وطلبوا ممن يريد النجاة بروحه أن يغادر القدس خلال ثلاثة أيام. وما قام به الصليبيون يعتبر رسالة شكر منهم لأمير المؤمنين عمر ﵁ لإعطائهم حرية العيش والعبادة.

وبعد ٩٠ سنة تقريبًا فتح السلطان العادل صلاح الدين القدس في يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من رجب ٥٨٣هـ (١١٨٧م) في ذكرى إسراء رسول الله ﷺ للقدس. ودخل السلطان صلاح الدين بدون إراقة دماء، وكان بإمكانه أن ينتقم للمجزرة التي قام بها الصليبيون، ولكن ثقافة الإسلام وسماحته لا تسمح بذلك.

عندما انتشر الإسلام في أرجاء الأرض، واتسعت الدولة الإسلامية، دخلت المدن والقرى في ملكيتها بطريقين هما: إما بتوقيع معاهدات «صلح» مع المدن والقرى وضمها للدولة الإسلامية، أو بالقتال وتحريرها «عنوة».

حافظت المدن والقرى، التي وقّعت على الصلح والمعاهدة، على كنائسها وحريتها الدينية، أما ما تم فتحه بقوة السلاح، فقد استولى المسلمون على بعض الكنائس وحولوها لجوامع، وذلك لحقهم في التصرف بكل ما يحققونه بقوة السلاح «غنيمة». وبالرغم من هذا لم يتم التعامل مع جميع الممتلكات بهذه الطريقة، حيث تم الحفاظ على الأديرة وحماية ممتلكاتها. فمثلاً تم فتح نصف مدينة دمشق بالقوة، في حين استسلم نصفها الآخر، فتم الاستيلاء على جميع كنائس القسم الذي حارب المسلمين، وتم الحفاظ على كنائس القسم الذي استسلم، وسُمح للمسيحيين بممارسة طقوسهم فيها. وعندما بنى الأمويون الجامع الأموي، كان بقربه كنيسة «القديس يوفان» فطلب الخليفة معاوية من المسيحيين أن يسمحوا له بأخذها لتوسيع الجامع، ولكنهم رفضوا ذلك. وكرر الخليفة عبد الملك الطلب ولكنهم رفضوا. وكرر الخليفة الوليد الطلب ولكنهم رفضوا، فأغراهم بالمال والحلي، ورفضوا ذلك مجددًا، فأمر بهدم جزء من الكنيسة لتوسيع الجامع بالقوة.

وفي عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز اشتكى المسيحيون له خسارتهم جزءًا من الكنيسة بالقوة، فأمر أن يعيدوا لهم ما سلب منهم بالقوة،

وعندما استشعر المسيحيون عدله، رضوا طواعية بالتنازل عن الأرض بشرط أن يعيد إليهم الكنائس التي سلبت منهم بالقوة، فوافق الخليفة على ذلك. هذا ما سجله البلاذري في كتابه «فتوح البلدان».

إن الجوامع التي كانت كنائس وتم أخذها بالقوة أيام الفتح سُميت «الفواتح»، وأفضل مثال على ذلك جامع «آيا صوفيا»، والذي تحول إلى متحف. وقام المسيحيون بنفس الشيء حيث حولوا الجوامع إلى كنائس، وأفضل مثال على ذلك الجامع الكبير في قرطبة والذي تحول إلى كنيسة، ولا يزال كذلك حتى يومنا هذا.

يعتبر المسيحيون جامع «آيا صوفيا» خسارة كبيرة وينسون كنيسة قرطبة ومئات الكنائس التي كانت في يوم من الأيام جوامع عامرة؛ لأنهم يعتبرون كل ما يؤخذ من المسلمين حقًّا لهم، أما ما يأخذه المسلمون منهم فهو ظلم وتعسف.

لم يكتف المسيحيون الإسبان بتحويل الجوامع إلى كنائس، بل لم يسمحوا ببقاء مسلم واحد فيها، فقد أرغموهم على التنصر أو قتلوهم، وسعيد الحظ من استطاع الهرب بدينه ونفسه. أما المسلمون فلم يتصرفوا بهذا الشكل أبدًا في تاريخهم الطويل والحافل.

هكذا هو الوضع أيها السادة: عندما يقوم الأتراك بذبح الأرمن، فإن جميع الصحف الأوروبية تصف هذا العمل بالوحشية التركية والبربرية والظلم. ولكن عندما يقوم المسيحيون بمذابح ضد المسلمين في البلقان في منطقة الروملي (Rumelija) مثلاً، فإن الصحف الأوروبية تصف هذا العمل بالبطولة والتحرير، لذلك يجب أن نتجاهل ادعاءاتهم التي لا أساس لها.

ومع توسع الدولة العباسية خلال عهد هارون الرشيد كتب أبو يوسف، وهو أبرز تلاميذ الإمام أبي حنيفة النعمان «كتاب الخراج» بطلب من الخليفة. ويعتبر هذا الكتاب من أقدم الكتب في قوانين وشرائع الحضارة الإسلامية المتعلقة بالحياة الاقتصادية والإدارة. وهو كنز لا يقدر بثمن لوصفه الوضع في تلك الحقبة من الحضارة الإسلامية. وأقتبس هنا بعض الأجزاء من هذا الكتاب والتي تخص وضع غير المسلمين في الدولة الإسلامية، وخاصة فيما يتعلق بحريتهم الدينية واستقلاليتهم.

يتحدث أبو يوسف في كتابه عن «الجزية»، فيقول: «يجب عدم أخذ الجزية من الرهبان الفقراء الذين يعيشون في الأديرة ومن الكهنة الفقراء ومن الزهاد المنعزلين. ويمنع ضرب أو إساءة معاملة غير المسلمين بسبب الجزية، بل يجب التعامل معهم بالحسنى».

ثم يتوجه بحديثه للخليفة فيقول: «أيها الخليفة العادل، يجب أن تصدر قرارًا بحسن التعامل مع معاهدي نبيك محمد ﷺ، ألا يُضطهدوا وألا يُحمّلوا فوق طاقتهم وألا يُؤخذ منهم إلا الحق. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة». وإن آخر وصية لخليفة رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت: « أوصيكم بمعاهدي رسول الله ﷺ، أن تحفظوا العهد معهم».

وقال أبو يوسف بشأن الكنيسة والمواكب ورفع الصليب في أعياد النصارى: «عند افتتاح المدن تعاهد المسلمون وأهل الذمة على عدم هدم الكنائس والمعابد في المدن والقرى، وضمنوا لهم حياتهم، وسمحوا لهم برفع الصليب في أيام أعيادهم، وهم يتمتعون بهذه الحرية حتى يومنا هذا».

ثم يذكر أبو يوسف أمثلة على ذلك من أيام الفتوحات في سوريا وبلاد الرافدين. ويضيف بأن النصارى كانوا يستطيعون قرع الأجراس في الكنائس في الليل والنهار إلا في أوقات صلوات المسلمين.

ويُنهي أبو يوسف عرضه بهذه الكلمات: «إن رأيي هو عدم إمكانية تعديل أو إلغاء ما هو متفق عليه، حيث يجب الحفاظ على الاتفاق والعهد كما حفظه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم. فهم ما ألغوا أو عدلوا شيئًا من

المتفق عليه. أما ما تم بناؤه من الكنائس والمعابد سرًّا فيمكن هدمه. إن بعض الخلفاء أرادوا هدم بعض الكنائس، ولكن الذميين أحضروا عقودًا خطية كانت قد أُبرمت مع المسلمين بعدم الهدم، فوقف علماء الدين المسلمون في صفهم مما أجبر الخلفاء على العدول عن ذلك، لذلك يجب تنفيذ العقود التي وقعها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

فإذا عرفنا أن أبا يوسف كان وزيرًا للعدل وقاضي القضاة كبير الأئمة، فسوف نفهم حجم ووزن كلماته هذه. وأنا أرى هنا أن هذه العدالة لا مثيل لها في الديانات الأخرى.

ويمكننا ذكر أمثلة كثيرة على حسن تعامل المسلمين مع أهل الذمة في المراحل المختلفة للدول الإسلامية، وخاصة التسامح مع معابدهم وكنائسهم. فهناك الكثير من الكنائس القديمة منذ عهد الجاهلية ولم يلمسها أحد بسوء. ويذكر ابن فضل الله العمري (توفي عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» وجود ٦٨ ديرًا في بلاد الرافدين و٢٤ في سوريا وفلسطين و١٩ في مصر. وذكر ياقوت الحموي (توفي عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) في كتابه «معجم البلدان» وجود ١٩٠ ديرًا، وقبل البدء بعدهم قال: «بسبب صعوبة ذكر جميع الأديرة سأذكر الأديرة المشهورة فقط والتي وجدنا فيها ذكرًا للأعمال الفنية». كانت جميع هذه الأديرة مفتوحة وتعمل، وكان لها دخل مادي تعيش

منه. ومن المعروف أن الكثير منها قد أُهمل وهُدم، ولكن ليس لأن المسلمين قد هدموها بالقوة، إنما بسبب إهمال سكانها لها أو هجرهم لها أو لأسباب أخرى لا مجال لذكرها هنا.

أما بالنسبة للأتراك الذين دخلوا مناطقنا هذه، فيمكننا القول وبكل حرية إنهم حافظوا وعملوا بقواعد الشريعة الإسلامية المذكورة، بالرغم من أن المؤرخين الغربيين قد سجلوا - لأهداف دعائية ومغرضة وليس للتاريخ - أنهم قد دمروا وأحرقوا الأديرة والكنائس، لا بل أنهم أحرقوا عظام الكهنة ورجال الدين وسرقوا ونهبوا دور العبادة وقتلوا ووضعوا القساوسة على «الخازوق». ولكن هناك مؤرخين موضوعيين وحتى من غير المسلمين يحاولون - للحقيقية والتاريخ - أن يوضحوا أن الأتراك لم يفعلوا خلال حكمهم للبلقان ما ينسب إليهم عبر التاريخ.

فقد قال فلاديسلاف سكاريتش: «من الخطأ القول إن الإسلام انتشر بسرعة في شبه الجزيرة البلقانية أو إنه انتشر بالقوة. فهناك الكثير من البراهين تنفي ذلك، وأنا سأذكر برهانًا واحدًا فقط، لو كان الإسلام قد انتشر بالقوة والعنف لما رأينا في القرن التاسع عشر أي مسيحي أو حتى كنيسة». ويقول الدكتور تروهيلكا «إن ما يُدرس في المدارس من أمور على أنها حقائق تاريخية تنص على أن الأتراك قد سحقوا الثقافة المسيحية في البلاد المفتوحة بكل قوة لا يتفق مع الحقيقة، على الأقل في البوسنة والهرسك». وقال الدكتور دوشان

بوبوفيتش: «إن التسامح الديني في بداية حكم الأتراك في مناطقنا كان كبيرًا جدًّا، حتى إنه كان أكبر من التسامح الديني في الغرب اليوم».

لدينا الكثير من الأمثلة على التسامح الديني لدى الأتراك. ويمكننا أن نقارن بين ما فعله الأتراك في البلقان وبين ما فعله المسيحيون في بلاد الأندلس في بداية القرن السادس عشر. لقد قام المسيحيون بملاحقة المسلمين وقتلهم وإحراقهم، كل ذلك بطلب ومباركة من القساوسة، لا بل إن القساوسة قاموا بأنفسهم بفعل ذلك. وعندما سمع السلطان سليم الأول بما حدث بالأندلس، أراد أن يطرد المسيحيين من البلاد التي فتحها وطلب إصدار فتوى من شيخ الإسلام، ولكن شيخ الإسلام رفض طلبه هذا مشيرًا إلى أن أهل الذمة محميون في الدولة الإسلامية، وأن طردهم محرم في الإسلام. فما أعظم الفرق بين التسامح الديني لدى المسلمين ولدى المسيحيين!

إذا قارنا بين تركيا في القرن الخامس عشر وبين المسيحيين في البلقان في القرنين التاسع عشر والعشرين، فإننا نلاحظ عظيم الفرق. فقد حافظ الأتراك ولخمسة قرون على ديانة وكنائس وأديرة المسيحيين. في حين أن المسلمين والجوامع قد اختفوا من المجر وصربيا في طرفة عين. وبالرغم من ذلك فإن الكثيرين يجرؤون بكل وقاحة على القول بأن الأتراك قد دمروا وأحرقوا الكنائس والمعابد.

لقد عاش الكاثوليك والأرثوذكس بحرية، وكانوا يمارسون طقوسهم في كنائسهم ومعابدهم وأديرتهم، حتى إن السلطان الفاتح أعطى الكاثوليك في منطقة ميلودراشكو (Milodrasko) ميثاقًا يمنحهم الحرية في ممارسة طقوسهم. وقد جاء في هذا الميثاق: «... وآمر بعدم التعرض لهم ولكنائسهم، وأن يدخلوا كنائسهم بحرية بدون أي معارضة مني ومن وزرائي ومن حاشيتي. وأن تحفظ لهم حياتهم وممتلكاتهم وكنائسهم...».

إن بلاد الأرثوذكس كانت معقلاً لحروب طويلة قادتها تركيا في البلقان، ومن المعروف أن تلك الحروب الكثيرة تسببت في تدمير الكثير من الممتلكات، ومنها الكنائس والأديرة، ولكن بنسب معقولة؛ لأن الأتراك كانوا مرتبطين بعقود وعهود مع غير المسلمين تعطيهم الحق في ممارسة حياتهم الدينية. ويمكننا التأكيد على أن الأرثوذكس كانوا يتمتعون بكامل حريتهم الدينية. وأفضل مثال على هذه الحقيقة التاريخية أن الصرب حصلوا على موافقة الأتراك على تجديد بناء بطريركية بتش (Peć) والتي كانت قد هُدمت خلال الفتوحات التركية عام ١٥٥٧م. حيث حصل القسيس ماكاريا (Makarija) (كان قريب محمد باشا سوكولوفيتش) على تصريح من السلطات بإعادة بنائها، وتم تعيينه كأول بطريرك لها. حصل ذلك في عهد الوزير الأول رستم باشا، في حين أن محمد باشا سوكولوفيتش كان وزيرًا ثالثًا (أي ليس بفضله). وأخذًا بالاعتبار أن «البطريرك»

كان يمثل الزعيم الروحي والعلماني لقومه (Milet-baša) فهذا يعني أن البطارقة قد تمتعوا بحريات وصلاحيات كافية.

كان البطارقة يتمتعون بحقوق مطلقة لإدارة الكنيسة الصربية ضمن حدود بطريركياتهم. وكانوا يتمتعون كزعماء روحيين – مثل الأساقفة – بحق المقاضاة في قضايا الأحوال الشخصية وشؤون الوصايا وغيرها من الخلافات المدنية. وكانت لهم وحدات من الشرطة تساعدهم في تنفيذ الأحكام. وكانت المحكمة السلطانية في إستانبول هي المخولة بالبت في الخلافات التي تخص البطاركة أنفسهم. ولم يكن لأحد الحق في سجن رجل الدين الصربي بدون معرفة أو موافقة من البطاركة. وكان البطاركة يتمتعون بحق وراثة الأساقفة وجميع الصرب الذين لا يوجد لديهم ورثة أو لم يكتبوا وصاياهم، وكانوا يعيشون في بطريركياتهم. كما كان لهم الحق في الحفاظ على الكنائس والأديرة والقيام بصيانتها، ويستطيعون إعادة بناء المهدوم منها. الشيء الوحيد الذي كان صعبًا هو الحصول على الموافقة لبناء كنائس جديدة في الأماكن التي لم تكن فيها كنائس من قبل. وبالرغم من ذلك كان هناك بعض الموافقات التي تأتي عن طريق تقديم «الرشاوى» أو تقديم شهود زور حول وجود كنائس في تلك المناطق سابقًا، كما أبلغني الأكاديمي الصربي فلاديسلاف سكاريتش المدير السابق للمتحف.

لم يتغير هذا الوضع لاحقًا، لكن المطارنة الصرب تغيروا وبدؤوا بإثارة المواطنين وإشعال الفتن وخيانة الدولة من خلال تحالفاتهم مع أعدائها النمساويين. وأشعل البطريرك أرسينيو الثالث تسرنييفيتش Arsenijo III Crnojević ثورة في عام ١٦٨٩م، ولكنه فشل في تحقيق أهدافه فاضطر إلى سرقة الأشياء النفيسة والهرب مع مطارنته، والكثير من الأوستاشا (Ustasha)[1] إلى النمسا. وخلال الحروب النمساوية-التركية ١٧٣٧-١٧٣٩م أشعل أرسينيو الرابع ثورة مماثلة كانت نتيجتها مشابهة لسابقتها. واشتعلت ثورات مماثلة لاحقًا.

نحن لا ننكر أن بعض الكنائس قد تضررت في الظروف الطارئة؛ لذلك يجب النظر بطريقة موضوعية إلى تلك الظروف. وبالرغم من حدوث ثورات وتمردات وظروف طارئة عديدة خلال الحكم العثماني الذي استمر لخمسة قرون لكن الأغلبية العظمى من الكنائس والأديرة الصربية بقيت بدون أي ضرر. لا نحتاج هنا إلى أية أدلة أو وثائق لإثبات ذلك؛ لأن أديرة فيسوكيي ديتشاني في كوسوفا وستودينيتسا على نهر ستودينيتسا في منطقة إيبار وجورجيفيه ستوبيفا في مدينة نوفي بازار وميليشيفا في مدينة برييه بوليا ورافنيتسا كنيزا لازارا وغيرها الكثير من الأديرة لم تتحول أبدًا إلى جوامع.

(١) أوستاشا (Ustasha): حركة إرهابية متطرفة للكروات الكاثوليك. (المترجم).

لقد ركزت الاهتمام خلال هذا العرض على الحرية الدينية التي تمتع بها غير المسلمين في الدولة الإسلامية، خاصة حرية الحفاظ على دور العبادة، لذلك أريد ذكر بعض الحالات لتحويل الكنائس إلى جوامع أو تحويل الجوامع إلى كنائس من واقعنا الحاضر، لكي نستطيع المقارنة وإصدار الحكم الموضوعي والعادل فيها:

لقد ذكرنا أن المسلمين وخاصة الأتراك كانوا يقومون بتحويل كنيسة أو أكثر إلى جامع في المدن التي يتم فتحها بالقوة، كما هو الحال بالنسبة لآيا صوفيا في إستانبول، وآيا صوفيا (الصغير) وجامع هورتاجي في مدينة سالونيك (تم إعادتهما كنائس بعد الحرب البلقانية)، وكذلك كنيسة بريزرن، والتي يسميها المسيحيون «كنيسة القديسة السيدة العذراء» والتي تم تحويلها في نهاية القرن السابع عشر إلى جامع، وأعيدت إلى وضعها السابق ككنيسة بعد الحرب العالمية الأولى. لقد تم تحويل كل هذه الكنائس المذكورة خلال الفتوحات العثمانية إلى جوامع، وكانت تُسمى -كما ذكرنا سابقًا: «الفواتح». هناك ثلاثة جوامع فقط في البوسنة والهرسك معروفة بهذا الاسم (الفواتح): في مدينة بيهاتش، وفي مدينة ياييتسا (بعد الاحتلال النمساوي احترق هذا الجامع)، وفي مدينة زفورنيك. وكل هذه الكنائس كانت كاثوليكية.

ومن ناحية أخرى تم ضمان حماية جوامع المسلمين بلا استثناء في جميع قوانين «الجماعة الإسلامية الدينية islamska vjerska zajednica[١]» وقد شملت بنود معاهدة فرساي التي وقعت في ١٩١٩/٩/١٠م على الآتي: «سيتم حماية جميع المساجد الإسلامية والمقابر والمؤسسات والأوقاف وسيتم السماح لهم ببناء مؤسسات دينية جديدة حسب القوانين والقواعد العامة (انظر: كتاب سلوبودان يوفانوفيتش «الحقوق الدستورية لمملكة الصرب والكروات والسلوفينيين» بلجراد ١٩٢٤م، ص ٤٦٢ و٤٦٣). إذًا يضمن القانون حماية جميع المساجد بلا استثناء، ولكن ماذا يحدث على أرض الواقع؟

إن المسيحيين، وخاصة الأرثوذكس يحاولون بشتى الطرق الاستيلاء على المساجد الإسلامية. ولو كان الأمر مقتصرًا على مساجد «الفواتح» لهان الأمر قليلاً. يأتي أحدهم ويؤكد أن أحد الأحجار أو عددًا منها من مخلفات كنيسة ما تم تدميرها وتم استخدامه في بناء أحد الجوامع، فتكون هذه حجة كافية لسلب هذا الجامع. لقد تمكنت قبل عدة سنوات من الاطلاع على «تقويم القديس أنته»، وقرأت فيه الآتي: «للأسف الشديد إن جامع الغازي خسرو بك في سراييفو

(١) «الجماعة الإسلامية الدينية» (islamska vjerska zajednica): بعد استعمار البوسنة والهرسك من قبل إمبراطورية المجر-النمسا عام ١٨٧٨م، أصبح البوشناق المسلمون تحت حكم المسيحيين لأول مرة، مما استلزم إنشاء مؤسسة دينية ترعى شؤونهم بعد الانفصال عن إستانبول التي كانت ترعى أمورهم الشرعية والدينية، وتم تأسيس الجماعة الإسلامية الدينية (islamska vjerska zajednica). وباعتماد الدستور الجديد لهذه المؤسسة الدينية عام ١٩٦٩م تم حذف كلمة «الدينية» من الاسم ليصبح اسمها «الجماعة الإسلامية» (islamska zajdnica). (المترجم).

يُرفع بأعمدة الكنائس الكاثوليكية التي كانت موجودة في فره بوسنة (سراييفو الحالية)». الشيء المحزن هنا أن من ذكر هذا لا يعرف أين تقع «فره بوسنة» ولا كيف يتم بناء ورفع جامع «خسرو بك» بأعمدة كنائسها. والشيء الآخر -الواضح للعيان- هو عدم وجود كنائس كاثوليكية في البوسنة والهرسك بحجم جامع الغازي خسرو بك. وقد ذكر الأمر نفسه منذ فترة قريبة في المجلة الأسبوعية «كاتوليتشكي تييدنيك» على أنه خبر ورد على لسان أحد الرحالة.

أما الأرثوذكس، وبالرغم من أنهم لا يستطيعون إثبات وجود كنائس لهم قبل فتح البوسنة إلا كنيسة «هرتسك ستيبان» في مدينة جورازدا، فهم يقولون إن بعض الجوامع كانت كنائس أرثوذكسية في السابق مثل «جامع السلطان» في مدينة فوتشا. أما ما يخص الجوامع خارج البوسنة، فالأمر مختلف، فهناك الكثير من الأكاذيب حول تلك الكنائس أو حتى كل ما يخص حياة المسلمين عمومًا، وأدعو الله أن يساعد إخوتنا المسلمين في محنتهم هذه. وسوف أقتبس بعض ما جاء في السجلات الرسمية لرئيس العلماء المرحوم «إبراهيم أفندي ماجلايليتش» لعام ١٩٣٣م:

- تم إحراق وتدمير أجمل جامع في ميتروفيتسا الكوسوفية (Kosovska Mitrovica) من قبل رئيس المنطقة بيتر كونوفجيتش، وتم إزالة جميع المساجد وعددها ستة من المخطط التنموي للمدينة عام ١٩٣١م.

- تم الاستيلاء على جامع في مدينة بريشتينا (Prishtina) عام ١٩٢٣م وتحويله إلى مخزن عسكري، وفي عام ١٩٣٠م قامت القوات المسلحة بإهدائه لنادي الجمنازيوم اليوغسلافي على أنه من الأملاك العسكرية.

- في مدينة جوستيفار (Gostivar) والتي يعتبر أكثر من ثلثي سكانها من المسلمين تم تخفيض عدد الجوامع فيها حتى بقي جامعان فقط. وقد قام الزعيم الصربي المحلي «يوكشيتش» بحرق مئذنة أحد الجامعين بعد أن ألقى عليها أكثر من ١٧ قنبلة. وتم نقل المذكور لمنطقة «نيجوتين فاردار» عقابًا له! وعندما دمر المئذنة شرب نخب ذلك على أنقاضها وقال كلمته: «إن بلادنا لن تقبل المسننات (يقصد المآذن)».

وقد كتبت في العدد ١١ و١٢ للعام الثاني لمجلة «الهداية» عما حدث لجامع «حسام الدين باشا» في مدينة شتيب: نشرت صحيفة «بوليتيكا» (Politika) بتاريخ ١٩٣٨/٨/٣م الخبر التالي: «قالت إحدى السيدات من مدينة شتيب قبل سنتين بأن القديس إليا (Ilija) جاءها في المنام، وقال لها إلى متى ستبقى كنيستي مهملة وقذرة؟ فقامت هذه السيدة المتدينة بدعوة جيرانها وأبلغتهم بحلمها هذا. وبعد فترة وجيزة قاموا بتنظيف الجامع المهجور ودعوا القسيس ليقدسه بالماء المقدس. واليوم وبعد خمسة قرون ونصف، تم قطع قطعة «الفطير

الحلو»[١] في هذه الكنيسة وتم إقامة قداس الخدمة الإلهية. هذا الحدث هام جدًّا لمدينة شتيب ولضواحيها» (انتهى الخبر).

أود الإشارة هنا إلى أن هذا الجامع لم يكن في يوم من الأيام كنيسة، فقد بناه حسام الدين باشا قبل حوالي ٣٥٠ سنة، وقد ذكر الرحالة التركي إوليا جلبي (Evlija Celebi) أن «حسام الدين باشا» هو الذي شيده. كل هذه الأدلة الدامغة لا تمثل شيئًا للأرثوذكس أمام حلم امرأة عجوز.

كما نشرت الصحف قبل فترة قصيرة خبرًا لحدثين كبيرين، هما قيام السلطات القضائية – التي من المفروض أن تنشر العدالة - بالحكم بتسليم جامعين إلى السلطات الكنائسية الصربية، وهما جامع «كريشنا» في مدينة بيتولا (Bitolj) والآخر هو جامع «سنان باشا» (Sinan-pašina)[٢] في مدينة بريزرن.

لقد حظيت بمشاهدة جامع «سنان باشا»، ويمكنني القول إنه لا مثيل له حتى في سراييفو. فقد تم بناؤه من الحجارة وتزيينه بمئذنة رشيقة. وقد زعم الأرثوذكس الصرب بأن سنان باشا استخدم في تشييده حجارة من دير القديسين والذي بناه الإمبرطور «دوشان» حوالي عام ١٣٥٠م بالقرب من مدينة بريزرن. ولكنهم لا

(١) إشارة إلى الاحتفال وتناول الحلوى بهذه المناسبة.

(٢) على الرغم من هذا القرار للمحكمة بقي «جامع سنان باشا» في أيدي المسلمين نتيجة للمقاومة التي أبدوها، وهو لا يزال من أقدم وأجمل الجوامع في المنطقة. انظر مقالنا: جامع سنان باشا في بريزرن، مجلة «الفيصل»، عدد 329، الرياض 2004 [م. الأرناؤوط].

يمتلكون أي دليل مادي على ذلك باستثناء بعض الأقاويل الفارغة. فإذا أجرينا مقارنة بين المواد التي استخدمت في بناء الجامع وبين بقايا المواد التابعة للدير – كما طلب الأرثوذكس – نرى الفرق الشاسع بينها وبين ما قدمه الأرثوذكس من أدلة على تأكيداتهم. ولم يكتفوا بهذا، بل ذهبوا لأبعد من ذلك حيث زعموا أن الأرض التي تم بناء الجامع عليها قد سلبت من الأراضي التابعة للكنيسة، وذكروا دليلاً تافهًا يدعو العقلاء إلى الضحك.

وتكرر الأمر نفسه بالنسبة لجامع «كريشنا» في بيتولا، حيث حكمت المحكمة بإلحاق الجامع بالكنيسة بحجة أنه منذ انتهاء الحرب البلقانية لم تُقم الصلاة فيه، ويجب تسليمه للكنيسة الأرثوذكسية حسب قانون «التقادم»، وكان معيار التقادم لدى المحكمة في هذا الحكم حوالي (٣٠ سنة).

لم نستطع نحن المسلمين في البوسنة والهرسك السكوت على هذا الظلم، وفعلنا كل ما بوسعنا. وأذكر هنا قرارين بهذا الشأن: **الأول قرار مسلمي مدينة موستار وجاء فيه:**

عقد مسلمو مدينة موستار اجتماعًا لإدانة حكم المحكمة البلدية في بريزرن، والذي أُعطِيت بموجبه الكنيسة الأرثوذكسية الصربية جامع «سنان باشا» في بلدية بريزرن، وكذلك إدانة حكم المحكمة البلدية في بيتولا، وحكم محكمة الاستئناف في سكوبليه ومحكمة النقض في بلجراد بشأن إعطاء جامع «كريشنا»

للأبرشية الأرثوذكسية الصربية بصفة نهائية. وبعد النظر والبت في الحالتين بشكل واسع ومستفيض استنتجوا الآتي:

١- إن الأحكام الصادرة لا أساس لها من الناحيتين القانونية والواقعية، وتخالف جميع الأعراف الخاصة بالمحاكمات النزيهة والتعامل الحسن مع أكثر من مليوني مسلم في يوغسلافيا، وتعارض الشرائع الإيجابية والواضحة للمادة ٢٤ من قانون الجماعة الإسلامية الدينية لمملكة يوغسلافيا، والمادة العاشرة لمعاهدة فرساي التي تستند إليها محكمة النقض في حكمها.

٢- في العصر الذي يعيشه العالم ومن بينه دولتنا في القرن العشرين يتم إدانة أمور أقل أهمية بكثير من هذين الحكمين الصادرين بحق جامعين مقدسين منذ أكثر من ٣٠٠ سنة لمليوني مسلم يقومون بجميع واجباتهم تجاه دولتهم التي يعيشون فيها، ولم يقوموا بأي عمل يمنح الآخرين الحجة لمثل هذا الهجوم الرهيب على مقدساتهم.

٣- يعتبر مسلمو موستار أن هذين الحكمين لا يتناسبان مع النظام القضائي الحكومي الذي يعترف بأن الديانة الإسلامية متساوية مع الديانات الأخرى، ويعتبرون ذلك هجومًا على أكبر المقدسات الإسلامية وخاصة عندما يكون ذلك من قبل النظام القضائي. ويعتبر مسلمو موستار أن هذين الحكمين هجومان على ديانة معترف بها قانونًا، وما كانا ليحصلا في أحلك

القرون الوسطى ظلامًا خلال فترة الاحتلال الأجنبي؛ حيث إن الاحتلال الأجنبي نفسه قام بحماية دور العبادة ومقدسات جميع المواطنين وخاصة الأرثوذكس. والدليل على ذلك وجود العديد من الأديرة حتى يومنا هذا بالرغم من أن سكانها قد تركوا الديانة الأرثوذكسية. ونضيف أن السلطات الحكومية وخاصة القضائية لم تقم بمثل هذا الهجوم على أي من الطوائف الدينية أو مقدساتها، حتى عندما كانت بعض هذه الطوائف تعمل ضدها.

٤- لذلك فإن مسلمي موستار من خلال وعيهم بحقوقهم وواجباتهم واتباعهم دينهم الحنيف يحتجون بشدة على التعسف تجاه الديانة الإسلامية، ويطالبون السلطات الحاكمة بإيقاف هذا الظلم مرة وللأبد، وبمنع أي هجمات مماثلة على الديانة الإسلامية ومقدساتها المعترف بها والمحمية قانونًا، وأن تفعل تلك السلطات ما بوسعها لإعادة جامع «سنان باشا» في بريزرن، وجامع «كريشنا» في بيتولا، وغيرهما من الأماكن المقدسة والممتلكات الدينية للمسلمين. ويطالبون السلطات الحاكمة بإصدار أوامرها بتقديم كامل الحماية والمساعدة للمؤسسات الإسلامية والحفاظ على كل الحقوق التي يتمتع بها المسلمون.

ويتوقع مسلمو موستار أن تقوم السلطات الحاكمة بدورها وواجباتها تجاه المسلمين على أكمل وجه، وأن تقوم بإلغاء «مفوضية الإدارة الدينية الجنوبية»، لأنهم يعتقدون أن هذه الهجمات على الدين الإسلامي تمت بإخراج من هذه المفوضية التي لا أساس لها قانونًا ويرفضها المسلمون.

وفي حال عدم الاستجابة لطلبات المسلمين فهذا يعني أنهم مضطهدون وأن بقاءهم مهدد في موطنهم الأم، حيث لا يوجد تفسير آخر لعدم قيام إدارة الدولة بحماية الجوامع والمقدسات من هذه القرصنة، فكيف سيثقون بأن هذه الإدارة ستحمي بقاءهم وحياتهم.

إن شكوكهم مبررة؛ لأن ما حدث جاء من قبل النظام القضائي الذي يجب أن يكون محايدًا وفوق الجميع.

موستار ١٨/٢/١٩٤١

الحافظ عمر جابيتش	مفتٍ متقاعد	**الحافظ علي لاكيشيتش**	من الأعيان
شكيب كونهوجيتش	رئيس الإخوان	**إبراهيم ريبيتسا**	رئيس مكتب الوقف الإسلامي
إبراهيم فييتش	مدرس	**الحاج أحمد كارابيج**	مدرس
الحافظ صالح أودوفجيتش	قاضٍ شرعي متقاعد	**حمزة بوزيتش**	مدرس
حسن سماعيلبيجوفيتش	مدير المدرسة	**بشير بينتول**	قاضٍ شرعي
الحافظ صالح بوزيتش	رئيس مكتبة المسلمين	**رستم باشيتش**	مدرس
الحاج إبراهيم فوليفيتسا	إمام	**الحاج علي كرابيج**	مدرس
محرم شليفو	مدرس تعاليم إسلامية	**أحمد جابيتش**	إمام
أحمد فازليتش	إمام	**محمد حميدوفيتش**	مدرس عقيدة إسلامية
عمر كالايتش	من الأعيان	**حسين بركيتش**	مدرس
صالح حسن آغيتش	من الأعيان	**صالح حسن آغيتش**	من الأعيان

القرار الثاني من ممثلي التجمعات الإسلامية في سراييفو، وتم إصداره بمبادرة من المجلس الرئيسي لمجلة «الهداية»، وتم توجيهه إلى رئيس العلماء ولممثل المسلمين في الحكومة الدكتور جعفر كولينوفيتش، وينص على ما يلي:

إن المجلس الرئيسي لمجلة «الهداية» في جلسته المنعقدة يوم ١٩ مارس ١٩٤١م، والتي شارك فيها وفود المؤسسات والتجمعات الإسلامية: مرحمت (Merhamet) وحريات (Hurijat) والأمل الشعبي (Narodna uzdanica) والرزانة (Trezvenosti) ومجلة جيرزيليس (Đerzelez) واتحاد القضاة الشرعيين واتحاد الأئمة والوعاظ واتحاد الأئمة والمدرسين الشرعيين واتحاد الأئمة والمعلمين ومنظمة غيرت (Gajret)، وبعد مناقشة مستفيضة بشأن حكم المحكمة البلدية في بريزرن، والذي تم بموجبه تسليم جامع «سنان باشا» للكنيسة الأرثوذكسية الصربية، وبشأن المحكمة البلدية في بيتولا، وحكم محكمة الاستئناف في سكوبليه ومحكمة النقض في بلجراد بشأن إعطاء جامع «كريشنا» للأبرشية الأرثوذكسية الصربية بصفة نهائية، قرر إرسال مذكرة احتجاج، باسمه وباسم جميع القوانين الوضعية التي تضمن حقوق المسلمين في يوغسلافيا. إن هذه المذكرة تعتبر أمرًا طبيعيًّا؛ لأن السلام والأمن الديني هما الأساس «لمجتمع قومي طبيعي وصحيح». وقد أثبت المسلمون مرارًا وفي كل فرصة أنهم يتبنون هذا المبدأ. ولم يتسببوا أبدًا في خرق السلام والأمن الديني ولا في أي عمل ضد

المصالح الحكومية أو القومية. فهم نفذوا وينفذون كل التزاماتهم المدنية بشكل كامل. لذلك فإن جميع المسلمين في يوغسلافيا تلقوا هذين الحكمين بمرارة كبيرة؛ لأنهما يخرقان السلام والأمن الديني من قبل تجمع ديني آخر تناسى المبادئ الحكومية الأساسية والمصالح القومية، وقام بتحريك مثل هذه القضايا التي تمس أحاسيس المسلمين ومشاعرهم.

ولو قامت كل جماعة دينية بمثل هذا العمل فسوف تظهر حالات مشابهة لا عدد لها في هذه الدولة، وسوف تسبب صراعات عامة وخلافات عميقة بين الجماعات الدينية المختلفة في يوغسلافيا لا تُحمد عقباها.

نحن لن ندخل في تفاصيل وخصائص هذين الحكمين، ولكن لا نستطيع أن نسكت على كون المحكمة قد تجاهلت حقائق خاصة بالوضع الحقيقي لموضوع الخلاف، وهذا أكثر ما جرح أحاسيس المسلمين؛ لأنه يمس أكثر مقدساتهم حساسية وهو المساجد. وهناك إحساس بأن مثل هذه القضايا ستظهر في المستقبل.

نحن ندين أشد الإدانة هذه القضايا ومثل هذا الفهم وهذا العمل الذي يسبب أضرارًا جسيمة قومية وحكومية، ونسأل ممثلينا الدينيين والسياسيين: هل فعلوا ما يلزم لكي يمنعوا ما حصل؟!

نحن نطالب ممثلينا السياسيين والدينيين بأن يتدخلوا بكل قوة ضد هذه التوجهات التي تسبب خللاً في السلام الديني بين الطوائف، وتضرب أسس أحاسيسنا ومقدساتنا الدينية. وفي نفس الوقت نعتبر أن على سياسيينا ورجال ديننا إبلاغ العناصر المسئولة حول شعور وأحاسيس المسلمين ومطالبتهم بإيقاف مثل هذه الظواهر في المستقبل.

حسين بركيتش	نائب رئيس «غيرت»	**عاطف كمينيتسا**	سكرتير «حرييت»
الحافظ محمد بانجو	نائب رئيس «مرحمت»	**الحافظ عمر موشيتش**	السكرتير الأول «للهداية»
الدكتور زعيم شارتس	عضو الغيرة «غيرت»	**راغب موليتش**	عضو المجلس الرئيسي «للهداية»
مصطفى فاريشانوفيتش	إمام	**محمد مويزينوفيتش**	السكرتير الثالث «للهداية»
فيزواله حجي بايريتش	عضو المجلس الرئيسي «للهداية»	**إبراهيم تشادورجيتش**	رئيس اتحاد القضاة الشرعيين
الحافظ رامز يوسوفوفيتش	إمام ومعلم	**صالح حجي عاليتش**	عضو المجلس الرئيسي «للهداية»
محمد فوتشاك	السكرتير الثاني «للهداية»	**نجيم مهيبيتش**	رئيس مجلة جيرزيليس
عثمان عمر هوجيتش	عضو المجلس الرئيسي «للهداية»	**الحافظ محمد ميرهيميتش**	رئيس جمعية ملاك الأراضي
أدهم مولى عابديتش	رئيس الأمل الشعبي	**الدكتور فيصل بيجاكتشيتش**	رئيس اتحاد «القمر»
الأستاذ محمد باشيتش	نائب رئيس «الهداية»	**الحافظ محمد خانجيتش**	رئيس «الهداية»
قاسم دوبراتشا	عضو المجلس الرئيسي «للهداية»	**فايق موسى كاديتش**	رئيس تجمع «الأخوة»
أحمد بوريك	عضو المجلس الرئيسي «للهداية»	**إبراهيم لوتفيتش**	ممثل جمعية «اليقظة»
نجيب حسين آغيتش	رئيس البعث الإسلامي		

أخيرًا، كان هذا المقال مُعدًّا للمحاضرة التي كنت سألقيها عشية الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، ولربما كان عليَّ أن أعيد صياغة بعض أجزائه، ولكني رأيت أن أتركه كما هو.

وكلي ثقة أن الظلم بشكل عام وضد الدين ومقدساته بشكل خاص، هو أفتك الأسلحة التي ستسقط الظالمين حتى لو طال الأمد.

وضع المرأة في الإسلام

لإعطاء صورة واضحة حول وضع المرأة في الإسلام، يجب علينا أن نبين كيف كان وضعها في المجتمع العربي وغيره من المجتمعات قبل الإسلام، وهذا الأمر سيصبح واضحًا من خلال استعراضي لوضعها في الإسلام.

وضع المرأة كمولود

إن الشعور بالسخط والغضب عند ولادة الإناث كان شائعًا لدى الشعوب القديمة، وحتى لدى البعض في عصرنا الحالي. كان كره العرب لولادة الإناث كبيرًا لدرجة جعلت أغلبهم يدفنونهن أحياء، خوفًا من أن يصبحن عبئًا ماديًّا على الوالدين، وخوفًا من العار الذي يمكن أن يجلبنه لأسرهن بتصرفاتهن المعيبة. لقد أدان الإسلام بشدة وحزم هذا العمل الشنيع ورفضه وحرمه. فقد أدان القرآن الكريم هذا العمل بحزم، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾. [التكوير/ ٨]. وفي عصرنا الحالي لا يزال البعض وحتى بعض الجماعات يسخطون من ولادة الإناث، وقد وصف القرآن الكريم

العرب الجاهليين الذين قتلوا بناتهم بقوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ . وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل / ٥٧–٥٩]. إن الله تعالى يعلم المسلمين أن الأولاد هبة من الله تعالى سواء كانوا إناثًا أم ذكورًا، وعلى المسلم أن يتقبل ذلك برضى، قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى / ٤٩–٥٠]. كان العرب يعتقدون أن المرأة لا تستحق أن ترث أهلها، حتى إنهن لم يكن يورثن أبناءهن الذكور. عندما جاء الإسلام أعطى الإناث حق الوراثة، فصعب عليهم ذلك. قال ابن عباس رضي الله عنه: عندما نزلت آيات التوريث، صعب ذلك على العامة وقالوا منحت الزوجة الربع أو الثمن والبنت النصف، وكذلك الأطفال الذكور، وهم لا يقاتلون ولا يجلبون الغنائم.

إن الشريعة السمحة أعطت البنت نصف حظ الذكر ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء / ١١]، وهنا نرى من يحتج على عدم المساواة مع الذكور، ولكن أرى أن هذه القسمة عادلة تمامًا؛ لأن الرجل هو الذي يدفع المهر للزوجة، وهو المسئول عن إعالة أسرته، أما المرأة فهي غير ملزمة؛ لأنها تحصل على المهر وتتمتع بإعالة زوجها لها، وفي حال وفاته فهي ترثه، لذلك فإن الشريعة السمحة جعلت القسمة عادلة.

وفرضت الشريعة على الأب إعالة أبنائه الذكور، حتى يتمكنوا من إعالة أنفسهم، في حين أن الآباء ملزمون بإعالة بناتهم حتى يتزوجن. وحتى عندما يتوفى الزوج أو عندما يطلقها وتصرف نفقتها فالأب ملزم بإعالتها؛ لأنه لا يستطيع إجبارها على العمل لتعيل نفسها كما يفعل الذكور.

إن الدين الحنيف أعطى الحق للفتاة البالغة بقبول الزوج أو رفضه، فبدون موافقتها لا يمكن تزويجها. جاء الإسلام بهذه التشريعات في القرن السابع الميلادي، أما أوروبا فقد أعطت المرأة هذا الحق في القرن السادس عشر.

وضع المرأة كزوجة

لقد اعتبر العرب قبل الإسلام المرأة سلعة يمكن توريثها، فهي تُعطى لمن يرث زوجها، فإذا شاء اعتبرها زوجة له بدون مهر، أو يُزوجها ويأخذ مهرها، أو حتى يمنعها من الزواج لكي يرثها بعد موتها. فجاء القرآن الكريم بتحريم ذلك، فقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [النساء/ ١٩].

كما حاول العرب بشتى الطرق منع تزويج النساء حتى يرثوهن بعد موتهن، فجاء الإسلام وحرم ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ [النساء/ ١٩].

أما تصرفهم مع النساء فكان تعسفيًّا، وكان من له أكثر من زوجة يتصرف حسب أهوائه، فجاء الإسلام وطالبهم بمعاشرتهن بالمعروف ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء/ ١٩]. وإذا كان الرجل لا يستطيع العدل بينهن فعليه بواحدة فقط ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء/ ٣]. وقال تعالى ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء/ ١٢٩].

كما أن العرب اعتبروا النساء سلعة يمكن تأجيرها، فجاء الإسلام ليكرمهن ويجعلهن أحرارًا، وجعلهن ربات للمنزل وسيداته يسهرن على حمايته، فقال رسول الله ﷺ: «المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها».

كما أن الإسلام لم يُحمِّل المرأة أكثر من طاقتها، فجعل إعالة الأسرة على عاتق الرجال، ومنحها حق رعاية الأطفال والاهتمام بالبيت وحمايته وصيانة شرف زوجها والإخلاص له، وطالبها بعدم الخروج من البيت إلا بموافقته. إن هذا الطلب ليس تعسفًا بحقها، إنما حماية لها وصون لشرفها. ونحن نرى نتيجة حرية خروج المرأة من بيتها في عصرنا الحاضر.

حتى إن الإسلام لم يطالب المرأة بإعالة أطفالها حتى وإن كانت غنية إلا برضاها، وأعطاها الحرية في التصرف بممتلكاتها، فالزواج لا يسلبها حقها في إدارة أملاكها وأموالها.

وضع المرأة كأم

لقد منح الإسلام الأمهات أعلى الدرجات، فقال ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات». فحقها على أولادها أكبر بكثير من حق الآباء على أبنائهم. فقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ: «من أحق الناس بصحبتي؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أبوك».

فضل الرجال على النساء

بدون شك أن الرجل أقوى من المرأة وأكثر تحملاً للمشقات، وهذه إرادة الله في الحياة، فقد وضع رعاية الأسرة على عاتقه فقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾ [البقرة/ ٢٢٨]. بناء على هذه الآية فإن الخلافة تكون للذكور فقط، وحق الطلاق بيد الزوج؛ لأنه هو الذي يتأثر ماليًّا بذلك، فالمرأة تغضب بسرعة وترجع عن غضبها بسرعة.

كما لم يساو التشريع الحنيف بين الرجل والمرأة في شئون «الشهادة»، فالقرآن جعل شهادة الرجل بامرأتين، قال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [البقرة/ ٢٨٢]. إذًا فالقرآن يعتبر المرأة في طبيعتها أضعف من الرجل وأكثر نسيانًا، لذلك عندما تشهد يجب أن تكونا اثنتين لتذكر إحداهما الأخرى.

إن الشريعة السمحة ليست الوحيدة التي تعتبر المرأة مخلوقًا أضعف من الرجل، فالقانون الروماني كان يعتبر المرأة طوال حياتها أضعف من أن تتحمل أعباء الأعمال الهامة فهي كالطفل، لذلك يترك للرجل الحق في إدارة منزله. والقانون الفرنسي لا يسمح للمرأة بدون موافقة زوجها بإبرام العقود، إذًا فالقوانين البشرية تعترف بضعف المرأة وعدم تساويها في جميع الأمور مع الرجل.

كما أن الإسلام يعتبر الجهاد فرضًا على الرجال فقط، باستثناء الدفاع عن بلاد المسلمين فهي ملزمة مثل الرجال بالجهاد حتى بدون موافقة زوجها. ولا تُؤخذ الجزية منها، وليست ملزمة بصلاة الجمعة أو صلاة العيد.

هذه هي الفروقات عمومًا بين الرجل والمرأة في الإسلام. أما أعداء الإسلام فيعيبون بعض التشريعات الخاصة بالنساء وأكثرها «تعدد الزوجات»، وحق الطلاق، وحجاب النساء، لذلك سأحاول الرد على هذه الادعاءات لاستكمال هذا الحوار قدر المستطاع.

تعدد الزوجات

إن أعداء الإسلام يعتبرون تعدد الزوجات - الذي سمح به الإسلام بشروط — من أكبر العيوب، فهم يعتبرونه تخلفًا ثقافيًّا يعيق تقدم الحضارات وظاهرة غير طبيعية تهين المرأة وتهدم الإنسانية.

لقد سمح الإسلام للرجل الذي يتبع القواعد الخاصة بتعدد الزوجات أن يتزوج من أكثر من زوجة واحدة حتى أربع زوجات. فالرجل المتزوج من أكثر من واحدة يجب أن يعدل بينهن في جميع حقوقهن، ومن لا يستطيع فواحدة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء/ ٣].

إن تعدد الزوجات ليس تخلفًا، فقد بنى العرب والمسلمون حضارة يشهد لها العالم أجمع، بالرغم من أن تعدد الزوجات كان منتشرًا بينهم. وتعدد الزوجات لا يقف عائقًا أمام الحضارة؛ لأن الحضارة الرومانية القديمة كانت رائدة في العالم، وكانت تشجع تعدد الزوجات لتعويض النقص في الرجال بسبب الحروب الكثيرة.

إن تعدد الزوجات ليست ظاهرة غير طبيعية، بل على العكس، فالإحصاءات تشير إلى وجود فائض في عدد النساء، فأمام كل ١٠٠٠ رجل يوجد ١١٠٠ امرأة، وهذه النسبة في أيام السلم. يعني هناك ١٠٠ امرأة سليمة لا تستطيع ممارسة الظاهرة الطبيعية لها وهي الزواج. فإلغاء تعدد الزوجات هو ظاهرة غير طبيعية، فالذين ينادون بها ينكرون على الإسلام السماح بتعدد زوجات مشروط ومحدود وشرعي، ويسمحون «بتعدد زوجات» غير مشروط وغير شرعي وغير محدود ومدمر للأخلاق والأعراق ومدمر للأسس الأسرية.

فإذا أضفنا إلى ١٠٠ فتاة بدون أزواج – كما تشير الإحصاءات – النساء الأرامل، فنرى في سويسرا مثلاً بالإضافة إلى ١٠٠٠ رجل يوجد ٦٠,٣ رجل «أرمل»، وبالإضافة إلى ١١٠٠ فتاة، هناك ١١٤ «أرملة». وفي إيطاليا هناك ٦٠ أرمل و ١٣٦ أرملة، وفرنسا ٧٣ أرمل و١٣٩ أرملة، وفي ألمانيا ٤٤ أرمل و١٢١ أرملة، وفي النمسا ٥٠ أرمل ١٣٠,٥ أرملة، أي مقابل كل ٣٥١ رجلاً هناك ٧٦٤ امرأة إضافية، مما يعني أن تعدد الزوجات ليس ظاهرة غير طبيعية. كما أن الهدف من الزواج هو الذرية، فتعدد الزوجات يضمن بقاء الشعوب.

تعدد زوجات الرسول ﷺ

لقد سُمح لرسول الله ﷺ بتعدد الزوجات، حتى إنه في فترة من الفترات كان في عصمته تسع زوجات، مما جعل أعداء الإسلام يهاجمونه عليه السلام.

كان لرسول الله زوجة واحدة قبل الهجرة، وكانت تكبره بخمس عشرة سنة. كان عمره ثلاثًا وخمسين سنة عندما هاجر إلى المدينة المنورة. وبعد الهجرة تزوج أكثر من زوجة، ويستطيع كل عدو له أن يستنتج من هذا أن تعدد زيجاته لم يكن للمتعة. فقد تزوج – عليه الصلاة السلام– تسع زوجات وهو كبير السن، ونحن سنذكر بعض أسباب تعدد زوجاته:

١) من المعروف وجود الكثير من القواعد الشرعية التي تخص النساء فقط، يستحيي الرجل من الخوض فيها وشرحها للنساء. لذلك كان من الضروري وجود أكثر من امراة متمرسة بالتشريعات الإسلامية التي تخص النساء، وقد قامت زوجات الرسول ﷺ بهذا الدور. ففي أحد الأحاديث النبوية سألت إحدى النساء الرسول ﷺ عن «الحيض»، فأجابها باقتضاب، فلم تفهم المرأة وطلبت شرحًا أكثر، فاستحى رسول الله- عليه الصلاة والسلام- فأعرض بوجهه، فأخذتها عائشة - رضي الله عنها- وأخبرتها بما يريد النبي ﷺ. وكانت عائشة - رضي الله عنها - أكثر نساء الرسول عليه السلام نفعًا في ذلك، فهي أصغرهن سنًّا، وتعلم منها الصحابة - رضوان الله عليهم- الكثير.

٢) إن زواج الرسول من مختلف القبائل كان يهدف لمساعدة الإسلام وتسهيل انتشاره في بداية الدعوة.

كما أن زواج رسول الله ﷺ كان لأسباب معينة، وسنذكر بعض هذه الأسباب:

١) لقد تزوج رسول الله ﷺ من الأرملة أم حبيبة بنت أبي سفيان وهي في الحبشة، حيث هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، ولكنه تنصر ومات في الحبشة نصرانيًّا. فبقيت وحدها في بلد المهجر مع ابنتها،

وعندما علم رسول الله ﷺ بذلك طلبها من النجاشي فوافقت ودفع لها النجاشي صداقها. هذا الزواج دليل على رحمة وإنسانية رسول الله ﷺ.

٢) أما زواجه من جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار زعيم بني المصطلق، حيث جهز والدها جيشًا لمحاربة المسلمين وخسر المعركة، وأسر المسلمون جميع جنوده، ومن بينهم جويرية. فطلبت من رسول الله أن يعتقها، ففعل وطلبها للزواج فوافقت. وقد أعتق المسلمون جميع الجواري من بني المصطلق، وأطلقوا سراح الجنود فاعتنقوا الإسلام. هذا يعني أن زواج رسول الله ﷺ من جويرية سبب في إسلام قبيلتها بالكامل.

٣) وزواجه من عائشة -رضي الله عنها- كان مكافأة لصديقه أبي بكر الذي أيده منذ أول يوم للدعوة.

٤) في حين أن زواجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء بعد وفاة زوجها الصحابي الجليل خنيس بن حذافة السهمي متأثرًا بجراح أصابته في أحد. فتألم عمر وأصبح يشعر بانقباض في نفسه كلما رأى ابنته الشابة تعاني من عزلة الترمل، فأخذ يفكر بأمرها بعد انقضاء العدة، ومن سيكون زوجًا لابنته؟ ولما طالت الأيام عليه عرضها على أبي بكر، فلم يجبه بشيء، ثم عرضها على عثمان فقال: بدا لي اليوم ألا أتزوج. فوجد عليهما وانكسر،

وشكى حاله إلى النبي ﷺ، فقال: يتزوج حفصة من هو خير من عثمان. ولم يفهم عمر معنى قول النبي لما به من هموم بشأن ابنته، ثم خطبها النبي، فزوجه عمر ابنته حفصة، ونال شرف مصاهرة النبي ﷺ، ورأى أنه قارب المنزلة التي بلغها أبو بكر من مصاهرته للنبي ﷺ.

يتبين لنا مما سبق أن زواج رسول الله ﷺ لم يكن لمتعة أو لسلطة كما يحاول أعداء الإسلام إظهاره، إنما لأهداف سامية وإنسانية يتصف بها حبيب الله ﷺ.

الطلاق

إن أعداء الإسلام ينكرون على الإسلام السماح بالطلاق، بحجة أن الزواج مقدس لا يمكن هدمه.

أما الإسلام فيعتبر الزواج عقدًا يُبرم بحرية الطرفين الذكر والأنثى غير محدود الأجل، لذلك يشهد على الزواج شاهدان ككل العقود. إن المجتمعات الإنسانية تحتاج للزواج بهدف النمو والتكاثر، وبالزواج يتم الحفاظ على الأنساب، لذلك فإن الدين يحرم أي علاقة بين الرجل والمرأة إلا بالزواج. إذًا من خلال ما عرض نرى أن الزواج لا يعتبر مقدسًا كنوع من العبادات.

إن الإسلام يعتبر الطلاق بدون أسباب نوعًا من الخسة؛ لأنه يسبب نتائج سيئة كثيرة، كما يعتبر منع الطلاق بالرغم من وجود أسباب موضوعية يسبب نتائج سلبية كثيرة.

إن السماح بالطلاق يهدف لتفادي أضرار قد تحدث من استمرار الزواج، لأن الزواج بدون تفاهم وحب يهدم الأسرة. إن وجود الخلاف بين الرجل والمرأة يحتاج لعلاج، وفي حال تعذر إيجاد الحلول فإن الطلاق هو العلاج الأنجع. إن الدين الحنيف وضع حدودًا للطلاق، فيمكن تجديد الزواج بعد الطلقة الأولى، وربما يؤدي الزواج المجدد بعد الانفصال إلى تقوية العلاقة بين الزوجين. وفي حال الفشل هناك محاولة أخرى. كما أن الشرع أمر بتدخل الوسطاء من كلا الطرفين لمحاولة حل الخلاف، وهناك محاكم خاصة بالمعاملات الزوجية.

الحجاب الشرعي

لقد فرض الشرع على المرأة أن تتحجب وتغطي عوراتها، باستثناء الوجه والكفين حتى الرسغ، ويوصي الشرع أن تبقى المرأة في بيتها قدر المستطاع لتمارس أعمالها المنزلية، وأن لا تخالط الرجال. كما أن الصلاة في بيتها وغرفتها أفضل منها في الجامع، ويحاول المنتقدون أن يعتبروا ذلك نقصًا من حريتها وممارسة للعنف نحوها.

ولكن هدف الشرع هنا التوصل لأسمى درجات الرفعة عند المرأة، وتوضح الآية التالية ذلك: فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور/ ٣١]. إذًا جميع الفروض جاءت لحماية المرأة والحفاظ على شرفها وعفتها، ولمنع انتشار البغاء. لذلك فإن الشرع قام قبل كل شيء بأمر المرأة بالحجاب وعدم التزين إلا لمن سمح لها الشرع به، وأمر بمنع الاختلاط بين الرجال والنساء، وأمر الرجال والنساء على السواء بغض النظر..إلخ، ثم حرم الزنا.

ولكي نثبت أن هذه الشرائع الإسلامية الخاصة بالمرأة لا تجعلها متخلفة، سنذكر وقائع من التاريخ الإسلامي. ففي التاريخ الإسلامي الحافل هناك العديد من النساء اللاتي وصلن لمرحلة من التعليم والثقافة والحنكة ليتربعن على قمة النساء حتى عصرنا الحالي، وهاك بعض الأمثلة:

١) السيدة عائشة -رضي الله عنها- كانت عالمة في الشريعة والفرائض والشعر العربي والطب الشعبي الذي كان منتشرًا في الجزيرة العربية. وكان الصحابة -رضوان الله عليهم- يسألونها في المسائل الشرعية الصعبة.

٢) السيدة سكينة بنت الحسين حفيد رسول الله ﷺ، كانت عالمة في نقد الأشعار، فكان الشعراء يطلبون منها الحكم على أشعارهم، ومن كانت تمدح أشعاره كان يحظى بالشهرة الكبيرة.

٣) وفي القرن الخامس ظهرت «شهدة فخر النساء» في بغداد، وكانت تلقي المحاضرات في التاريخ والآداب.

٤) وكانت زوجة هارون الرشيد زبيدة من أهم النساء في العالم، وقد أوصلت المياه إلى الوادي الكبير في مكة، حتى إن اسمها لايزال يحمل اسم ذلك المكان.

إذًا هناك الكثير من النساء في العالم الإسلامي كن من الأوائل في العلوم والإدارة وقيادة الجيوش وفعل الخير والشعر وغيرها من الكفاءات التي لا مجال لذكرها.

هل يمكن للمسلم أن يعيش حياة الأوروبيين ويبقى مسلمًا جيدًا؟

ظهر كُتيب في مدينة توزلا تحت عنوان «القرآن بين النظرية والتطبيق» يضم حوالي سبعين صفحة، صب فيه الكاتب «بيسا آدم» جام غضبه على علماء الدين، وكان صادقًا في كتابه، حيث قال علنًا ما أخفاه الكثيرون في قلوبهم.

أنا لم أتعرف على هذا الكاتب شخصيًّا، ولكني سمعت عنه. إن كرهه الكبير لعلماء الدين – لدرجة يتمنى أن يبيدهم من الأرض – لم يفاجئني أبدًا، خاصة في يومنا هذا الذي انقلب فيه الجميع ضدهم. فهو يصف العلماء بأنهم ذوو وجهين، واحد محافظ أمام العامة والآخر مجوني لأنفسهم.

على مثل هؤلاء أن يعلموا أن علماء الدين مستعدون للعمل طوعًا ومجانًا في خدمة الإسلام الحنيف، ولن يعيروا اهتمامًا له ولأولئك الذين يفسرون الإسلام حسب أهوائهم، ويطلبون من العلماء أن يؤيدوهم في ذلك.

إن الكاتب كأساتذته يستهزئ ويهين «العمامة والقضاء الشرعي» وكل من يخدم الدين أو يفسره على عكس ما يفهمه هو وأمثاله. فالمدارس الشرعية

تغيظه، والقضاة الشرعيون يستفزونه فيصفهم بأنهم «يتقاضون مرتبات الجامعيين ومؤهلاتهم ثانوية»، كما أن الجامع الأزهر والذي يسميه «الجامعة الإفريقية» يسبب له الأرق فينعت المتخرجين منه بأنهم «الإفريقيون».

ولكي يبين هذا المفسر الكبير «للقرآن» واللاهوتي الكبير والمعلم الإسلامي الكبير أنه ملم بكل شيء ويعرف كل شيء، يذكر أنه استعان في كتابه بمراجع مثل «كتاب القواعد» ويسميها «علم النحو والصرف»، و«الأسلوبية» لماريتتش ويسميها «علم المعاني»، و«الشعر والحديث» لتشوتكوفيتش يسميه «علم البيان»، ومنطق أرنولد يسميه «علم المنطق»، وذكر الكثير من كتب المدارس الثانوية حتى وصل عدد مراجعه لأكثر من ٥٠ مرجعًا ليثبت لنا أنه يمتلك الشروط المطلوبة ليكون مفسرًا متمكنًا!!

لن نستغرب من ظهور هذا الكتاب؛ لأن الكاتب تعلم على يد دعاة مسلمين هنديين، فيذكر «إن الدعاة الهنود المسلمين أصدروا كتابًا في ألمانيا تحت عنوان (Moslimishe Rewue)، وإني شاكر لهم لأنهم أدخلوني في لغة القرآن»!

وفي بحثه عن الحقيقة كناقد موضوعي يذكر في مقدمة كتابه «أن علماء الدين المحليين لا يسمحون بإدخال الكهرباء لجامع الغازي خسرو بك». هذا مثال على بحوثه ونقده الموضوعي!

ويذكر في كتابه قاعدة عامة تنص على «أن العالم الغربي الأوروبي يفهم القرآن أفضل من العالم الشرقي الإفريقي والآسيوي». فبالنسبة له يمثل كتاب الفقه «منية المصلي» للكاشغري «ومضة سيئة السمعة». وهناك الكثير من الأمثلة الأخرى، وسأكتفي بهذا لأبين «الوقاحة» التي يتصف بها مثل هذا الكاتب، وعلى المؤسسات الدينية أن تتخذ الإجراءات المناسبة ضد مثل هذه التصرفات.

إن هذا الكاتب الذي لا يمتلك القدرة على أن يصحح حتى كُتيبه هذا، يتجرأ بكل وقاحة على «تصحيح» الإسلام الحنيف من خلال كُتيب من ٧٠ صفحة.

۞ اللاموضوعية إزاء الإسلام

في مقالة «الأمل في المستقبل» والتي نشرت في مقدمة العدد السابق لمجلة «نوفي بهار novi behar» بينت بالأدلة القاطعة أن مستقبلاً باهرًا ينتظر الإسلام، والذي سيتحقق بالضرورة إن شاء الله.

هناك أسباب كثيرة لكون هذا المستقبل العظيم مختلفًا في شكله ومتأخرًا في تحققه. فلتحقيق فكرة سامية كالإسلام نحتاج لوقت طويل؛ لأن القانون الإلهي في هذه الحياة يستدعي استيفاء جميع الشروط والظروف اللازمة لتحقيق هذه الفكرة. من أسباب عدم تحقيق مستقبل عظيم للإسلام هو عدم اتباع المسلمين لكل الفرائض والسنن النبوية، وخاصة تلك التي تضمن تقدمًا اجتماعيًّا، وأهمها اللاموضوعية إزاء الإسلام، والتي ستكون موضوع هذا المقال.

قبل كل شيء أود أن أذكر أن اللاموضوعية إزاء الإسلام بدأت بالاندثار، وكلما تقدم البشر أكثر في العلم، فإن اللاموضوعية تجاه الإسلام ستضعف حتى تختفي نهائيًّا.

إن ظهور الإسلام كان كالشمس التي بدأت تسطع بسرعة رهيبة، وخاف الكثيرون من انتشار الإسلام في جميع أنحاء الأرض خلال قرن واحد من الزمن؛ لأنه ملأ نصف الكرة الأرضية خلال خمسين سنة فقط. إن أتباع الديانات الأخرى وخاصة رجال دينهم اعتبروا أن مهمة وقف الانتشار الإسلامي تقع على عاتقهم رافعين شعارًا غبيًّا نصّه: «كن على ما كان عليه أبوك»، وبدؤوا باستخدام أدنى الأساليب للوصول إلى أهدافهم، فاستخدموا الأكاذيب والاتهامات الباطلة والترهيب والترغيب. كان هدفهم الأساسي هو عدم إعطاء الفرصة للجاهلين من الشعب للوصول إلى معلومات عن الإسلام؛ لأنهم يعرفون جيدًا أن أي فهم لطبيعة الإسلام الحنيف سوف يؤدي لاعتناقه.

كان الكُتَّاب مثل (مراتشي Maracci)، (نيكول دي كيزفيف Nicoles de Cuse Vives)، (رودولف دي لودهيم Rudolph de Ludheim)، (بريدو Prideaux)، (بيبليأندر Bibliander)، (هوتنغر Hotinger) وغيرهم يصفون الرسول ﷺ بأنه رجل كاذب، وأن الإسلام من أعمال الشياطين، والمسلمين متوحشون، والقرآن الكريم مليء بالأكاذيب والخرافات. حتى إن بعضهم وصل في نشر مثل هذه الأكاذيب لحد وصف الرسول ﷺ بأنه صنم، وأن الجوامع مليئة بالأصنام التي يعبدها ويصلي لها المسلمون. وقد أكد بعضهم الآخر أنه رأى بأم عينيه بين هذه الأصنام صنم محمد – عليه الصلاة والسلام– وهو مصنوع من الذهب والفضة، وهو يركب على فيل موضوع على أرضية فسيفسائية. وفي بعض الأعمال يذكرون

أن المسلمين يمجدون الثالوث، وفي بعضها الآخر مثـــل كتـاب «رواية محمد» (Roman de Mohamet) يرد أن الإسلام يسمح للمرأة بالزواج من عدة رجال في وقت واحد.

وهكذا أرادوا بهذه التأكيدات إظهار الإسلام على أنه دين سفيه (!!!)، وهناك الآلاف من هذه التأكيدات التي يعجز العقل السليم عن استيعابها.

إن هذه «اللا موضوعية»- وإن قلت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين- لا تزال موجودة. فالمستشرق (نولدكه Noldeke) فسر نزول الوحي على محمد – عليه الصلاة والسلام – بأنه نوبات «صرع» كانت تصيبه. أما سبرنغر (Spremger) فيذكر من ناحيته أن الرسول ﷺ كان مصابًا بنوبات هيستيرية. أما غريم (Grimme) فقال إن فكرة محمد ﷺ هي فكرة شيوعية فارغة ألبسها طابعًا دينيًّا ليستطيع نشرها وتثبيتها. وحاول مرغليوث (Margoliouht) تأكيد أن الرسول الكريم كان مشعوذًا. وكتب لامنس اليسوعي (Jezuita Lamnes) أن محمدًا كان شرهًا، ومات بسبب التخمة.

هذه عينات مما كان العلماء الغربيون يكتبونه في القرن التاسع عشر والقرن العشرين حول الإسلام والمسلمين. وبالرغم من ذلك فقد كان من بينهم من وقف في وجه هذه الأكاذيب ودافع عن الحقيقة. فمثلاً كذّب الكاتب دي غويه (De Goeje) تأكيدات نولدكه (Noldeke) بأن الوحي هو نوبات صرع تصيب

الرسول ﷺ مبينًا أنها تأكيدات خاطئة وغبية؛ لأن من يصاب بهذه النوبات لا يتذكر أي شيء خلال النوبة. فمحمد - عليه الصلاة والسلام - لم يكن كذلك، إنما كان شديد النباهة وسليم العقل. وقد وقف سنوك هرغونيه (Snouk-Hurgronje) ضد سبرنغر (Sprenger) وضد تأكيدات غريم (Grimmea)، قائلاً: إنه من المستحيل أن يكون الإسلام فكرة شيوعية فارغة؛ لأن أحد أساسيات هذا الدين هو الإيمان بالبعث والحياة الآخرة.

وكثيرًا ما حصل تضارب في نظريات العلماء الذين حاولوا أن يؤكدوا نظرياتهم على أسس علمية وأبحاث دقيقة، فمثلاً ذكرنا أن لامنس اليسوعي (Lamnes Jezuita) أكد أن محمدًا كان شرهًا، ومات بسبب التخمة، وفند بينيه سجل(Pinet Sagle) ذلك فقال إن الرسول ﷺ كان قليل الطعام وكثير الجوع مما سبب ضعفه وموته. فإذا جمعنا كل التأكيدات العلمية - حسب زعمهم — لوجدناها متضاربة وتنفي إحداها الأخرى، لدرجه تجعل المرء يعجب من ذلك ويتساءل: هل يمكن لعاقل كتابة هذه الأكاذيب؟ وهل يمكن لقلم «عالم» كتابة مثل هذه السفاهات؟!!

كما ذكرنا سابقًا كان هناك علماء غير مسلمين يكتبون بموضوعية عن الإسلام، من بينهم غروسيه (Grousset) الذي قال: «إن محمدًا –عليه الصلاة والسلام– كان شابًا كريمًا محبًا للخير ارتقى فوق الوسط الذي كان يعيش فيه.

فقد كان العرب قبل دعوته يعبدون الحجارة والأصنام ويعيشون في فوضى وجهل وقتل فيما بينهم ويتبعون عادات جاهلية همجية، فأسس لهم دولة ديمقراطية وحَّدتهم، وأبعدتهم عن الفوضى والقتل والعادات الهمجية....».

وقال منتت (Mentet) في كتابه «محمد والقرآن» : «إن محمدًا عليه السلام كان رجلاً ذا صفات حميدة وكريمة، فعندما يتحدث كان فصيحًا، وعندما ينتقد كان على حق وصدق. أهم صفاته الصواب في التفكير والعدل في الانتقاد والوضوح والصدق في الكلام والإيمان بكل ما يقول ويفعل».

أما الأعمال التي كُتبت بلغتنا فهناك الكثير من اللاموضوعية والتجديف فيها. وقد استخدم كُتابها مثل تلك الأدلة الواهية لعدم وجود أدلة دامغة ملموسة ضد الإسلام الحنيف. وسنذكر بعض هذه الأعمال اللاموضوعية مثل تلك التي تؤكد أن الإسلام يسمح بالثأر، وهذا افتراء؛ لأن الإسلام يحرم ذلك. إن الإسلام يسمح بحكم الإعدام (القصاص) للقتل العمد، وتنفذه السلطة القضائية فقط. وقبل التنفيذ يطلب من أسرة المقتول أن تعفو عن القاتل أو أن تأخذ (الدية)، وفي حال الرفض يتم تنفيذ الحكم بالقتل. ويتم تنفيذ حكم الإعدام في القوانين المدنية أيضًا. فبدون شك أن القانون القرآني سيبقى مصدر تشريع دائمًا للإنسانية، فقال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٩].

كما أن كثيرًا من الأعمال تنسب للإسلام أنه يترك أتباعه يستسلمون بيأس للإيمان بالقضاء والقدر، أي أنهم يصورون الإيمان بالقضاء والقدر على أنه أمر لمعتنقي الإسلام بالتواكل والاستسلام للقدر أو أن يترك القدر ليفعل بهم ما يشاء.

الإيمان بالقضاء والقدر الذي يطالب به الإسلام مختلف ويجعل الإنسان قويًّا لا يائسًا، فالكل يعرف أن الإيمان بالقضاء والقدر جعل المسلمين يدافعون عن بلادهم وأراضيهم بكل شجاعة مؤمنين بأن لكل أجل كتابًا ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل/ ٦١]، وهذا هو الإيمان الحقيقي بالقضاء والقدر. والآية الكريمة التالية تفند مزاعمهم وافتراءاتهم، فقال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم/ ٣٩].

ويحاولون دائمًا ابتداع العيوب في الإسلام، فهم يصفون دعوة الإسلام للتفهم والتفكر بأنها دناءة وبساطة. فإذا كانت هذه الفضيلة عيبًا فنحن نتقبلها بكل رحابة صدر. إن الإسلام يفتخر بكونه دين التعقل والتفهم، فلا توجد سورة فيه إلا وتدعو لذلك ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس/ ٦٨]، ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الزمر/ ٤٣]، ﴿ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية/ ٥]، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٣]، ﴿كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح/ ١٥]، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال/ ٦٥]، ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ ﴾ [التوبة/ ٨٧]،

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس/ ٢٤]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف/ ١٧٦].
المبشرون الذين يجدون صعوبة كبيرة في نشر المسيحية يفسرون سرعة انتشار الإسلام في وسط إفريقيا بأنه دين دنيء وبسيط يسهل على الأفارقة «الأغبياء» فهمه. أما السبب الحقيقي لسرعة انتشاره فيكمن في سهولة فهم أسسه ومبادئه، فالمسلمون إخوة قلبًا وروحًا، سودًا كانوا أو حمرًا أو صفرًا ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات/ ١٣]. أما الأوروبيون فلا يستطيعون تقبل ذلك قلبًا وروحًا، لذلك هناك فجوة بينهم وبين السود المسيحيين.

ونحن نقرأ كثيرًا تعليقاتهم على تعدد الزوجات بأنه إهانة للمرأة وهدم للحياة الأسرية.

يسمح الإسلام بتعدد الزوجات في الحدود الشرعية (أربع زوجات على الأكثر) ضمن شروط صعبة. كما أن الطلاق مسموح به للضرورة، فهو أبغض الحلال عند الله. فإذا كان تعدد الزوجات والطلاق يهدمان الحياة الأسرية، فيكفي أن ننظر اليوم إلى الأسر الإسلامية – بالرغم من الابتعاد الكبير عن تطبيق الشريعة في حياة المسلمين - والأسر الأوروبية لنرى الفرق الشاسع في الترابط الأسري بين الطرفين. إن الإسلام دين عمل وتطبيق وليس دين نظريات لا يمكن تطبيقها، ما الذي يهدم الحياة الأسرية: تطبيق تشريع تعدد الزوجات بشروط صعبة وشرعية أم تطبيق تعدد الزوجات بالطرق غير الشرعية والسهلة

التي تفتح المجال لهدم الأسر ونشر الفجور والرذيلة؟ إن الإنسان يحتاج لدين لا يبعده عن طبيعته البشرية، والإسلام هو ذلك الدين.

ولا تُحصى المرات التي يصفون فيها انتشار الإسلام بالعنف وقوة السلاح.

وهذا كذب وافتراء. إن الدولة الإسلامية فتحت البلاد وتوسعت بالحروب كغيرها من الدول، وهذه سنة الحياة منذ خلق الله الأرض إلى يوم القيامة. أما قولهم إن الإسلام انتشر في تلك الدول بالعنف والقهر والسيف والقوة فالتاريخ لا يؤكد ذلك. فلو كان الأمر كذلك لما رأينا اليوم من إستانبول حتى فيينا إلا المسلمين، وما كنا نجد في شبه جزيرة البلقان أية كنيسة أو دير بني قبل دخول الأتراك إليها. لقد حكم الأتراك المجر لأكثر من مائتي سنة وبنوا عددًا لا يحصى من المساجد، أما اليوم فلن نجد أي مسجد هناك. إن الإسلام يحرم الخنوع وترك الجهاد والدفاع عن بلاد المسلمين التي تتعرض للهجوم من قبل الأعداء، وإن ثواب الجهاد كبير فإما النصر أو الشهادة. تجدر الإشارة إلى أن جميع الديانات استعملت السلاح، وإذا قارنا بينها نجد أن الإسلام أسمى ديانة، فلم يسجل التاريخ أبدًا ما يجعلنا نخجل، على عكس الديانات الأخرى، وما حصل في الأندلس أكبر دليل على ذلك، حيث قاموا بقتل وحرق المسلمين وأجبروهم على التنصر. إن الإسلام يطالب أن يقبل الإنسان الإسلام قلبًا وروحًا، وهذا

لا يتم بالقوة والقهر ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة/ ٢٥٦]، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف/ ٢٩].

في لغتنا نجد الكثير من الهجمات على الإسلام ومعتقداته، ولكن ما يجعلنا نتفاءل هو ظهور الحقائق شيئًا فشيئًا، وسيأتي اليوم الذي يعرف فيه الناس الحقيقة، وتظهر الموضوعية في ذكر الحقائق، وسيأتي يوم تتحقق فيه كلمات الله جل وعلا ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ ﴾ [الأحقاف/ ١٠]، ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت/ ٥٣].

الوطنية والقومية من وجهة نظر الإسلام[1]

عندما نُشر كتابي «انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك وأصول مسلمي البوسنة والهرسك»، والذي هدف لإثبات أن مسلمي البوسنة والهرسك هم سكان البوسنة الأصليون وليسوا دخلاء عليها، انتقدني الكثيرون؛ لأنني لم أركز على قومية مسلمي البوسنة والهرسك.

سأعمل على هذا الأمر بعد جمع كل المعلومات التاريخية الخاصة بذلك وسأضعها في كتاب مستقل. ولكن قبل ذلك أريد أن أُبين موقف الإسلام من الوطنية والقومية المتعصبة؛ لأنه لا يمكن بشكل من الأشكال إهمال هذا الموقف خلال الحديث عن قومية مسلمي البوسنة والهرسك.

وسيكون موقف الإسلام من القومية والقومية المتعصبة والوطنية محور هذه المحاضرة.

---

(١) هذه المقالة هي محاضرة لي ألقيتها العام الماضي في شهر رمضان المبارك في مبنى جمعية «مرحمت». لم يتم نشر هذه المحاضرة بالكامل حتى يومنا هذا، بالرغم من نشر مقتطفات منها في الصحف الصادرة في زاغرب. وها أنا اليوم أنشرها بالكامل.

بين الحيوانات أصناف يعيش أفرادها حياة مستقلة كل على حدة، لا تعيش في أي شكل من أشكال المجتمع، حتى الذكر لا يعيش مع الأنثى، وهذا الصنف يعتبر أقل الأشكال بدائية للمخلوقات الحية. إن أبسط شكل للحياة الجماعية يتمثل في مجتمع يتألف من ذكر وأنثى فقط، ثم تتدرج أشكال المجتمعات فنرى القطعان والفصائل والأسر، أي جميع أشكال المجتمعات.

أما الإنسان فهو مخلوق تعاوني يعيش في المجتمع مع باقي أفراد عشيرته، يكمل أحدهم الآخر في مجتمع متكامل. عندما ننظر لاحتياجات الناس وتركيبتهم وطرق عيشهم نستنتج أنهم مخلوقون ليعيشوا في مجتمعات تعاونية.

إن أصغر شكل جماعي للإنسان هو الأسرة، ثم القبيلة، وهي بالأصل شُعَبٌ لأسرة واحدة. كانت القبائل سابقًا تحمل اسم مؤسسها، فجميع القبائل العربية تحمل أسماء الأسر التي نشأت منها (قيس، تميم، ربيعة..إلخ) أو كانت تحمل ألقابًا معينة مثل: (قريش). وكانت أماكن إقامة أفراد القبيلة متقاربة مما يسهل الحفاظ على تاريخها وأعرافها، فكان المنتمون إليها متشابهين باللباس والعادات وطرق الحياة، مما يجعلهم يشكلون مجتمعات صغيرة متكاملة. في بعض الأحيان كانت تظهر في تلك القبائل أصول جديدة من خلال الزواج من نساء أو رجال من قبائل أخرى، ولكن الرابطة الأساسية للقبيلة كانت الرابطة الدموية الأسرية.

إن الأشكال البدائية للشعوب تتمثل في قبائل تعيش في مناطق منفصلة طبيعيًّا عن باقي العالم (مثل قبائل الألبان وقبائل الجبل الأسود). إن الكثير من الشعوب تخطوا هذا الشكل البدائي، فلم تعد القبيلة هي أساس انتمائهم، أي أن القاعدة التي تربطهم لم تعد القبيلة، إنما شيء آخر.

إذا نظرنا إلى معنى كلمة «الشعب» نرى أنها تعني مجموعة من الناس قد تشعبوا من أصول شجرة واحدة لقدمائهم. إن الإسلام والديانات السماوية الأخرى تبين أن أصل البشر من أسرة واحدة، ومن والدين هما آدم وحواء -عليهما السلام- كما أن العلماء المسلمين يبينون أن أصول جميع الشعوب من أبناء نوح عليه السلام حام وسام ويافث، وأن نوح عليه السلام هو الأب الثاني للبشر. ويؤيد هذه النظرية أن التجمعات البشرية (الأسرة والقبيلة) تكونت على أساس العرق والرابطة الدموية.

ولكن إذا نظرنا بعمق إلى تكوين الشعوب نرى أن النظرية المذكورة لا تنطبق دائمًا على تركيبة الشعوب، أي أن مبدأ «القبلي» لا يعتبر معيارًا لتكوين الشعوب، فلا يوجد شعب نقي العرق والدم.

ومن علامات الشعب الواحد بالإضافة إلى الأصل: اللغة الواحدة. بالرغم من الاعتراف بأن اللغة تلعب دورًا هامًّا في تكوين الشعوب، لكن الدراسات أثبتت أن المبدأ «اللغوي» لا يمكن أن يكون دائمًا سمة مميزة للشعوب.

وهناك عامل آخر مهم يربط الشعب الواحد وهو عامل الدين، خاصة عندما يأتي مع العوامل الأخرى المكونة لشعب واحد. إن الشعور الديني ينبع من أعماق الإنسان ويمكن أن يسيطر على حياته. وإن مجموعة من الناس تجمعهم أحاسيس واعتقادات دينية واحدة يمكن أن يكونوا شعبًا، والتاريخ مليء بمثل هذه الأمثلة.

إن البحوث الخاصة بتكوّن الشعوب قد توسعت وتطورت، وقد كتبت دراسات وبحوث كثيرة في ذلك، وهي ليست موضوع بحثنا هنا، لذلك يجب أن أذكر التعريف الخاص «بالشعب» والمعتمد من الجميع. ينص هذا التعريف على أن الشعب هو تجمع لأناس مرتبطين بأصول عرقية دموية ولغة وتقاليد وعادات وثقافة وإيديولوجية وطموحات سياسية - مثل الرغبة في الوحدة والحرية والاستقلالية والسيادة - مشتركة. أما العوامل الأساسية المشتركة للشعب فهي الأصل المشترك واللغة. بينما يعتبر الدين الواحد العنصر الأساسي في الثقافة المشتركة للشعب.

إن الأرض التي يسكنها شعب واحد تعتبر وطنًا له. وحب الوطن هو أمر جوهري للمواطن. أما كرهه فهو أمر مثير للاشمئزاز، ويوجد لدى بعض الأفراد من الشعب فقط[١]. إن حب الوطن لدى الفرد يعتبر «وطنية»، والوطنية تنبع من الوعي بأن الوطن هو أمر أساسي لبقاء الشعب.

---

(١) إن اللامبالاة لدى البعض نحو الوطن هي أمر غير طبيعي، فهم يعتبرون أن وطنهم في المكان الذي يناسبهم . أحد الشعراء العرب قال:

حبك الوطن عجـــز ظـــاهر فاغترب تلقى عن الأهل بديلا

كما أن الإنسان بطبعه يحب بشكل جوهري كل ما هو ملكه، وبالتالي كل ما هو لشعبه؛ لأنه ينتمي لهذا الشعب. إن هذا الحب الجوهري يشبه الحب نحو الأهل. فالإنسان بطبعه يحب والديه ليس لأنهما أحسن من الآخرين، إنما لأنهما والداه. إن أغلب الناس الذين يعيشون خارج وطنهم يشعرون بحنين إليه ولأهاليهم، مما يعني أن حب الوطن مزروع بالإنسان كحب الأهل.

عندما يرقى الحب الجوهري نحو الوطن والشعب إلى مستويات المبدأ الواعي يتحول إلى شعور قوي يعبر عن القومية. إن هذا الشعور القوي يمكن أن يعبر عن نفسه بطريقة غير أنانية نحو الشعوب الأخرى، وأن يكون بشكل معتدل ويخدم تطوير الشعب بطريقة انسجامية من خلال المنافسة والحب. ويمكن التعبير عن هذا الشعور القومي بطريقة أنانية على حساب باقي الشعوب؛ مما يسبب نشوب الحروب بين التجمعات البشرية المختلفة والشعوب. وقد ظهرت وتطورت مثل هذه القومية في القرن التاسع عشر، وبعد نهاية الحرب العالمية اتسع هذا الشكل من القومية، فهي تبحث عن مستند لها في جميع المجالات: التاريخية واللغوية والإثنوغرافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية. إن مثل هذه القومية قد سببت الأذى والعنف والظلم للكثير من الشعوب، ونحن المسلمين في البوسنة والهرسك قد عانينا منها الكثير.

ننتقل الآن لموقف الإسلام الحنيف من كل ما ذُكر، وهذه هي المهمة الأساسية لهذه المحاضرة.

الوطنية والإسلام:

إن الكثيرين يحاولون التأكيد على أن الإسلام يدعو للوطنية، حتى إنهم يزعمون أنه يضعها في صف العبادات الدينية، مستندين إلى مقولة – كثيرًا ما نسمعها – ويؤكدون أنها حديث لرسول الله ﷺ وهي: «حب الوطن من الإيمان». ولكن هذا الحديث لا قيمة له ويعتبر من الأحاديث المكذوبة حسب رأي العلماء، لذلك لا يمكننا اعتماده كدليل في موضوعنا هذا.

إن موضوعنا هذا لا يعتمد على هذه «المقولة» فقط، لأننا نمتلك الكثير من الأدلة التي تؤكد أن الإسلام يدعو إلى الوطنية. يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة/ ٢٤٦] ، إذًا إن العنف الموجه ضد الديار والوطن يعتبر سببًا مبررًا للقتال.

كما أن القرآن الكريم يحرم على المسلمين الصداقة مع أولئك الذين يريدون طردهم من ديارهم أو مع من يساهم بشكل من الأشكال في طردهم من

ديارهم ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة/ ٩].

وهناك أحاديث كثيرة عن رسول الله تبشر المقاتل الذي يستشهد دفاعًا عن وطنه بأنه شهيد في جنات الخلد. منها: عَنْ سَعِيد بْنِ زَيْد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِه فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِه فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِه فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِه فَهُوَ شَهِيدٌ» (رواه الترمذي والنسائي وأبو داود)»، «موت الرجل في الغربة شهادة، وإذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وعن يساره فلم ير إلا غريبًا وذكر أهله وولده وتنفس فله بكل نفس يتنفس به يمحو الله به ألفي ألف سيئة، ويكتب له ألفي ألف حسنة، ويطبع بطابع الشهداء إذا خرجت نفسه»، «من قتل دون أهله ظلمًا فهو شهيد، ومن قتل دون ماله ظلمًا فهو شهيد، ومن قتل دون جاره ظلمًا فهو شهيد، ومن قتل في ذات الله عز وجل فهو شهيد». يتضح من هذه الأحاديث جميعًا أنها توصي بالوطنية والتضحية بالنفس في سبيل الله ودفاعًا عن الوطن والأهل. إن الدعوة إلى الدفاع الجماعي من أجل الجماعة هي دعوة صريحة للوطنية بأسمى تعابيرها، والقرآن الكريم يدين بشدة أولئك الذين يتهربون من مثل هذه المعارك، يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ**﴾ [النساء/ ٧٥].

إن الأدب العربي مليء بالأشعار التي تتغنى بحب الوطن، فقد قال أحدهم:

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة ولو أنني أعرى بها وأجوع

ويقول آخر:

لا تغـــترب عن وطـــــنٍ واذكر تصـــاريف النــوى
أما تـــرى الغصــــــن إذا ما فـــارق الأصــــل ذوى

ونرى من حياة أديبنا الشيخ مصطفى يويو من مدينة موستار الذي كان يعيش في إستانبول وكان يعمل مدرسًا في إحدى كبريات المدارس هناك، أنه عندما استدعاه سكان موستار ليحل محل المفتي المتوفى حسن أفندي، استجاب لدعوتهم بالرغم من كل المغريات التي قُدمت إليه في إستانبول ليبقى مدرسًا مرموقًا ذا مستقبل عظيم، فكان يرد عليهم «أنا أشعر بنسيم الرحمن يهب من موستار».

هناك الكثير من الأمثلة على حب الوطن لا حاجة لذكرها، فالحقيقة الواضحة أن الإسلام عزز حب الوطن لدى البوشناق، وجعلهم الأكثر وطنية من جميع سكان البوسنة والهرسك، فالقليل من السكان غيرهم يشعرون بأن البوسنة والهرسك هي وطنهم الأم. والمسلمون هم أكثر السكان دفاعًا عن

مصالح البوسنة والهرسك. لذلك فلا يمكن للدخلاء – كما يصفهم الآخرون- أن يعشقوا هذا الوطن إلى هذا الحد، مثل أبنائه الحقيقيين.

من وقف بالسلاح في وجه النمساويين عندما تخلت تركيا عن البوسنة والهرسك في مؤتمر برلين؟ المسلمون وحدهم. أما الآخرون فقد استقبلوهم بالزهور والورود وكأنهم المحررون، فالشعور الديني لديهم غلب على الشعور الوطني. المسلمون لم يفعلوا مثل ذلك مع الأتراك خلال القرون الأربعة التي حكموا فيها البلاد. فالشعور الديني كان موجودًا ولكن شعور الوطنية كان أقوى.

القومية والإسلام:

بالرغم من أن الإسلام أسس مجتمعه على أساس الدين، وسمى أعضاء مجتمعه «الإخوة» ورفع الرابطة الدينية فوق كل الروابط، إلا أنه لم يلغِ «القومية» ولم يقف ضد القومية المعتدلة.

ما كان الإسلام ليلغي القومية وهي مجموع مميزات وسمات يتصف بها شعب ما، وكذلك تسامح مع القومية كمبدأ إذا لم يسبب أضرارًا أو ظلمًا للآخرين أو للدين.

فبالرغم من أن القرآن الكريم ذكر قصة سيدنا نوح عليه السلام وابنه الكافر الذي غرق بالطوفان العظيم، وحزن سيدنا نوح عليه ودعاءه الله – جل وعلا، ورد الله

تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود/ ٤٦]. وذكر قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يتبرأ من أبيه الكافر في مواضع عديدة، إلا أنه أعطى المسلمين قاعدة عامة للتعامل مع الكفار، فقال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ. إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة/ ٨-٩]، يتضح لنا من هاتين الآيتين أن الإسلام لا يطلب قطع العلاقة مع الكفار الذين لا يقاتلون المسلمين ولا يخرجونهم من ديارهم، بل على العكس يطلب أن نكون عادلين تجاههم وأن نتعامل معهم بالقسط.

إن القرآن الكريم أعلن في سورة الحجرات الأخوة الإسلامية ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات/ ١٠]، حتى أنه ذكر «الشعوب»، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[الحجرات/ ١٣]، يتضح لنا من هذا أيضًا أن الإسلام لا يطلب إلغاء الانتماء القومي على حساب الدين؛ لأن الشعوب والقبائل هي وسيلة للتعارف.

إن العرب يسمون القومية والعرقية المتطرفة «بالعصبية»، ويرفض الإسلام هذا النوع من القومية لأنها تسبب الكثير من الخلافات والنعرات بين الناس. سأل واثلة بن الأسقع النبي ﷺ عن العصبية فقال: «أن تعين قومك على الظلم».

وقال ﷺ: «خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم»، نستنتج من هذا أن الإسلام يوصي ويدعو للقومية المعتدلة.

إن الإسلام يدين بشدة القومية المتشددة والعصبية، فقال رسول الله ﷺ «من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي فهو ينزع بذنبه». روى البخاري عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: «كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهـاجر: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: هده دعوة جاهلية قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة». عندما فتح رسول الله ﷺ مكة ودخلها منتصرًا، بعد أن هاجر منها مع أصحابه قبل ثماني سنوات، خطب فيهم خطبة تعتبر «بيانًا»، فقال: «يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾. نرى من هذه الخطبة أن رسول الله ﷺ نهى عن التعصب العرقي والقبلي، ونادى بالتساوي الذي لم يناد به أحد قبله ولا بعده حتى يومنا هذا قولاً وفعلاً.

وقد أعلن رسول الله ﷺ التساوي بين الشعوب والقبائل من خلال قوله: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب. إن

أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى». يتبين مما ذكر أن الإسلام ليس ضد القومية وأنه يتسامح مع القومية المعتدلة، حتى إنه يوصي بها في بعض الحالات؛ لأن القومية المعتدلة تطلب من الفرد أن لا يكون أنانيًّا بل متعاونًا.

إن العرب قبل ظهور الإسلام لم يملكوا حس الشعب الواحد، إنما كانت القبلية تسيطر عليه، وكان العرب يفتخرون بانتماءاتهم القبلية. عندما ظهر الإسلام وحَّد القبائل، وخلق حسًّا جديدًا بالانتماء للشعب الواحد. إن الخلفاء الراشدين كانوا أول حكام المسلمين، ومع ظهور الخلافة الأموية بدأت علامات القومية المتشددة تظهر؛ فالخلافة الأموية تعتبر أول دولة عربية قومية. ويمكنني ذكر بعض الأمثلة على القومية العربية المتشددة من تلك الحقبة.

ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني أن أحد الموالي خطب فتاة عربية من قبيلة بني سليم وتزوجها. فركب محمد بن بشير الخارجي ناقته وسافر الى المدينة، وقابل الوالي إبراهيم بن هشام بن إسماعيل واشتكاه. فأمر الوالي بإحضار المولى، فلما وصل إلى القاضي قام الأخير بإلغاء الزواج، وأمر بجلد المولى ١٠٠ جلدة، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه. وقد قال محمد بن بشير في هذا أبياتًا من الشعر جاء فيها:

قضيت بسنة وحكمت عدلاً ولم ترث الحكومة من بعيد

وعندما أسس الحجاج مدينة واسط طرد منها النبطيين وكتب لوالي البصرة أن يفعل ذلك. فعندما كتب إليه الوالي أن منهم من تعلم القرآن والأحكام الشرعية، رد عليه الحجاج بأنه عندما تستلم خطابي هذا ادع الأطباء فليفحصوك، فإذا وجدوا فيك عرقًا نبطيًّا فليستأصلوه. وهناك الكثير من هذه الأمثلة.

إن القومية المتشددة أدت إلى رد فعل من غير العرب، فظهرت القومية الفارسية سرًّا؛ لأن الأمويين ردوا بقوة على مثل هذه الظواهر. لذلك فإن خراسان كانت مهدًا للدعاية ضد الأمويين وتأسيس الدولة العباسية التي لم تكن دولة عربية قومية؛ لأنه منذ تأسيسها شارك غير العرب فيها خاصة الفرس. وبالرغم من ذلك فقد دارت نقاشات كبيرة عن القومية، فكوْن الإنسان عربيًّا كان شرفًا كبيرًا. واستمر إذلال الموالي عقودًا من الزمن، فسعى الموالي إلى الالتفاف حول عنجهية العرب وتكبرهم، بالحصول على النسب العربي بطرق ملتوية حتى يكونوا من طبقة الصفوة الحاكمة، لقد استمر إذلال الموالي في حكم خلافة الأسرة الأموية وبداية حكم خلافة الأسرة العباسية إلا أنه في منتصف حكم العباسيين صار الشعراء يهجون العرب، ونتبين ذلك أيضًا في سخرية بشار بن برد من الجنس العربي كله، وذلك ردًّا منه، على استحقار أعرابي له، حين علم أنه شاعر من الموالي، فقال: وما للموالي وللشعر؟ فرد بشار بن برد عليه في قصيدة لاذعة، منها:

ارفُق بعمرٍو إذا حركتَ نِسبَتَهُ فإنــــه عـــربيٌّ من قواريـــرِ
أحينَ كُسِيتَ بعدَ العُري خزًّا ونادمتَ الكــــرامَ على العُقارِ
تُفاخر يا ابـنَ راعيــــةٍ وراعٍ بَنِي الأحرارِ حَسْبُكَ من خَسارِ

ونتيجة لذلك كله ظهرت ثلاثة تكتلات على أساس القومية هي: الكتلة العربية القومية والتي اعتبرت العرب الأسمى والأفضل، والكتلة التي اعتبرت أن كل القوميات متساوية وكانوا يدعون «أهل التسوية»، وضمت العلماء والمثقفين والمتعلمين، والكتلة الثالثة التي اعتبرت أن العرب أدنى مستوى من الآخرين وكان الفرس والموالي ينتمون إليها ويسمون «الشعوبيين».

إن إدخال العامل الديني إلى فكرة القومية سبب الكثير من الارتباك في فهمها. ففي كثير من الحالات تعتبر قومية بعض الجماعات دعاية دينية وتبشيرية. فمثلاً الكثير من الصرب يعتبرون القومية الصربية «أرثوذكسية»، ومع ذلك فإن هؤلاء الصرب يطلبون من البوسنيين المسلمين أن يختاروا القومية الصربية. ولا داعي هنا لذكر أمثلة على تداخل العنصر والعامل الديني في مفهوم «القومية». ومن المعروف أيضًا أن المسلمين البوسنيين الذين يحبون دينهم وعقيدتهم الإسلامية الحنيفة لن يقبلوا أبدًا ما يطلب منهم.

كما أن الذين يقحمون عنصر الدين إلى مفهوم القومية يخطئون بحق شعوبهم وبحق بلادهم، وإذا كانوا يعون ذلك فإنهم يرتكبون جريمة بحق شعوبهم، وإذا لم يعوه فيجب توجيههم للطريق الصحيح.

وإذا كان المسلمون متأكدين من وجود دعاية خفية ضد الإسلام تتم عبر نشر المقالات في الصحف وفي الكثير من الخطب واللقاءات والاجتماعات من خلال إدخال العنصر الديني الغريب عن الإسلام إلى فكرة القومية، فيجب كذلك أن يكونوا حقًّا كما هم بالأصل وطنيين، فلا يكفي المحافظة على لغتهم بالرغم من بقائهم مئات السنين تحت الحكم التركي، ولا يكفي حبهم الحقيقي لوطنهم وتضحيتهم الكبيرة بأرواحهم من أجله، ولا يكفي أنهم دائمًا أفضل المواطنين الذين يفون بواجباتهم تجاه وطنهم، فيجب دائمًا أن يقدموا أكثر من هذا لوطنهم وأن يتحدثوا ويكتبوا علنًا عن ذلك.

ولقد تعلمنا من خلال الخبرة وممارسة الحياة أن الحقيقة تكمن في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة/ ١٢٠].

ويمكنني إنهاء هذه المحاضرة بتأكيدي عدم وجود أي أخطاء وطنية أو قومية يمكن نسبها لمسلمي البوسنة والهرسك. وإذا وجدت هذه الأخطاء فيجب البحث عن أسبابها لدى الجانب الآخر[١].

(١) للمزيد حول هذا الموضوع الشائك انظر كتابنا: من دار الإسلام إلى الوطن ومن الوطنية إلى القومية: حالة البوسنة، بيروت (الدار العربية للعلوم) ٢٠٠٥- [م. الأرناؤوط]

ملاحظاتي أثناء جولة قصيرة في الجنوب

منذ زمن تراودني الرغبة بالسفر إلى جنوب البلاد لأتعرف عن قرب إلى عادات وتقاليد إخوتي المسلمين هناك. وشاءت الأقدار أن أقوم هذا العام بزيارة عدة مناطق، دون أن أبقى فيها لفترة طويلة. ومع ذلك فسوف أنقل للرأي العام شيئًا من ملاحظاتي التي لم تكن مبنية على دراسات عميقة وموسعة، بل على انطباعات سريعة وظاهرية لم أشأ إلا نقلها للمساهمة في التعرف على إخوتنا الذين يعيشون في نفس الدولة.

يفصلنا عن إخوتنا في الجنوب، بالإضافة إلى البعد، اللغة والقومية ومع ذلك نعيش في نفس الدولة ويحكمنا نفس الدستور وننتمي لدين واحد، وكل هذا يستلزم منا أن نتعارف ونتعاون لصالح تجمعنا الديني.

خلال رحلتي القصيرة زرت مناطق كيتشيفو Kicevo وتيتوفو Tetovo وسكوبليه Skoplje وبريزرن Prizren وجاكوفيتسا Djakovica وبيتش Pec وبريشتينا Prishtina ، أي المناطق التي يسكنها الألبان عمومًا.

إن أول ما يلاحظه المرء عندما يحتك بإخوتنا في الجنوب هو شعورهم بنوع من الذل على عكس البشانقة، فهم حساسون جدًّا، ويمكن لأي أمر بسيط أن يجرح شعورهم. لا أعرف سببًا واضحًا لذلك، ربما لأن مسلمي البوسنة والهرسك قد احتكوا بالحضارة الغربية قبلهم، بالإضافة إلى أن لغة البوشناق وتعليمهم يتيح لهم الفرصة للتعبير عن آرائهم بشكل أكبر. أو ربما يكمن السبب في أن بعض كبار الموظفين البوشناق خدموا في الجنوب ولم يهتموا بأحاسيسهم وشعورهم، ولذلك يجب على المرء أن يكون حذرًا في التعامل معهم، كما أن تعليمهم وثقافتهم لا يجعلاننا نستهين بهم لهذا الحد، فهم في بعض الأمور يتقدمون علينا ويجب أن نتعلم منهم.

وهناك فارق هام بين المسلمين في مناطقنا ومناطقهم باستثناء سكوبليه، وهو أن المسلمين هناك يمثلون الأغلبية وخاصة في القرى، وهذا أمر ذو أهمية خاصة. أما في البوسنة والهرسك فالأمر مختلف؛ لأن المسلمين يسكنون في المدن عامة.

ما يهمنا في الأمر هو التعليم والوضع الديني في تلك المناطق. يوجد ما يكفي من المساجد سواء في المدن أو في القرى، وأغلبها في وضع جيد، مما يعني أن السكان يهتمون بالحفاظ عليها ويعتنون بها، وخاصة في المناطق التي لا يوجد فيها وقف إسلامي، حيث يقوم السكان بتمويل رعايتها. كما أن السكان باستثناء أقلية يواظبون على الصلاة في المساجد، ويمارسون الشعائر الدينية.

إن علماء الدين هناك متمكنون في علومهم الدينية، وما ينقص الكثيرين منهم هو الإلمام بلغتنا وبالطرق الحديثة للتعليم الديني. وتجدر الإشارة إلى أن السكان يحترمون ويقدرون أئمتهم كثيرًا، وحتى في المناطق التي تنتشر فيها الطرق الصوفية والتي تكثر فيها الخصومات بين الدراويش والأئمة، ولم ألتق بأحد يشتكي من هذا الأمر.

إن التعليم الديني الابتدائي غير مُرضٍ، فلا يوجد «كتاتيب» كافية والموجودة غير مجهزة كما يجب. وهنا تكمن مهمة رجال الدين والسلطات الدينية وواجباتها تجاه التعليم الديني الابتدائي الذي يعتبر أساسًا لخلق مسلم صالح.

أما التعليم الديني المتوسط، أي المدارس الإسلامية الثانوية، فيمكنني قول الآتي: باستثناء المدرسة الكبيرة في سكوبليه والتي تعتني بها وتمولها الدولة، والتي تشبه ببرنامج تعليمها الثانويات العامة مع برنامج ديني موسع وتعليمٍ للغة العربية، فلا يوجد في مناطقنا الجنوبية أي مدرسة دينية ثانوية يغطي برنامجها التعليمي كل ما يلزم من تعليم واحتياجات ملحة للمسلمين تمول من الوقف الإسلامي. قبل عدة سنوات تم تأسيس مدرسة ثانوية تدعى «مدرسة الغازي إسحاق بك» في سكوبليه على غرار «مدرسة الغازي خسرو بك» في سراييفو. وقد ثارت ثائرة العامة عليها منذ بدء تأسيسها، وكانت ستغلق لولا أن تمكن المسلمون

أولو العزم من استكمالها؛ حيث إن المواطنين الذين أرادوا إغلاقها لا يعون شدة الحاجة لبناء عدة مدارس مماثلة في مناطق الجنوب.

بالإضافة لهاتين المدرستين هناك عدة مدارس خاصة تمول من قبل المواطنين، ويعمل فيها مدرس ديني واحد على الأغلب بدون أي تعويض مادي أو بتعويض رمزي. هذه المدارس، وبالرغم من اعتمادها على مصادر بسيطة، فهي منظمة بشكل يدهش المرء بسبب المجهود الكبير الذي يبذله بعض المؤمنين بدون أي دعم من الأطراف الرسمية. لقد شاهدت مدرستين من هذا النمط في مدينة تيتوفو، وواحدة في بريزرن، وواحدة في جاكوفيتسا، وواحدة في بريشتينا. وبالرغم من تفاوت المستوى بينها، إلا أن المنفعة منها واضحة. كما أن الطلاب يجذبون اهتمام المرء، حيث إنهم يواظبون على الحضور بالرغم من عدم وجود أي دعم أو حافز مالي يمكنهم من الاستمرار في التعليم لا من أهاليهم ولا من المجتمع، مما يضطرهم لممارسة أعمال حرة في أوقات فراغهم تعيلهم وتمكنهم من الاستمرار في التعليم. شاهدت من بين هؤلاء الطلاب أفرادًا لا يمكن للمرء أن يتصور وجودهم في هذا الزمان، مليئين بالطاقة، ويعملون بسم الله وللدين الحنيف.

في الجنوب صعوبات في نشر التعاليم الإسلامية غير موجودة عندنا بسبب التركيبة القومية واللغوية هناك. فمثلاً في مدينة بريزرن تتكلم الأغلبية اللغة التركية، فالمدارس الدينية تدرس باللغة التركية، في حين أن سكان ضواحي

المدينة يتكلمون اللغة الألبانية. أما في مدينة جاكوفيتسا فيتكلم سكانها اللغة الألبانية، ويتم تدريس بعض المواد في مدارسها باللغة الألبانية وبعضها الآخر باللغة التركية؛ مما يعيق عملية تقدم التعليم الديني بالسرعة المرجوة. كما أن نسبة الأمية في تلك المناطق كبيرة، فهناك الكثيرون ممن لا يقرؤون أو يكتبون بالأحرف «الكيريلية» ناهيك عن الحروف اللاتينية. وهذا مفهوم، لأنه من الصعب على شعب لا يعرف لغتنا بشكل جيد أن يصبح ملمًّا بها ويعلمها لأفراده. فمن الصعب أن ننشر صحفنا وكتبنا الدينية بين إخوتنا في الجنوب، لذلك فإن مجلة «الهداية» غير منتشرة بكثرة في تلك المناطق، بل إن هذه المجلة تلاقي معارضة هنا بيننا، فما بالك هناك؟ وإن رأيي أن نفتح في مدينة سكوبليه مركزًا آخر «للهداية» خاصًّا بتلك المناطق، يقوده أناس من تلك المناطق ينظمونه بما يتناسب مع الوضع هناك. وقد وعدني الكثيرون هناك بالمساهمة في مثل هذا العمل، وأدعو الله عَزَّ وَجَلَّ أن يساعدوهم في تنفيذ وعودهم.

عندما ننظر في جميع هذه الأمور نجد حجم العمل الذي يقع على عاتق العلماء والمجلس الديني في تلك المناطق. إن مجلس العلماء عندنا قد تأسس منذ فترة طويلة، ومع الوقت تم تنظيم عمله ووضعه، أما مجلس علمائهم فقد تأسس منذ فترة قريبة وعليهم تنظيم عمله بالتوازي، ويحتاجون لمجهود ووقت حتى يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه مجلس علمائنا، وكل ذلك يحتاج إلى رغبة وصدق وعلم ومجهود وقدرة.

أما بالنسبة للحياة الأسرية والأخلاق التي يتمتع بها الألبان، فيمكنني القول إنها على مستوى رفيع يحسدون عليه. لقد قابلت في القطار ممثلاً دينيًّا ليهود تلك المناطق، وخلال الحديث معه اشتكى لي من الحياة الأسرية الفاجرة عندهم، وأضاف أن الأسرة المسلمة هي الوحيدة التي تحافظ على مستوى عال من الأخلاق تحسد عليه. ويمكنني القول إن موجة الحياة الغربية والنتائج السيئة للحرب العالمية قد اجتاحت البوسنة والهرسك أكثر من المجتمع الألباني المحافظ. فالألباني صارم في هذا الشأن، فهو يكره أن يتحدث أحد عن نسائه بالمديح، حتى يمكن أن تسقط رؤوس لهذا السبب. وطرق بناء بيوتهم توحي لنا بذلك. فحدائق البيوت تحاط بجدران عالية نحو الشارع، أما البيوت أنفسها فتبنى داخل تلك الحدائق، ولا يوجد لها نوافذ على الشارع. ولا تخرج نساؤهم للشوارع إلا نادرًا. أما الفلاح الألباني فهو يسافر مع زوجته، وهي تركب الفرس الذي يقوده هو بنفسه، عندها لا يسلم عليه أحد حتى أقاربه بسبب وجود زوجته معه. كل هذه الملاحظات تبين صفاتهم الأسرية ومحافظتهم عليها. أما الألباني الذي يتخلى عن هذه الصفات فإنه يذهب بتصرفاته لحد بعيد عن الصفات التقليدية المحافظة.

وهناك صفة أخرى للألباني المسلم يمكن ملاحظتها في الجيش، فهو يرفض الطعام الذي يشك في عدم طهيه بالطرق الشرعية، فيمكن أن يجوع ويتعذب ولكنه لن يأكل من طعام مشكوك فيه. وقد قال لي أحد أصدقائي إن الألباني

يمكن أن يخرق الشرائع الدينية إلا في ثلاث يحافظ عليها إلى أقصى حد: لا يأكل طعامًا مشكوكًا به، ويصوم رمضان، ويغتسل من الجنابة. وأتيحت لي فرصة أن أرى جنديًّا ألبانيًّا لم يأكل طعام المستشفى؛ لأنه كان يشك في تحضيره بطريقة غير شرعية، وبقي عدة أيام يأكل الخبز فقط.

إن الرزانة والجدية منتشرة لدى الألبان أكثر منا وخاصة لدى الفلاحين الألبان، وقليلاً ما يتعاطون المشروبات الكحولية بالرغم من تفاوت هذه النسبة بين المناطق.

بقي أن أذكر أمرًا هامًّا لاحظته من الحياة الدينية لأولئك المسلمين، وهو الحياة الصوفية التي يسهل انتشارها بينهم. إن جميع طرق التصوف منتشرة لديهم، حتى تلك التي لا تمت للإسلام بصلة. إن مدينة جاكوفيتسا تعتبر مركز تلك الطرق، وتوجد هذه الطرق في مدن شتيب وبريجاليتسا. وهناك خصومة كبيرة بين علماء الدين وأتباع هذه الطرق، حتى إنها في بعض الأحيان تخرج عن الإطار المحتمل لها. فبدلاً من الاحتكاك بين علماء الدين وأتباع الطرق الصوفية المعتدلة التي تتبع التعليمات والشرائع الإسلامية الحنيفة، عليهم أن يتحدوا في محاربة الطرق التي لا تمت للإسلام بأي صلة مثل الطرق «الإباحية».

إن عقلية المسلم البوسني تختلف كثيرًا في هذا الشأن، فالمسلم عندنا يمكن أن يخطئ ويعيش حياة غير دينية، ولكنه يحافظ في داخله على الأسس السليمة

للإسلام (العقيدة الإسلامية السليمة)، ولم تتمكن الطرق الصوفية المختلفة من الانتشار بكثرة في البوسنة والهرسك؛ وخاصة تلك التي تخترق حدود العقائد الإسلامية الصحيحة. أما المسلمون هناك فالأمر مختلف قليلاً؛ لأن الطرق التي تختلف مع العقائد الإسلامية وتخرج عنها تجد أتباعًا لها بين المسلمين، سواء في السابق أو في الوقت الحاضر.

ويجب على العلماء اتخاذ الإجراءات اللازمة في هذا الشأن للوقوف في وجه هذا الشر قبل أن تقوى جذوره.

أتمنى أن أكون قد استطعت من هذه الملاحظات السطحية تقريب الوضع في الجنوب، لأن الهدف من هذا العرض هو تعريف قراء «الهداية» على جانب من جوانب الحياة لإخوتنا في الجنوب والحياة الدينية عندهم بشكل موجز.

قصة جامع

نشرت جريدة «بوليتيكا» التي تصدر في بلجراد في عددها ٥٣٠٠٢ بتاريخ ١٩٣٨/٨/٣ هذا المقال:

بعد خمسة قرون ونصف إقامة أول قداس في كنيسة «القديس إليا»

مدينة «شتيب» ٢ أغسطس

«لقد احتل الأتراك مدينة «شتيب» Stip بصعوبة. وعندما دخلوا المدينة حوَّلوا كنيسة «القديس إليا» إلى جامع «حضرة علي» كذكرى لهذا الاحتلال. وقد تم هجر هذا الجامع منذ عام ١٩١٢م، وأصبح مرعى للدواب. وقبل سنتين حلمت إحدى نساء مدينة «شتيب» بالقديس «إليا» الذي سألها «إلى متى ستبقى كنيستي مهجورة ومتسخة بهذا الشكل؟» فدعت هذه السيدة المتدينة جيرانها وأخبرتهم بحلمها. فقام الجيران بتنظيف الكنيسة ودعوا القسيس ليباركها «بالماء المقدس». واليوم وبعد خمسة قرون ونصف نقوم بقطع قالب الحلوى في هذه الكنيسة خدمة للرب. إن هذا الحدث هو حدث جلل لمدينة شتيب وللقرى التي تحيط بها.

لقد بدأ الحفل بإنشاد القداس من الكنيسة الأرثوذكسية إلى كنيسة «القديس إليا»، التي تقع وسط مدينة شتيب على الشاطئ الأيسر لنهر «أوتينيا»، حيث تطل على مشهد بديع لمدينة شتيب ولمراعي الخراف.

وقام الكاهن الكبير «ديمتري جورجيكوفيتش» بقطع الفطير الحلو. وبعد الانتهاء من القداس تحدث السيد نيكولا ديمترييفيتش حول تاريخ الكنيسة وآلام شعبنا خلال خمسة قرون من العبودية.

ووعد المواطنون بتقديم مساهماتهم الخيرية بهدف إعادة ترميم الكنيسة وتأهيلها لأداء القداس».

وقد قام مجلس علماء سكوبليه بالرد على المقالة المذكورة في جريدة «بوليتيكا» بتاريخ ١٩٣٨/٨/٢٦م، جاء فيه:

عناية رئاسة تحرير «بوليتيكا»

قامت جريدتكم الصادرة يوم ٣ أغسطس ١٩٣٨م بنشر خبر من مدينة شتيب تحت عنوان «بعد خمسة قرون ونصف إقامة أول قداس في كنيسة القديس إليا». وبما أن هذا الخبر احتوى على مغالطات وتغيير للحقائق فإننا نرجو رئاسة التحرير أن تنشر هذا التصحيح التالي في مكان مناسب في الجريدة:

«إن ما ذُكر في الخبر أن جامع «حضرة علي» كان في يوم من الأيام كنيسة هو خبر غير صحيح؛ لأن هذا الجامع قبل خمسة قرون ونصف لم يكن موجودًا أبدًا. حيث تم بناء هذا الجامع قبل ٣٤٠ سنة، وقد شيده حسام الدين باشا، ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا يحمل الجامع اسمه، وليس كما ذكر في خبركم أن اسمه «حضرة علي»، والصورة التي نشرت في خبركم أكبر دليل على ذلك. بالإضافة لذلك فقد ذكر الرحالة «إوليا جلبي» في كتابه «سياحت نامه» ص ١١٨ هذا الجامع وذكر تفاصيل تشييده، وإن ما ذكره هذا الرحالة يعتبر وثيقة مؤكدة على ذلك لأنه سجل الحقائق التاريخية كما هي، فقد وصف الجامع وموقعه وتاريخ بنائه، مما يعطينا إثباتات أصدق من حلم سيدة كبيرة في السن. وبما أن الكنيسة الأرثوذكسية أقامت قداسًا في هذا الجامع بطريقة تعسفية فإن مجلس علماء سكوبليه سيتخذ كل الإجراءات القانونية ضد الأشخاص المسئولين عن ذلك».

مكتب مجلس علماء سكوبليه

استخدام القصص لهدف الدعاية

نشرت صحيفة «بوليتيكا Politika» بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٤٠ في قسم «قصص السياسة» قصة للمدعو «يزديمير دانغيتش» تحت عنوان «المجد الأول لحاسو أليميتش». حيث ذكر الكاتب قصة المسلم البوسني حاسو أليميتش (Haso)[1] كيف ارتد عن الإسلام وتنصَّر وغير اسمه ليصبح اسم «فاسو» Vaso ويذكر الاحتفال بعامه الأول «المجد الأول»، وأضاف الكاتب أن فاسو Vaso قال خلال حفل ارتداده عن الإسلام وتنصره:

- أيها الرب سامحني، أيها النبي محمد اعتقني من دينك! هكذا أراد الرب! ورغبته أن أغير ديني طوعًا، وأن أعود إلى دين أجدادي الذين اضطروا أن يغيروا دينهم بالقوة!

نرى في هذا المقال تجاهلاً تامًّا لمشاعر المسلمين، حتى إن مثل هذه القصص غير الجدية والتي لا تمت للقيم الأدبية بأي صلة تهدف لجرح أحاسيس مليوني مسلم في هذه الدولة يخدمونها بصدق ويحترمونها ويدافعون عنها.

(١) حاسو Haso هو تصغير لاسم حسن Hasan عند المسلمين في البوسنة – [م. الأرناؤوط].

إن النوايا السيئة نحو المسلمين هي التفسير الوحيد لنشر مثل هذه الأخبار في الصحف اليومية. إذًا هذه القصص تستخدم لهدف الدعاية ضد الديانة الإسلامية المحمية بالدستور. ويستخدمون جميع الطرق الملتوية ويحرفون كل الحقائق التاريخية لهذه الأهداف، فهم يؤكدون أن المسلمين قد تركوا ديانة أجدادهم بالقوة، وهذا افتراء حقيقي على التاريخ.

حيث إن الحقائق التاريخية تؤكد أن البوسنيين القدامى تخلوا عن ديانتهم «البوغوملية» طوعًا واعتنقوا الإسلام. كما أن هذا المقال ليس المكان الذي تناقش فيه الحقائق التاريخية لشعب كامل، وإن من يستغل مثل هذه المناسبات للكتابة بهذا الشكل ليسوا مستعدين لنقاش موضوعي.

ونحن نرجو من صحيفة «بوليتيكا Politika» وغيرها من الصحف عدم جرح شعور المسلمين بمثل هذه المقالات والكتابات، وأن يكونوا متسامحين بنفس القدر الذي كان فيه الأتراك «الهمجيون» متسامحين قبل خمسمائة سنة مضت عندما حافظوا على الكنائس الأرثوذكسية والأديرة، وسمحوا بإعادة بناء «بطريركية فيينا».

❁ التعليم الديني في البوسنة والهرسك

قال رسول الله ﷺ «من يرد الله به خيرًا يفقهه بالدين»

كما نعتبر الدين غذاء للروح، فإن التعاليم الدينية تعتبر روح الدين وأسسه، فلا دين بدون معرفة، ولا معرفة بدون تعليم ودراسة، وحياة المجتمع الدينية تحيا على التربية الدينية، وبإهمالها يفنى المجتمع دينيًّا. لذلك فإن أجدادنا في العصر القديم والحديث بنوا المدارس لنشر العلوم الدينية.

إن المدارس الدينية الكثيرة في البوسنة والهرسك كانت تعلم المسلمين وتوجههم إلى الطريق المستقيم، ولكن أصابتها محن الزمان فتهدمت وانطفأ نورها، وخبت، وبقي القليل منها يتحمل صدمات الأقدار ويصمد أمام المحن لأسباب أرادها الله – جل وعلا.

إن الذين أسعفهم الحظ للتعرف على التاريخ الإسلامي كانوا يعلمون أن المدارس الإسلامية لم تدرس التعاليم والشريعة الإسلامية فقط، بل كانت تدرس علوم الفلك والرياضيات والهندسة وغيرها من العلوم الدنيوية. ولم تكن

المدارس الإسلامية في البوسنة والهرسك مستثناة من هذا، لذلك فإن خريجي هذه المدارس كانوا يلمون بعلوم مختلفة، والذين أرادوا الاستمرار في التعليم كانوا يذهبون إلى العواصم والمدن الإسلامية الكبرى لاستكمال تعاليمهم والإلمام بكل العلوم الدينية، فكانوا محاربين حقيقيين مدافعين عن الإسلام، ساهرين على الحفاظ عليه ونشره في مختلف الأرجاء.

كان المسلمون غالبًا يسافرون إلى إستانبول؛ لأنها كانت عاصمة الدولة العثمانية، وعندما استولت النمسا على هذه البلاد، كانت سياستها تهدف لقطع روابط المسلمين في هذه المناطق مع إخوتهم في تركيا. لذلك حاولت النمسا إحياء المدارس الدينية في مختلف أرجاء البوسنة والهرسك، ولهذا الهدف أسست المدرسة الشرعية القضائية في سراييفو حيث تخريج القضاة الشرعيين اللازمين لهذه الدولة، لكي لا تكون إستانبول الملجأ الوحيد للبوشناق للتعليم الديني. وبالرغم من ذلك لم ينقطع سفر الطلاب إلى إستانبول حتى قامت الجمهورية التركية الحالية بإلغاء المدارس الدينية. وفي الفترة الأخيرة تغير الوضع كذلك في البوسنة والهرسك، فقد تأسست سلطة يوغسلافيا بعد الحرب العالمية وتم ضم البوسنة والهرسك ليوغسلافيا، وقطعوا العلاقات بين المسلمين وتركيا بالترغيب والترهيب.

وبدأ مسلمو هذه المناطق بالتفكير بكيفية إقامة التعليم الديني؛ لأن هذا الأمر يعتبر من أهم واجباتهم فبدؤوا بإجراء إصلاحات كثيرة في التعليم الديني وتعديل البرامج التعليمية الدينية.

وقد أصبح نظام التعليم الديني يتألف من:

* **الكُتَّاب للأطفال:** قرر مجلس العلماء أن تكون مرحلة التعليم في الكُتَّاب لمدة سنتين، ووضعوا منهاج التعليم الخاص بها ويتلخص بالآتي: يتعلم الأطفال خلال السنتين الأبجدية العربية وقراءة القرآن الكريم، وأسس الفقه والعقائد الإسلامية. وصل عدد الكتاتيب في جميع أنحاء البوسنة والهرسك إلى ٩٣٦ كُتّابًا. وكان يدرس فيها ١٠٢٦ معلمًا. وعدد التلاميذ ٤٣٧٧٨ تلميذًا (٢٢٤٤١ تلميذًا و١٨٦٥١ تلميذة). وبلغت ميزانية هذه المكاتب ٢,٤٨١,٦٤٩ دينارًا يوغسلافيًّا سنويًّا.

* **المدارس الابتدائية:** لم تكن هذه المدارس خاصة بالمسلمين فقط، إنما لجميع الديانات. مدة هذه المرحلة أربع سنوات. تدرس فيها مادة «التربية الدينية» للمسلمين لمدة حصتين أسبوعيًّا. وكان المنهاج الديني يشبه منهاج الكُتَّاب ولكنه مفصل وموسع. بلغ عدد المدارس الابتدائية ٤٣٤ مدرسة، وعدد التلاميذ المسلمين ٣٠٨١٩ فردًا (٢٢٢١٨ تلميذًا و٨٦٥١ تلميذة).

* **المدارس الثانوية:** وهذه المدارس مختلطة أيضًا. كانت مدة التعليم فيها ثماني سنوات. وكانت مادة التربية الدينية إلزامية لمدة حصتين أسبوعيًّا. حيث تدريس مادتي العقائد وقراءة القرآن في السنة الأولى، ومواد الفقه والأخلاق وقراءة القرآن في السنة الثانية، ومادة تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين في السنة الثالثة، ومادة العقائد وقراءة القرآن الكريم في السنة الرابعة، والفقه في السنة الخامسة، والأخلاق في السنة السادسة، وتاريخ الإسلام في السنة السابعة، وعلم الكلام في السنة الثامنة. وكان عدد التلاميذ المسلمين في هذه المدارس ٢١٣٨ تلميذًا.

وبالإضافة لهذه المدراس العامة، كان هناك مدارس خاصة بالتعليم الديني، بعضها على نفقة الدولة وبعضها الآخر على نفقة الوقف الإسلامي.

كانت «المدرسة الشرعية القضائية» ضمن المدارس التي تنفق عليها الدولة. ومدة التعليم فيها خمس سنوات، يمكن للطلاب التسجيل في هذه المدرسة بعد قضائهم أربع سنوات في المدارس الثانوية أو ما يعادلها من المدارس الدينية الأخرى. يتخرج من هذه المدرسة نواب للقضاة الشرعيين، وبعد قضاء فترة معينة في المهنة يصبحون قضاة شرعيين. لدينا حاليًّا في هذه المدرسة ٦٠ تلميذًا. ويتم تدريس المواد التالية فيها:

* السنة الأولى: مادة الفقه الإسلامي ومادة العبادات، أربع ساعات أسبوعيًّا، ومادة المنطق ساعتان أسبوعيًّا، ومادة التعبير والقواعد ست ساعات أسبوعيًّا.

* السنة الثانية: الفقه الإسلامي والعبادات والحقوق الزوجية أربع ساعات أسبوعيًّا. العقيدة الإسلامية ثلاث ساعات أسبوعيًّا. التعبير والقواعد خمس ساعات. مادة الدلالات ثلاث ساعات. وعلم المنطق ساعتان أسبوعيًّا.

* السنة الثالثة: الفقه والحقوق الزوجية أربع ساعات أسبوعيًّا. أسس الحقوق الإسلامية ثلاث ساعات. العقائد ثلاث ساعات. البلاغة ثلاث ساعات. تاريخ الإسلام ساعتان. تاريخ الأدب العربي ساعتان.

* السنة الرابعة: الفقه والحقوق الزوجية وعلم المعاملات التجارية ثماني ساعات أسبوعيًّا. أسس الحقوق الإسلامية أربع ساعات. الخطابة وتاريخ الإسلام وتاريخ الأدب العربي ساعتان أسبوعيًّا لكل مادة.

* السنة الخامسة: الفقه والحقوق الزوجية وعلم المعاملات التجارية سبع ساعات أسبوعيًّا. مادة الفرائض وأسس الحقوق الإسلامية ثلاث ساعات. والقانون المدني ساعة واحدة أسبوعيًّا. وتاريخ الإسلام وتاريخ الأدب العربي ساعتان أسبوعيًّا لكل مادة.

ومن المدارس التي تنفق عليها الدولة المدرسة الثانوية الشرعية، مدة التعليم فيها سبع سنوات. يوجد فيها حاليًّا ٢٥٠ تلميذًا. يتم تعليم المواد التالية فيها:

* السنة الأولى: قراءة القرآن الكريم ومادة الفقه الإسلامي ومادة العبادات، كل مادة أربع ساعات أسبوعيًّا. ومادة اللغة العربية خمس ساعات أسبوعيًّا.

* السنة الثانية: قراءة القرآن الكريم ومادة الفقه الإسلامي أربع ساعات أسبوعيًّا. ومادة اللغة العربية خمس ساعات أسبوعيًّا.

* السنة الثالثة: قراءة القرآن الكريم ومادة الفقه الإسلامي ومادة الأخلاق، كل مادة أربع ساعات أسبوعيًّا. ومادة اللغة العربية أربع ساعات أسبوعيًّا.

* السنة الرابعة: قراءة القرآن الكريم ومادة الفقه الإسلامي ومادة الأخلاق وتاريخ الإسلام، كل مادة ثلاث ساعات أسبوعيًّا. ومادة اللغة العربية أربع ساعات أسبوعيًّا.

* السنة الخامسة: قراءة القرآن الكريم ومادة الفقه الإسلامي ومادة العبادات وتاريخ الإسلام، كل مادة ثلاث ساعات أسبوعيًّا. ومادة اللغة العربية أربع ساعات أسبوعيًّا.

* السنة السادسة: تاريخ الإسلام والطوائف الإسلامية والمذاهب السنية

الأربعة، كل مادة ثلاث ساعات أسبوعيًّا. ومادة اللغة العربية ثلاث ساعات أسبوعيًّا.

* السنة السابعة: تاريخ الإسلام وفلسفة التشريعات، كل مادة ساعتان أسبوعيًّا. ومادة اللغة العربية ثلاث ساعات أسبوعيًّا.

* السنة الثامنة: علم الكلام ساعتان أسبوعيًّا. ومادة اللغة العربية ثلاث ساعات أسبوعيًّا.

يشتمل تعليم اللغة العربية على الفصاحة والقواعد والدلالة والبلاغة والخطابة والآداب. ويتم تدريب التلاميذ على اللغة العربية من خلال قراءة المعلقات السبع، وغيرها من الآداب الجاهلية ومختارات من الشعر الإسلامي، والسيرة النبوية لابن هشام وغيرها.

في مدينة سكوبليه توجد مدرسة ثانوية تدعى «المدرسة الكبرى» تشبه هذه الثانوية في نظامها التعليمي.

أما ما يخص المدارس التي تمول من الوقف الإسلامي، فهناك ١٨ مدرسة في مختلف أرجاء البوسنة والهرسك، أكبرها وأهمها في النظام التعليمي هي مدرسة الغازي خسرو بك في مدينة سراييفو.

تشمل هذه المدرسة ثلاثة مستويات تعليمية هي: التعليم التجهيزي «الابتدائي»، والتعليم المتوسط «الثانوي»، والتعليم العالي. يوجد حوالي ١٦٠ تلميذًا في التعليم الابتدائي والثانوي، في حين لا يوجد حاليًّا طلاب في التعليم العالي.

يتألف المنهج التعليمي لهذه المدرسة من:

المـــادة	السـنة							
	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة	السادسة	السابعة	الثامنة
قراءة القرآن الكريم	٤	٣	٣	٢	١	١	١	١
الفقه	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢
العقائد	١	١	١	١	١	٣	٣	٣
الأخلاق والعقائد				٢	٢	٢	٢	٢
الحديث والتفسير	–	–	–	–	–	–	٣	٣
تاريخ الإسلام	–	–	–	٢	٢	٢	٢	٢
الفصاحة	٥	٥	–	–	–	–	–	–
القواعد	–	–	٦	٦	٤	٦	–	–
البلاغة	–	–	–	–	–	–	٤	٤
المنطق	–	–	–	–	٢	٢	–	–
أسس التربية والوعظ	–	–	–	–	–	–	٢	٢
الإمامة والوظائف الدينية	–	–	–	–	–	–	–	٢
الخط العربي	٢	٢	–	–	–	–	–	–
تاريخ الأدب العربي	–	–	–	–	–	–	–	٢

قامت السلطات من خلال قانون خاص بتنظيم شروط عمل المدرسين في المدارس المذكورة، من بينها أن يكون المدرس قد أنهى أولاً: إحدى الثانويات في يوغسلافيا، ثانيًا: أن يكون حاصلاً على شهادة تعليم عالٍ جامعي؛ لذلك كان على المسلمين أن يدرسوا في إحدى الجامعات الإسلامية مثل الأزهر الشريف في القاهرة والذي يعتبر من أشهر الجامعات الإسلامية، حتى إنه الوحيد الذي يستحق أن يحمل اسم جامعة في ذلك الوقت؛ لأن التعليم فيه مثل شرب الماء من الصنبور ومثل جني الثمار من البساتين المثمرة. لذلك فإن الطلاب البوسنيين يذهبون للأزهر الشريف ليعودوا بشهادات جامعية بدرجة «العالمية».

إن وضع التعليم في جامعة الأزهر الشريف في عهد رئيسها فضيلة الشيخ محمد الأحمدي الظواهري تقدم لدرجة لا يمكن لأحد منصف أن يشكك فيها، وكلنا أمل أن يضيف عملاً نبيلاً آخر إلى أعماله الخيرة الكثيرة، ويقوم بإصلاح نظام التعليم الأزهري لغير العرب.

لقد قرر المؤتمر الإسلامي فتح جامعة إسلامية في القدس الشريف، وقد بدأ العمل لتنفيذ هذا القرار، ولا نشك بأن العاملين على تنفيذ هذا القرار سيعتنون بتنظيم دراسات لغير العرب في هذه الجامعة، ويمنحونهم الاهتمام اللازم، والله الموفق.

ولا أستطيع أن أنكر المجهود الكبير الذي يبذله علماؤنا ومفكرونا لإنشاء جامعة إسلامية في مناطقنا هذه، وكل مسلم صادق يرحب بهذا المجهود ويتمنى هذه الجامعة، بالرغم من أننا لا نستطيع التخلي عن دور الأزهر الشريف في المساعدة لنشر التعاليم والعلوم الإسلامية لأولئك الذين لا يستطيعون الذهاب للأزهر الشريف ولغيره من الجامعات الإسلامية للدراسة. يحاول هؤلاء العلماء إلغاء المدرسة الشرعية القضائية وإنشاء جامعة إسلامية بدلاً منها، ولتحقيق ذلك يجب تعديل المنهج التعليمي في مدرسة الغازي خسرو بك، وفي الثانوية الشرعية في سراييفو، وفي المدرسة الكبرى في سكوبليه.

هذا ما أردت أن أذكره في مقالي هذا، وأدعو الله تعالى أن يلهم المسلمين ويعطيهم القوة للدفاع عن التعليم الإسلامي وأن ينير طريقهم ويسهل عليهم واجبهم هذا؛ لأن التعليم الديني هو الحبل الوثيق والأساس المتين للحفاظ على الصحوة الدينية لمستقبل أفضل في الدنيا والآخرة.



بمناسبة ما كتب حول الإصلاحات الخاصة بمنهاج التعليم الابتدائي الديني

في السنة التاسعة والعاشرة لمجلة «بهار» Behar (الأعداد ٢١ و٢٢ و٢٣ للسنة التاسعة والأعداد ١ و٢ و٣ للسنة العاشرة)، نُشرت ثلاث مقالات حول الإصلاحات الخاصة بمنهاج التعليم الابتدائي الديني، لكل من الكُتاب هـ. موليتش، و أو. بوريتش، و م. حجي موليتش.

لقد أثار مقال أو. بوريتش انتقادات الكثيرين من المعلمين والمسلمين على حد سواء؛ لأن الكاتب طالب بعدم تدريس الفتيات الأبجدية العربية، والتي وصفها بالمعقدة. ثم استمر مصرحًا بأن تعليم الخط العربي – خط القرآن الكريم- من الناحية الدينية غير إلزامي وغير مرغوب. وتابع مهاتراته هذه مدعيًا أن طلبه هذا يهدف للتقنين، ويهدف لتعليم الأبجدية واللغة الوطنية، وكأن أحدًا لا يحب الأبجدية واللغة الوطنية، فلكل لغة وأبجدية مكانتها؛ لذلك فلا محل لمثل هذه المهاترات.

ويتابع أو. بوريتش مهاتراته فيقول إن كتابة عدة سور من القرآن الكريم باللغة الوطنية تكفي للمسلم، ولا داعي لتعلم الأبجدية العربية، حتى إنه يطالب بقراءة ترجمة القرآن فقط.

أثارت هذه المقالة ردود فعل واستنكار مبرر من المسلمين، حتى أن حوارًا حول ذلك دار خلال اجتماع الجمعية العامة لمجلة «الهداية»، واتحاد علماء يوغسلافيا. وقد وصف البعض هذه الكتابات بأنها مروعة، وطلبت الجمعية العامة من مجلس عمل «الهداية» أن يهتم بهذا الأمر، وأن يصدر قراره بشأنه لتخفيف الحزن وردود الفعل من قبل المسلمين، وبهدف منع تسبب الأضرار من مثل هذه المقالات.

وقد أوكل مجلس عمل «الهداية» إليّ مراجعة هذا المقال وكتابة رد عليه. فكتبت مقالاً تم عرضه على اجتماع «الهداية» في جلسته الثانية بتاريخ ٢٤/١٠، واعتمده المجلس، وسمح بنشره على أنه أول رد فعل رسمي للمجلس.

بدون شك أن تعليم وقراءة ودراسة القرآن الكريم وكتابته وحفظه يعتبر فرض كفاية لكل مجتمع إسلامي، وبالنسبة لنا نحن مسلمي البوسنة والهرسك يعتبر فرض كفاية وجود عدد كافٍ وبشكل مستمر بيننا ممن يقرأ ويحفظ ويتعلم القراءة والكتابة ويدرس القرآن الكريم، وأفضل طريقة للوصول لذلك هو تعليم الأطفال منذ الصغر؛ لأننا نعرف أن من لا يتعلم في الصغر يصعب عليه التعلم

في الكبر. لذلك فإن من يطالب بإلغاء تعليم الأبجدية العربية وهي حروف القرآن الكريم، فإنه يهدف إلى إهمال المجتمع الإسلامي لأحد واجباته الدينية على أقل تقدير؛ مما يعني ارتكاب الذنوب والمعاصي.

كما أن كاتب المقالة وبدون أي تحفظ يؤكد أن تعلم الأبجدية العربية – التي كُتب بها القرآن الكريم – من الناحية الدينية غير مرغوب فيها، أي غير مرغوب في القراءة من المصحف الشريف. إن مثل هذه التأكيدات تبين أن صاحبها إما لا يلم بالتعاليم الدينية أبدًا، أو يريد أن يُضلل المسلمين عمدًا.

فكيف يمكن أن يكون تعليم قراءة القرآن الكريم للأطفال غير مرغوب فيه، فالدين الإسلامي يعتبر قراءة القرآن الكريم من أفضل الأعمال الدينية، والرسول الكريم ﷺ يقول: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

لا أريد الإطالة في هذا الأمر لأن كل مسلم ومسلمة يعرف أن تعلم الأبجدية العربية هام وضروري لقراءة القرآن الكريم، وهو من أحب الأعمال الدينية التي يكسب بها المسلم حسناته. ورسولنا الكريم – عليه صلاة الله وسلامه – كان يرسل أصحابه لتعليم التعاليم الدينية وقراءة القرآن الكريم.

إن كاتب المقال يستنتج بطريقة غريبة وعلى أساس الحديث الشريف «يسر ولا تعسر» أننا غير ملزمين بتعلم الأبجدية العربية؛ لأن تعلمها من الأمور الصعبة

وخاصة للأطفال. فمثل هذا الاستنتاج يعني أننا غير ملزمين، بل لا يمكننا أن نتعلم الحروف العربية. أود الإشارة إلى أن الحديث المذكور لا يخص أبدًا تعليم الأطفال العلوم الدينية، إنما طرق الدعاية والترغيب في الإسلام بين المواطنين لجذبهم وإدخالهم في الدين الحنيف.

وهذا الحديث يبين لنا كيف يجب أن نتعامل مع أطفالنا، ولكن ليس بالطريقة التي يذكرها كاتب المقالة، فنحن ملزمون بهذا الحديث أن نختار أسهل الطرق لتعليم أطفالنا مبادئ ديننا الحنيف، وتعليمهم الحروف العربية وقراءة القرآن الكريم.

كما أن كاتب المقـــال استخدم الآية الكريمة ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾[المزمل/ ٢٠]، حيث فهم منها أننا ملزمون بحفظ بعض الآيات فقط من القرآن الكريم، وهذه الآيات نحفظها ونقرؤها بأحرف لغتنا البوسنية. لن أعلق على تفسيره هذا للآية الكريمة؛ لأن كل عاقل يعرف تمامًا ماذا تقصد.

في نهاية المقال يقول الكاتب: «إن طلبنا من عامة المسلمين أن يعرفوا ويقرؤوا الأبجدية العربية فهذا يعني تضامننا مع أولئك الذين يؤكدون أن الإسلام هو ديانة عربية، أو أن الإسلام هو خاصية عربية، وأنتم تعرفون أن هذا انزلاق نحو الخطيئة والذنب». إذا اتبعنا منطق هذا الكاتب -إذا اعتبرنا ذلك منطقًا- فسنبدأ بالتخلي عن كل ما له علاقة بالخط العربي واللغة العربية والعرب، فسنتخلى عن

القرآن العربي وكل التشريعات الدينية المكتوبة باللغة العربية، وفي النهاية – ليغفر لي الله تعالى – سنتخلى عن الدين الذي جاء به محمد ﷺ لأنه عربي. وأحمد الله أننا نؤمن بالحقيقة والعدل، ولا نهتم برغبة أولئك الذين يريدون ترك كل ما يخص «اللغة العربية»، وهي العلامة الأولى للدين الإسلامي.

وأخيرًا فإن قراءة القرآن الكريم باللغة العربية تربطنا بباقي الشعوب الإسلامية. فالتحية باللغة العربية، والأذان باللغة العربية وقراءة القرآن باللغة العربية والصلاة باللغة العربية وهذه الأمور هي أقوى الروابط بين الإخوة في الإسلام. فجميع المسلمين بغض النظر عن وطنيتهم وقوميتهم وبعدهم وقربهم يعلمون أبناءهم منذ الصغر قراءة القرآن الكريم باللغة العربية، وكل من يقف ضد ذلك فهو يقف ضد حرمات الديانة الإسلامية وعلى كل مسلم أن يدينه.

إن الوقوف ضد اللغة العربية والحروف العربية التي نحتاجها لقراءة القرآن الكريم، وهي من أهم وأفضل العبادات في ديننا الحنيف، هو خطأ يصل إلى الذنب.

دور علماء الدين تجاه الشعب

أيها السادة، يسعدني القول أمام هذا المحفل الكريم بعض الكلمات حول دور ومهام علماء الدين تجاه الشعب، أمام هذا التجمع الذي سيكون بعون الله تعالى بداية تقدم لجميع المسلمين في جميع أنحاء يوغسلافيا. إذًا الحديث حول علماء الدين الذين بدؤوا بتوحيد قواهم لخدمة إخوانهم المسلمين، وتنفيذ مهامهم التي أمرهم بها رب العزة. لقد كانت الحاجة ملحة لهذه الوحدة منذ زمن بعيد، ولكن الوقت لم يتأخر بعد إذا كانت لدينا نية صادقة، وأنا لا أشك في ذلك. سيساعدنا الله تعالى في عملنا هذا، وسنجني ثماره قريبًا بإذن الله.

إن ديننا الحنيف هو دين العلم، ونرى هذا في كل صفحة من صفحات القرآن الكريم. إذ إن الأسس التي يبنى عليها ديننا هي أسس العلم والمعرفة، فرسولنا الكريم بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، ومهمة بعثه كانت تعليم البشرية الخير والدين الحق، وقد ورث العلماء هذه المهمة، فالعلماء هم ورثة الأنبياء. وقال رسول الله ﷺ بأن الأنبياء هم مؤسسو المجتمعات الدينية فلم يتركوا خلفهم

أملاكًا، بل دينًا وتعاليم دينية. وقد ورث العلماء هذه المهمة، وحملوا مهمة نشر التعاليم الحنيفة.

إن العلم هو أساس دين الإسلام الحنيف، وعلى كل فرد طلب العلم. وقد قسم رسول الله ﷺ المواطنين لمجموعتين: مجموعة تنقل العلم وتفسره، والثانية: تبحث عن العلم وتتعلمه. والذين لا ينتمون لإحدى هاتين المجموعتين قال عنهم رسول الله بأنهم لا خير فيهم. وقد أوصى رسول الله ﷺ أحد أصحابه فقال: «اغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًّا، ولا تكن الخامسة فتهلك»، قال أبو عمر: «الخامسة التي فيها الهلاك: معاداة العلماء وبغضهم، ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب ذلك، وفيه الهلاك». نرى من هذا الحديث أن ديننا الحنيف يقدر ويشرف العلماء، ويمنحهم قدرًا لا يمكن لأحد أن يأخذه منهم إذا عملوا بما يرضي الله- تعالى. فورثة الأنبياء يجب أن يستمروا بنقل ما جاء به الأنبياء.

إن الجيل الأول من العلماء كانوا من صحابة رسول الله الذين تعلموا على يديه، وقاموا بمهامهم على أكمل وجه، فقد سهروا على تنفيذ وصايا رسول الله وتنفيذ أحكام الشريعة بين أفراد الجماعة الإسلامية، سواء الرؤساء أو المرؤوسون، فلم يسمحوا بتخطي الأحكام الشرعية. ويكفينا ذكر قصة واحدة أيام الخليفة عمر رضي الله عنه لنرى دور العلماء. ففي إحدى المرات خطب أمير المؤمنين عمر فسأل الناس «لو رأيتموني اعوججت عن الطريق فماذا أنتم فاعلون؟» فأجابه أحد

الصحابة من الذين تربوا على يدي رسول الله ﷺ: ما نطيعك في أمر تعصي الله به، ونقوّمك بحد السيف. وهناك الكثير من الأمثلة الواضحة لدور العلماء الذين فهموا مهمتهم ودورهم لا داعي لذكرها.

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل / ١٢٥]. هذه الآية الكريمة تبين بوضوح دور رسول الله ﷺ ودور ورثة الأنبياء. فدورهم يكمن في اختيار أفضل السبل لتوجيه المسلمين للطريق المستقيم. وهناك أربع من أهم هذه السبل استخدمها رسول الله ﷺ لتنفيذ الآية الكريمة. هي:

١) الخطبة: والتي تعتبر في الشريعة الإسلامية واجبًا يجب إقامتها أسبوعيًّا، وبذلك يكون الدين الحنيف قد أسس جامعة شعبية يجب على كل مسلم سليم وبالغ حضورها أسبوعيًّا. ويكون علماء الدين قد نفذوا أحد واجباتهم. أيها السادة يوجد لدينا عجز كبير وعيوب يجب علينا معالجتها بشكل كبير إذا أردنا النجاح.

٢) الوعظ: إن الوعظ لا يحتاج لموعد محدد ولا مكان محدد. ويختار العلماء أي مناسبة لوعظ المسلمين وتوجيههم التوجيه الصحيح.

٣) المقالات المكتوبة: إن هذا الأمر هام جدًّا؛ لأن الخطبة والوعظ يفيدان الحاضرين فقط. أما المقالات المكتوبة فهي تنفع الجميع. إن رسول الله ﷺ استخدم هذه الطريقة في مخاطباته مع الحكام عندما كان يدعوهم للإسلام.

٤) التصرفات التي تعتبر قدوة لجذب المواطنين للإسلام: فتصرفات الأئمة تعتبر أسوة حسنة في تطبيق التعاليم الدينية والشرائع. فقد كان رسول الله ﷺ أسوة حسنة دفعت المشركين للدخول في الإسلام من خلال تصرفاته وأعماله.

إن علماء الدين ملزمون باتباع هذه السبل لتنفيذ مهمتهم في الدعوة. وهناك أسلوب هام جدًّا يجب استخدامه مع الأولاد لزرع الإيمان في قلوبهم الفتية، وهو طريق المحاضرات الدينية في «الكُتَّاب» وفي المدارس الابتدائية والثانوية بمختلف فروعها، حيث يتم وضع أحجار الأساس لبناء عقيدة دينية سليمة.

إن دور العلماء اليوم أصبح ذا أهمية كبيرة، خاصة بعد ظهور نتائج الحرب العالمية المتمثلة في الانحطاط الأخلاقي وظهور الفساد لدى الجنسين الذكور والإناث على حد سواء، وانتشار الأفكار الشيوعية وكثرة الهجوم وإهانة الإسلام الحنيف في الصحف والمجلات والكتب وحتى في المناهج المدرسية، وخاصة ممن يدعون الإسلام ويهاجمون الدين من خلال كتاباتهم وتجمعاتهم التي تهدف لنخر الأسس الإسلامية.

إن هذا الدور أصبح قويًّا لأن العلماء ملزمون بمحاربة عدوين في آن واحد، كما فعل قائدنا وأسوتنا الرسول ﷺ، هما: محاربة الكفار، والمنافقين، فقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة/ ٧٣] .

إن كل تجمع إسلامي ملزم بإعداد عدد كاف من العلماء يوجهون المسلمين إلى الدين الحنيف ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقد قال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾[آل عمران/ ١٠٤] . فكما أن التجمعات الإسلامية مُلزمة بإعداد العدد الكافي من العلماء فهي ملزمة كذلك بمساعدتهم في تنفيذ مهامهم. إن تلك التجمعات التي تعد وتساهم في عمل العلماء هم الفائزون، فقال تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة/ ٥] .

ولدينا نحن مسلمي يوغسلافيا عدد معقول من العلماء، ويزداد عددهم بحمد الله سنويًّا، ولكن هذا لا يعني أن عددهم كاف. فنحن ملزمون بزيادة هذا العدد، خاصة عندما نعلم أن عدد الأعداء يزداد ومجالات العمل تتسع. وبالرغم من العدد الموجود من العلماء فينقصنا توحيد القوى، فالتفرق الذي نعيشه لايمكنه أن يساهم في تنفيذ مهامنا بشكل جيد. كما أن علماءنا لا يمتلكون الصوت الخاص بهم، لذلك فنحن نسمع دائمًا من يقول عنهم: «إن علماء يوغسلافيا يعتقدون... يريدون!!».

إن فكرة توحيد علماء يوغسلافيا تدور في الأفق منذ سنوات، فكل واحد منهم يتمنى حدوث ذلك. فقد بدأت المنظمات العلمية لعلماء الدين بالظهور كمقدمة لتوحيد جميع العلماء. فقبل ظهور «الهداية» التي هدانا الله تعالى لتأسيسها، ظهر في مدينة توزلا Tuzla اتحاد يدعى «المرقد»، ونحن نقدر عمل هذا الاتحاد ونطمح لليوم الذي نرى فيه جميع العلماء متحدين في اتحاد يتحدث باسمهم ويجمع المسلمين معتصمين ومتحدين كجسم واحد.

نحن نريد وحدة كاملة ولكن على أي أساس؟ لقد أجاب القرآن الكريم عن هذا السؤال ووضع قاعدة عامة لوحدة المسلمين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران/ ١٠٢] . إذًا يجب في البداية أن تكون قلوبنا مليئة بالتقوى الصادقة، عندها ستكون المصلحة العامة أهم من المصلحة الشخصية أو العرقية أو السياسية، ونكون كالإخوة الذين يعتصمون بحبل الله لمصلحة الجماعة.

أيها السادة والإخوة الكرام إذا اتبعنا هذه القاعدة بصدق ووضعنا نصب أعيننا مصلحة الجماعة قبل المصلحة الشخصية فسيكون النصر حليفنا، فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[محمد/ ٧]. وقد جرب إخوتنا المسلمون سابقًا هذه القاعدة، ووجدوا أن العزة والقوة في الاتحاد على الأسس العقائدية.

إن هذا التجمع «الهِدَاية» سيكون حقًّا اسمًا على مسمى إذا اتحدنا في مساعدته وتقويته على أسس الاعتصام بحبل الله. لقد أسس مسلمو بلغاريا عام ١٩٣٤م تجمعًا شبيهًا يدعى «دين الإسلام»استطاع خلال فترة قصيرة أن يلبي الكثير من طموحات المسلمين.

وإن اتحاد علمائنا في تجمع واحد سيمكنهم من الاحتكاك بعلماء التجمعات الدينية الأخرى وسيمكنهم من طرح أفكارهم وحلولهم، وسيمكنهم من الدفاع عن مصالح المسلمين؛ وبذلك يكونون ذوي نفع لجماعتهم ولدينهم الحنيف.

إن صحوة علمائنا يجب أن تكون جزءًا من صحوة إسلامية شاملة بدأت تظهر في جميع أرجاء العالم. إن صحوة واتحاد علمائنا ستعطي كل فرد منهم القوة، وبعون الله تعالى، يظهر منهم أفراد كما عرفنا في التاريخ الإسلامي الطويل يخدمون ويعملون لنشر الدين الحنيف، ويضحون بأملاكهم وأرواحهم في سبيل هذا الدين الحنيف. لقد انطلقنا من الصفر ونأمل النجاح الكبير، وكما قال أحد الشعراء:

وإذا رأيت من الهــــلال نموه أيقنت أن سيصير بدرًا كاملا

ندعو الله تعالى أن يساعدنا ويمنحنا الصبر والإصرار على تحقيق هدفنا هذا.

التحية أو السلام في الإسلام

لكل مجتمع من مجتمعات العالم تحيته الخاصة، وكذلك المجتمع الإسلامي فله تحيته الخاصة وهي «السلام». إن التحية في الإسلام سنة، والرد على التحية واجب. وهذا الواجب كفاية، أي عند إلقاء التحية على مجموعة من الأفراد يكفي أن يرد أحدهم التحية باسم المجموعة، إن كلمة «السلام» تعني الإنقاذ من جميع الكوارث الجسدية والنفسية في هذا العالم والعالم الآخر. إذاً عندما يلقي المسلم السلام على أخيه المسلم يعني أنه يتمنى له السلام في الدنيا والآخرة، ويرد عيه أخوه بنفس السلام أو يزيد. وإذا نظرنا إلى التحية عند باقي الشعوب فلن نرى مثيلاً لتحية الإسلام، وهي: السلام عليكم.

إن «السلام» تحية رسولنا الكريم -عليه الصلاة والسلام، وهي- تحية جميع الرسل- عليهم السلام. فالملائكة سلموا على إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- ورد عليهم بالسلام. والقرآن الكريم يذكر تحية أهل الجنة «السلام» فقال تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [إبراهيم/ ٢٣]. وقد

ذكر رسول الله في أحد أحاديثه أن «السلام»كان تحية أبينا آدم عليه السلام. إذًا فإن الملائكة والرسول وأهل الجنة وكل عباد الله الطائعين والمقربين يُحَيُّون «بالسلام»، وسيُحَيُّون بتحية الإسلام إلى يوم الدين.

إن «السلام» هو بداية لصداقة بين المسلمين وتقوية الأخوة ونشرها بين المسلمين، فبعد إلقاء التحية بتحية الإسلام، يبدأ التعارف بين الإخوة ومن ثم يدور الحوار بينهم، ثم تصبح الصداقة متينة. فقال- عليه الصلاة والسلام؛ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَ لا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ»، نفهم من هذا الحديث أن المحبة بين المؤمنين هي أحد أعمدة الإيمان، وأن إفشاء السلام هو السبب الأساسي في نشر المحبة بينهم.

من هنا كان لـ «السلام» في اللغة العربية منفعة كبيرة، فدين الإسلام ليس دين العرب فقط، بل هو دين العالمين، يربط جميع المسلمين برابطة الأخوة القوية. ولكي يبقى المجتمع الإسلامي متماسكًا ومتحدًا يجب ألا يكون هناك اختلاف في تطبيق وممارسة الشرائع الدينية. لذلك فإن التحية الإسلامية بقيت «السلام» باللغة العربية؛ لغة القرآن الكريم، وهي اللغة الدينية لجميع المسلمين. فالتحية باللغة العربية «السلام» هي البطاقة الشخصية الأولى للمسلمين، حيث يتعرف الأخ على أخيه المسلم من خلالها بالرغم من الفوارق القومية واللغوية بينهم،

حتى لو كان الأول غربيًّا والثاني شرقيًّا.

هناك الكثير من أحاديث رسول الله ﷺ حول إفشاء السلام وطريقة طرحه، سنذكر بعضًا منها:

«عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ إن أولى الناس بالله من بدأ بالسلام. رواه أبو داود والترمذي» نفهم من هذا الحديث أن لا ينتظر المسلم أن يقوم أخوه بالسلام أولاً، فإذا أراد أن يكون أقرب إلى الله تعالى فليبدأ بالسلام. ويعتقد بعض العلماء أن أجر وثواب البادئ بالسلام أكبر وأعظم بالرغم من أن السلام سنة، والرد عليه واجب.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة. رواه أبو داود والترمذي»، نفهم من هذا الحديث أن «السلام» هو تحية الوداع أيضًا، وهو سنة. ولكن للأسف فإن تحية الوداع قد أهملت عندنا بشكل كامل، بالرغم من بقاء هذه التحية حاضرة في العالم العربي.

«يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير». رواه البخاري ومسلم، وزاد البخاري: «والصغير على الكبير». وقال عليه السلام: «يجزي عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزي عن الجلوس أن يرد أحدهم». رواه أبو داود.

وقد شرح رسول الله ﷺ في الحديثين السابقين من الذي سيبدأ بالسلام، وقواعد إفشاء السلام، حيث ذكر قاعدتين عامتين هما تواضع الراكب، واحترام الأكبر سنًّا، لذلك طلب من الراكب والماشي البدء في إفشاء السلام على الجالس، وطلب من الأصغر تحية الأكبر سنًّا.

عن أنس رضي الله عنه «أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: كان رسول الله ﷺ يفعله». رواه البخاري ومسلم، يبين تصرف الرسول الكريم في هذه الحالة رأفة الكبار بالصغار، لذلك كان يبدأ بتحية الصبيان، وهذا التصرف له طابع تربوي لكي يتعلم الصبيان العادات الإسلامية.

«عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك. رواه الترمذي وقال حديث حسن».

هناك أحاديث أخرى تبين أن رسول الله ﷺ كان يسلم على النساء بتحية الإسلام. ويقول العلماء إن الرجل يمكن أن يسلم على زوجته أو على المحرم أو على القواعد من النساء حين لا يخاف من حدوث نتائج سيئة لتحيته.

وبما أن «السلام» هو تحية المسلمين فلا يجب إفشاؤه لغير المسلمين، حيث نهانا رسول الله ﷺ في عدة أحاديث عن ذلك. ولكن هذا لا يعني أننا لا نحيي غير المسلمين بتحية غير «السلام». والهدف من ذلك حسن التصرف معهم،

وهذا دليل على أن الإسلام هو أسمى وأصدق ديانة إلى يوم القيامة. فيقول جهاد الدين الحنبلي في تعليقه: «لا تلقوا السلام على غير المسلمين، ويمكنكم تحيتهم بـ «هداكم الله أو حياكم الله» لكي لا تفرضوا عليهم تحيتكم».

إن الإسلام يكره أن تكون التحية بين المسلمين غير «السلام» خاصة إذا كانت هذا التحية من علامات غير المسلمين، ففي سنن أبي داود جاء «عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال كنا نقول في الجاهلية: أنعم الله بك عينًا وأنعم صباحًا فلما كان الإسلام نُهينا عن ذلك. رواه أبو داود». إن هذا النهي مبني على أساسين هما: ١- ترك كل التحيات غير الإسلامية. ٢- منع إفشاء هذه التحيات ونشر تحية الإسلام «السلام».

كما يجب ذكر أن المصافحة تعتبر عادة إسلامية تأتي مع السلام، فقد جاء في صحيح البخاري «عن قتادة قال قلت لأنس: أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قال: نعم. رواه البخاري». وقال – عليه الصلاة والسلام: «ما من مسلميْن يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا». رواه أبو داود. وعن أنس رضي الله عنه قال: «قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه وصديقه أينحني له؟ قال: لا. قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا. قال: أفيأخذه بيده ويصافحه؟ قال: نعم». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. هذان الحديثان يبينان أن المصافحة عادة إسلامية، أما الانحناء والعناق والتقبيل فليست كذلك. إن الإسلام يسمح

بالعناق لمن يعود من السفر البعيد. أما تقبيل أيدي الكبار من قبل الصغار فهو مسموح من باب الاحترام.

إذًا فإن الإسلام يطلب من المسلمين عند اللقاء أن يتعاملوا بالعادات الإسلامية، وأن يرحب أحدهم بالآخر وأن يتصافحوا، مما سيقوي الحب والتفاهم بين المسلمين، فقال عليه السلام: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق». رواه مسلم. وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». متفق عليه. «وقال: يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام وصَلُّوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

هذه هي التعاليم الإسلامية ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، ولقد حث على إفشاء السلام، ولكن للأسف فإن البعض اليوم يستخف بهذه التحية ويهينها، حتى إن البعض يخجل من إفشائها وكأنهم بذلك يريدون إخفاء أنهم مسلمون، فينسحبون من الجماعة الإسلامية ويهددون الأخوة في الإسلام.

التحيـة

«السلام عليكم» و«عليكم السلام» هذه هي التحية الإسلامية الجميلة، وتلقى عند اللقاء وعند الوداع.

هذا «السلام» هو البطاقة الشخصية الأولى للمسلمين، حيث يتعرف الأخ على أخيه في الإسلام في أي مكان يلتقيان فيه.

لقد أوصى رسول الله ﷺ بإفشاء السلام، فقد ذكر في إحدى المرات لأصحابه فحلف بالله أن لن يدخلوا الجنة حتى يؤمنوا، ولن يؤمنوا حتى يحب أحدهم الآخر. ثم سألهم: هل تريدون أن أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ ثم قال: أفشوا السلام. إذًا فإن الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام- يوصي بأن الوسيلة الأساسية للمحبة بين الإخوة في الإسلام هي «السلام».

إن العادة عندنا أنه بدلاً من إفشاء السلام أن نحيي بعضنا البعض بتحية «مرحبًا»، وأحيانًا يقوم الشباب بتحية الكبار برفع اليد. ولكن بدون شك أن إفشاء السلام بيننا أفضل بكثير من «مرحبًا» أو من رفع اليد.

يجب علينا تعليم الصغار إفشاء السلام، خاصة عندما يمرون بالكبار وأن يحيوهم باحترام، وهذه هي مهمة المدرسين والعلماء سواء في القرى أو المدن.

إن بعض المعلمين يقومون بهذه المهمة ويعلمون الأطفال إفشاء السلام، لقد كنت سعيدًا عندما شاهدت الأطفال في مدينة «درفنتا» Derventa يلقون التحية على المدرسين والأئمة وعلى الكبار عامة عندما يمرون بهم. ولكن لاحظت أن بعض المعلمين قد تجاهلوا هذه التحية التي تعتبر من أساسيات التآخي. فقد تأثرت كثيرًا عندما شاهدت الشباب والصغار في بعض القرى يمرون بجوار الكبار وينظرون إليهم بدون إلقاء التحية أو حتى نظرة احترام، حتى إنني تأثرت أكثر من بعض الشباب الذين ينظرون إلى رجال الدين باحتقار وهم يمرون بقربهم.

فعندما كنت عائدًا من منطقة «كراينا» مررنا في رحلتنا على إحدى المناطق، فوقفت الحافلة وركب فيها ثلاثة أو أربعة من الفتيان، كانوا مسافرين إلى سراييفو لمتابعة الدراسة. جلسوا بدون إلقاء أي تحية لا «السلام عليكم» ولا «مرحبًا» بالرغم من أنهم يعرفونني وأعرفهم، خاصة أن أحد المدرسين المرموقين والمعروفين كان معي في الحافلة. حتى إن هؤلاء التلاميذ دخلوا الحافلة ولم يضعوا على رؤوسهم «الطربوش»، فلو فعلوا هذا الأمر معي لأنهم كانوا معترضين عليّ لسبب من الأسباب ما كنت لأحزن، لأن هذا الأمر يحدث يوميًّا حتى في سراييفو وفي منطقة «سراجتشي»، وفي الشوارع الرئيسية الأخرى في سراييفو.

إذًا هذا هو أحد أخطائنا الكبيرة، ومن واجبي كرجل دين أن أشير إلى هذه الظاهرة حتى نقوِّم أنفسنا، ونعلم أطفالنا إفشاء السلام سواء في المدن أو القرى، وأن نضع «الطربوش» على رؤوسنا، وأن نلقي التحية على الكبار والجالسين كما علمنا الإسلام الحنيف.

التكـايا في يوغسلافيا

لدينا في يوغسلافيا عدد كبير من التكايا (الزوايا الصوفية)، وأغلبها في منطقة مجلس علماء «سكوبليه»، وكذلك في البوسنة والهرسك ولكن بعدد أقل. وتمتلك جميع هذا التكايا الأوقاف الخاصة بها؛ لأن بُناة هذه التكايا بنوا لها مرافق توفر لها الدخل اللازم. لن أتطرق هنا لوضع التكايا عند بنائها، ولن أسرد تاريخها واسم مشايخها، ولكنني سأتحدث عن حقيقة مُرة وهي أن أغلب هذه التكايا اليوم لا تستخدم في الهدف الذي بنيت لأجله ولا من قبل المشيخة الإسلامية. حتى إن ما يحدث غالبًا في بعض هذه التكايا هو تقويض للتعاليم الإسلامية الصحيحة، فيتم خرق قواعد وشرائع الإسلام الحنيف، وتُدخل إليها عناصر غريبة عن الإسلام السمح. لا أعمم هذا على جميع التكايا ولا على جميع مشايخ الطرق لدينا.

بالإضافة لذلك، فإن البعض يولون أنفسهم مشايخ ويديرون بأنفسهم التكايا وهم لا يستحقون تولي أي عمل ديني، فكيف يكونون مشايخ طرق في التكايا، وبذلك فهم يدمرون الوقف والتكايا التي تهدف لخدمة الإسلام والمسلمين.

لقد ناقش علماؤنا في جلسة مشتركة لمجالس علماء المناطق برعاية فضيلة رئيس العلماء هذه الظاهرة، وقرروا إصدار قرار تنظيمي خاص بالتكايا ومشايخها، بحيث يتم وضع عمل هذه التكايا تحت مراقبة السلطات الدينية، ويتم تنظيمها بحيث تخدم مصالح المسلمين والمشيخة الإسلامية دينيًّا وتربويًّا.

كما طالبوا أن يشمل القرار التنظيمي تحديد الأمور التالية:

١) مواصفات شيخ الطريقة.

٢) الطرق المعترف بها.

٣) مؤهلات شيخ الطريقة.

كما يجب اعتبار ممتلكات التكايا جزءًا من ممتلكات المشيخة الإسلامية، وهذا أمر طبيعي؛ لأن جميع ممتلكات الوقف الإسلامي هي ملك للمشيخة، ويجب تعيين موظف ديني في كل تكية (زاوية) للقيام بالتعليم الديني والتربوي.

إن جميع التعاليم الدينية تهدف لتقويم وتعليم الإنسان وهدايته للصراط المستقيم والفوز بجنة الخلد. إن هذه التعاليم تقسم إلى مجموعتين: تتألف المجموعة الأولى من التعاليم الدينية التي تخص الواجبات الجسدية للمسلم كفرد أو طرق تعامله مع باقي المسلمين في المجتمع الإسلامي. أما المجموعة الثانية فتتألف من التعاليم الدينية التي تُقوّم النفس وتعتني بالروح وتصلحها، وتبين

حياة الخلد، وتساعد على تخطي الحياة الفانية. وهذه المجموعة التي تهتم بعلوم التصوف أسمى من المجموعة الأولى التي تختص بعلوم الفقه.

كانت علوم التصوف في البداية تهدف للتعرف على السمو الروحي والتقرب من الله تعالى وإظهار هوان الحياة الدنيوية والتطلع إلى حياة الخلد. ولكن مع مرور الوقت دخلت إلى علم التصوف الأفكار الوجودية والآراء المتناقضة مع الإسلام ووجهات النظر التي أقحمت عليه.

إن المجموعة الأولى كانت تُدرَّس في المدارس الإسلامية كشمس تضيء طريق الحق وتنشر تعاليم الدين والسنن الحنيفة، أما المجموعة الثانية فقد كانت التكايا هي مهد نقلها وتعليمها، وإلى جانب التعاليم النظرية مورست التطبيقات العملية، فكانوا يقومون ببعض الأعمال التي تعتبرها الشريعة المحمدية علاجًا لتطهير الروح من الأمراض والعيوب والخلل. هذه الأعمال هي النوافل في الصلوات والصيام والإصرار على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان (الأذكار). ومن المفروض أن تخدم هذه التكايا تقويم الروح لدى المسلمين، فالمدارس الإسلامية كانت تبني الأجساد، بينما تصقل التكايا الأرواح! ولكن كيف للتكايا أن تصقل أرواح أناس لا يعرفون شيئًا عن الشريعة والدين؟ وكيف هي التكايا التي تربي العداء للتعاليم الدينية؟

لقد ذكر بونت ماوري (Bonnet Maury) في كتابه «الإسلام والمسيحية في إفريقيا L' Islamisme et le Christianisme en Afrique» التكية القادرية في غرب إفريقيا فقال: «المريدون يعلمون الناس الكتابة والعلوم. فهم يبنون ويفتحون الكتاتيب ليس في تكياتهم فقط إنما في جميع القرى. فهم يعلمون في هذه الكتاتيب الأطفال السود التعاليم الإسلامية الحنيفة، ويرسلون الأطفال النوابغ على حساب التكايا إلى المدارس الإسلامية في طرابلس والقاهرة، حتى إنهم يرسلون البعض إلى جامع القيروان في مدينة فاس والبعض الآخر إلى الجامع الأزهر في مصر. ويضيف الكاتب أن هؤلاء التلاميذ يعودون بعد إنهاء تعليمهم ليساهموا في نشر الإسلام، خاصة في مناطق وادي نهر النيجر والبنو، ويذكر أيضًا أن أغلب التجار في مقاطعتي القعار والمصين هم من أتباع التكية القادرية. وذكر الكاتب أيضًا أن أتباع الطريقة السنوسية يخدمون الإسلام بنفس الطريقة، فالسنوسيون يشترون الأطفال الصغار الذين يبيعهم السود كعبيد، فيقومون بتربيتهم وتعليمهم الإسلام ثم يعتقونهم ويعيدونهم إلى مناطق ولادتهم لكي يقوموا بالدعوة إلى الإسلام، ويتخرج مئات السنوسيين سنويًّا بهذه الطريقة ينشرون الإسلام من شواطئ الصومال في وسط إفريقيا إلى الشرق والغرب حتى شواطئ السنغال. وذكر الأمير شكيب أرسلان أن عدد التكايا السنوسية يبلغ أكثر من ٣٠٠ تكية تعمل بنفس الطريقة التي ذكرتها أعلاه. ويذكر أرسلان تنظيم عمل هذه التكايا فيقول: يوجد مدير لكل تكية يدعى «المقدم» وفرد يدير

شئونها المادية يدعى «الوكيل»، ولكل تكية شيخ مهمته أن يؤم المصلين ويعلم الأطفال دينهم ويعقد القران ويصلي صلاة الجنازة على المتوفين... إلخ».

إن كل عاقل واع يمدح ويؤيد عمل هذه التكايا القادرية والسنوسية في إفريقيا. وقد تنبه المستعمرون الأوروبيون إلى ما تقدمه هذه التكايا، لذلك يحاولون محاربتها بأبشع وأفظع الطرق لتدميرها والقضاء عليها، كما يفعل الإيطاليون بالتكايا السنوسية في طرابلس الغرب.

ولكن إذا نظرنا إلى أغلب التكايا في مملكتنا يوغسلافيا فلا يسعنا سوى الاندهاش، فلا يمكنك أن ترى في أي منها تعليمًا للشريعة الإسلامية، فما بالك بمركز للدعوة الإسلامية؟ يمكنك القول بكل صراحة إن أغلب هذه التكايا تعلم العداوة ضد أولئك الذين يعلمون الإسلام والمسلمين وضد المدارس الإسلامية وضد الشرائع الإسلامية، فهم يعتقدون أن كل هؤلاء سطحيون، وأنهم وحدهم - بالرغم من جهلهم - قد وصلوا إلى السمو والحقيقة، لذلك فلا يقبلون النصح من العلماء حتى لو كانت حججهم القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأدلة الشرعية. فكل عبادتهم تنتهي عند «الذكر»، الذي يعتبر في رأي العلماء تلاعبًا ورقصًا ومعزوفات مختلفة أكثر منه عبادة تهدف للتقرب إلى الله تعالى. وهم يتمتعون بكل ما يقدمه الوقف الإسلامي من خيرات كانت من المفروض أن تقدم للمسلمين المحتاجين، حتى إن بعض مشايخهم يعيشون كالطفيليين؛ عالةً على المسلمين.

أذكر لكم التكية المولوية التي شاهدتها في مصر، فهي مبنى مليء بالمواطنين العاطلين عن العمل، حيث يحصلون على مرتبات شهرية بدون أي عمل يقومون به. على ما أعتقد فإن شيخهم كان يحصل على حوالي ١٥٠ جنيهًا مصريًّا (ما يقارب ٤٠٠٠٠ دينار) شهريًّا. أما مهمتهم الوحيدة فهي إقامة حضرة أسبوعية. وهذه الحضرة هي عبارة عن رقصات ونغمات معينة يحضرها حتى الهراطقة والأجانب ويدفعون ثمنًا باهظًا للتذاكر، أي أن حضراتهم هي عروض خاصة تحت مسمى العبادات والأذكار الدينية.

وقد تم إقفال هذه التكية بقرار من المحكمة الشرعية في القاهرة وتحولت إلى مدرسة للصناعات تدرس للأطفال الفقراء، وقد كتبت جميع الصحف المصرية وخاصة المجلة الدينية «الفتح» عن هذا الإغلاق، شاكرين الله ﷻ على قيام السلطات الشرعية بوضع حد لهذه الترهات تحت مسمى العبادات، وتم تحويل الأموال الوقفية التي مولت هذه المدرسة إلى أمور تنفع المسلمين، وكم ستكون سعادتنا كبيرة إذا قامت السلطات عندنا بالتصرف نفسه الذي فعلته السلطات المصرية والمحكمة الشرعية القاهرية التي تعتبر مركزًا للعلوم الدينية والعلماء. وإلى متى سنخضع لاشتراطات بعض من يسمون أنفسهم «أصحاب الوقف المشترطين» الذين يشترطون تقديم العون المادي لأشياء لا ترضى عنها الشريعة الإسلامية بسبب جهلهم. فالرسول ﷺ ذكر في أصدق كتاب بعد القرآن الكريم، في صحيح البخاري، وفي باقي كتب السنة: «ما بال رجال يشترطون شروطًا

ليست في كتاب الله. ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط. قضاء الله أحق وشرط الله أوثق».

أما بالنسبة لموضوع اختيار «شيخ الطريقة» ومن يمكنه التأهل لذلك، فيمكن قول الآتي:

لقد وضع مشايخ وعلماء التصوف شروطًا لاختيار «شيخ الطريقة» وعلامات يمكنهم بها التعرف عليه. فقد جاء في كتاب «المنير» الذي يقول البعض إنه لابن كمال، والبعض الآخر لمواطننا «كافي أفندي» بأن هناك أربع علامات للشيخ :

١- أن يكون عالمًا يستطيع شرح كل شك ينتاب تابعه من الجهة الدينية والدنيوية.

٢- أن لا يحب هذا العالم الفاني وأن لا يجشع له وأن يحفظ نفسه من الشهوات.

٣- أن لا يطمع في أملاك أتباعه فيشكون به.

٤- أن يكون كلامه وأفعاله من الشريعة. فإذا لم تكتمل فيه هذه الصفات يكون «شيخًا» كاذبًا. إذًا أول شرط لاتباع الشيخ هو اتباع الشريعة والطاعة، والشريعة هي ما أمر به الله - جل وعلا - ورسوله، أو ما نهيا عنه. وجاء في كتاب «منارة السائرين إلى الله» للمتصوف الكبير أبي بكر الأسدي أن الشيخ أبا سعيد ابن أبي خير قال: أدنى درجات «الشيخ» أن يمتلك عشر خواص. الخاصة الثانية أن يكون على طريق الصواب ويوجه تابعيه إليه. والخاصة الثامنة أن ينفذ بنفسه ما يأمر به أتباعه. والخاصة التاسعة أن يبتعد

عما ينهى أتباعه عنه. إذًا يجب أن يكون الشيخ متعلمًا ومتدينًا، وبدون العلم بالدين لا يمكن أن يكون متدينًا، وبدون كليهما لا يمكن أن يكون شيخًا.

إن جميع كبار المتصوفين والمشايخ كانوا علماء بالدين، لذلك لا يمكن لمن لا يستوعب العلوم الدينية أن يكون شيخًا. لننظر إلى عبد القادر الجيلاني فقد كان عالمًا بالفقه والحديث والآداب والوعظ والتصوف. ومارس التدريس لفترة طويلة وكان مفتيًا، وأكثر علماء الفقه في عصره كانوا من تلاميذه. وإن كتابه «الغنية» دليل على ضلوعه بالعلم. ويمكننا ذكر جلال الدين الرومي، والذي وصفه عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي محيي الدين أبو محمد في كتابه «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» بأنه كان يلم بالمذهب الحنفي وبالفقه عامة، حتى إنه كان يلم بالتناقضات بين العلماء. كل هذه أمثلة على ضرورة إلمام الشيخ بالعلوم والدين. فقد قال الأخضري في نظمه:

حاشا بساط القدس والكمال   تطـــؤه حوافر الجهــــال

إذًا، إن التصوف هو علم الكمال، ومن لا يملك العلم لا يمكنه الوصول إليه.

الشرط الثاني للشيخ أن يكون متدينًا، وهو هدف كل العلوم الدينية. فيجب على الشيخ أن يتبع كل التعاليم الشرعية، فلا يكفي أن يجيد الرقص والعزف ويخدع العيون بإتقانه المبارزة بالسيف و«الشيش»؛ وغيرهما من الأشياء

التي لا يرضاها الشرع والتي يجيدها عُبَّاد النار في الهند. فيقول الأخضري في نظمه:

وقال بعض السادة الصوفية	**مقـــالة جليـــلة صفيـــــة**
إذا رأيت رجــــلاً يطــــــير	**أو فــــوق ماء البحـر قد يسير**
ولم يقف عند حدود الشرع	**فإنه مســــتدرج وبـــــدعي**

إن بعض المشايخ يدعون أنهم حصلوا على «الإجازة» من أساتذتهم على أنه تأهيل كاف لهم ليكونوا شيوخًا. فلا تُمنح «الإجازة» لجاهل يقود أتباعه – حسب زعمه – على الطريق الصحيح إلا من جاهل مثله. ومثل هذه التصرفات تسبب لنا الإهانة وتجعل الأعداء يضحكون علينا.

كما يمكنني القول بأن «الطرق» ليست كاملة ولا محددة، فلا يوجد لها علامات دائمة ومميزة يمكن أن تتميز فيما بينها. فمثلاً القادرية في شمال ووسط إفريقيا مختلفة عن القادرية الموجودة عندنا. فالطرق الصوفية ليست كالمذاهب الدينية. لذلك فلا يمكن الوقوف في وجه طريقة ما بالكامل بسبب أخطاء تقوم بها الطريقة في إحدى الدول.

نحن أهل السنة نتمسك بما يفرضه الله ويطلبه رسوله الكريم، ونرفض ونترك ما ينهى الله وسوله عنه. نحترم العلماء الذين فسروا الشرع الحنيف للحفاظ على وحدة الأمة، لذلك يجب أن لا نحكم على «الطرق» ونصدر الإدانات، بل نحاول

إبعاد كل ما ترفضه الشريعة عن أي طريقة كانت، فقد قال الأخضري في نظمه:

والفرق بين الإفك والصواب يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الأمور كلها وشاهد بفرعها وأصلها

الطريقة الوحيدة التي يجب أن نقف في وجهها في بلدنا هي «طريقة البكتاشية»، ويُقال إن مؤسسها شخص يدعى «الحاج بكتاش» من مدينة نيسابور، جاء إلى آسيا الصغرى في عهد السلطان أورخان وأسس طريقته. ويشك المؤرخون بوجود «الحاج بكتاش» أصلاً، ويعتقدون أن هذه الشخصية مبتدعة، وأن من أسس هذه الطريقة شخص يدعى «باليم – بابا». وقد انتشرت هذه الطريقة في آسيا الوسطى وفي البلقان. وقد اتبع الألبان هذه الطريقة، لذلك فإن أغلب الألبان من «البكتاشيين». إن اعتقادات البكتاشيين قريبة من اعتقادات القزلباش في آسيا الصغرى، فأغلبهم من الشيعة المتعصبين. ويعتقد المؤرخون الأوروبيون أن بداية البكتاشية كانت طائفة مسيحية؛ لأن البكتاشيين يعتقدون بشيء مثل «الثالوث» (الله-محمد-علي). كما يوجد لديهم ما يسمى «الاعتراف بالذنب»، حيث إنهم ملزمون بالاعتراف لشيخهم بكل ما يفعلونه، ويمكن لشيخهم أن يعفو عنهم ويغفر ذنوبهم مثل القسيس في المسيحية. وهم يعتقدون أن شرب الكحوليات مسموح، وأكثر مشايخهم لا يتزوجون. كل هذه الأمور تجعل المؤرخين الأوروبيين يعتقدون أنهم كانوا مسيحيين في الأصل. ومن

معتقداتهم أنهم يؤمنون بالرقم «أربعة» ويعتقدون بانتقال الروح من جسم الميت لجسم آخر. كما أنهم لا يطبقون التعاليم الإسلامية فلا يصلون ولا يصومون ولا يُزكُّون ولا يحجُّون. فهذه الأمور فقط للمبتدئين وليس لمن وصل إلى مستواهم -نعوذ بالله- فإذا تأكدنا من صحة ما ذكرت فيجب علينا اتخاذ موقف حاسم بحق البكتاشيين.

لقد قضى السلطان محمد عام ١٨٢٦م على أغلب البكتاشيين، ولكن بعضهم استطاعوا البقاء حتى يومنا هذا في ألبانيا وفي مناطقنا الجنوبية.

كما يجب تعيين المشايخ في التكايا بما يتناسب وشروط المشايخ، وعلى هؤلاء المشايخ تطبيق التعاليم الإسلامية وتعليم الأطفال قراءة القرآن الكريم، كما يفعل القادريون والسنوسيون في إفريقيا. ويمكن للمشايخ القيام بحلقات الذكر ولكن بشرط اتباع الشريعة في ذلك، وإقامة المحاضرات الدينية لأتباعهم قبل الذكر أو بعده.

لا داعي لإلغاء أو عدم الاعتراف بالتكايا، بل أن نطلب من أتباعها أن يرفضوا كل ما هو ضد الإسلام وكل ما هو هرطقي، وأن يطلبوا المدد والمساعدة من الله وحده، وأن لا يعتقدوا أن مشايخهم معصومون، فالرسول ﷺ هو وحده المعصوم عن الخطأ، وأن ينفذوا التعاليم الإسلامية ويبتعدوا عن الرقص والعزف في أذكارهم، وأن يبتعدوا عن اللعب بالسيوف والشيش وبلع النار كما يفعل عباد

النار من الهندوس في الهند، وأن تكون التعاليم الإسلامية والعبادات هي أقدس المعتقدات، وأن لا يكونوا ممن قال عنهم الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٠].

إخوتي الأعزاء لندع الجنون والترهات ولنعِ الوضع الصعب الذي نعيشه، وليساهم كل منا حسب استطاعته في بناء مجتمعنا الديني وتعليم أولادنا، فكل واحد منا راع ومسئول عن رعيته، فنحن ملزمون بتحسين وضعنا وتطويره، والله المستعان.

قضـــية «المفتين»

لقد أصبح موضوع المفتين ودور الإفتاء قضية الساعة في الفترة الأخيرة عندنا في يوغسلافيا، حيث طرح موضوع إلغاء دور الإفتاء كأمر لا حاجة له في المشيخة الإسلامية، بهدف التقنين في المصروفات. وبالرغم من أن هذا الموضوع أمر ديني بحت فقد لبس ثوبًا سياسيًّا. إن هذا المقال سيبحث هذا الموضوع من الناحية الدينية فقط. ولإظهار الحجج والحقائق سوف أدخل إلى تاريخ هذا الموضوع. أما بالنسبة للناحية السياسية فسوف أتجاهلها تمامًا في هذا المقال، بهدف جعل المقال متاحًا لجميع أعضاء المشيخة الإسلامية في يوغسلافيا، بغض النظر عن توجهاتهم السياسية.

إن شرف الإفتاء يعتبر من أقدم المهام في الإسلام، فهو يمتد للأيام الأولى للإسلام وحتى يومنا هذا، وسيتسمر ما دام المسلمون مهتمين بدينهم. لقد قام رسول الله ﷺ بهذا الدور لحل المواضيع الدينية على أساس الوحي، وساعده في هذا علماء الصحابة -رضوان الله عليهم- جميعًا، وقد جمع أسماءهم تقي الدين ابن قاضي عجلون في أبيات من الشعر:

لقـــد كان يفتي في زمـــان نبينا	مع الخلفـــــاء الراشـــدين أئمة
معــــاذ وعمــــار وزيد بن ثابت	أبيٌّ ابن مسـعود ابن عوف حذيفة
ومنهم أبو موسى وسلمان حبرهم	كــذاك أبو الــــدرداء و هو تتمة
و أفـــتى بميراث أبو بكر الرضي	وصــــدَّقه فيهـــــا وتلك مزية

وبعد وفاة الرسول الكريم ﷺ أخذ الخلفاء الراشدون هذا الدور، وكانوا يتقاضون من بيت مال المسلمين أجرًا على هذا. وباتساع الدولة الإسلامية ازدادت الحاجة إلى هذا الدور؛ لأن الخليفة لم يستطع تغطية كل أرجاء الدولة الإسلامية، مما اضطره لإيجاد مساعدين له في أمر الفتاوى وتفسير الإسلام. فلم يعد الخليفة يؤم المسلمين ويلقي الخطب ويحكم بين المسلمين ويصدر الفتاوى للجميع، بل ترك هذه الأمور لعلماء المسلمين.

كان هناك عدد كبير من الصحابة الكرام يقومون بالإفتاء، اختص منهم حوالي عشرين بفتواهم، واستمر بعدهم العلماء بإصدار الفتاوى حتى يومنا هذا. والمراجع الإسلامية مليئة بأسماء كبار المفتين والعلماء في مختلف المدن الإسلامية. والقرآن الكريم ذكر في أكثر من موضوع دور الرسول الكريم كمفتٍ فقال تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ ....﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ ...﴾ وبناء على هذه الحجج الكثيرة والدامغة، نستنتج أن كل تجمع إسلامي بحاجة إلى مفتٍ يقوم بحل وشرح المسائل الشرعية التي تواجه المسلمين هناك.

ولكي لا يقوم الناس بإصدار الفتاوى حسب أهوائهم فقد كان الخليفة يعين من بين العلماء واحدًا أو أكثر ليقوموا بدور المفتي، وكانت تصدر لهم قرارات خاصة تفاديًا للفوضى.

إذًا فإن كل تجمع إسلامي بحاجة إلى مفتٍ وقاض شرعي ليديرا أمور الرعية ولحل مشاكلهم ومسائلهم الدينية. وكل كتب الفقه والسنن النبوية تؤكد ذلك، ومن أمثلة ذلك تعليق جلال الدين الديواني الذي قال: «يحرم عليه (أي الإمام) إخلاء مسافة الفتوى عن العالم بظواهر الشريعة والأحكام التي تحتاج إليها العامة. فالمقصود ههنا أنه يجب على الإمام نصب من هو عالم بظواهر الشريعة والأحكام ليرجع إليه الناس في حوائجهم الشرعية في هذه المسافة بأن يذهب الناس إليه بكرة ويرجعون إلى منازلهم مساء». إذًا من واجب الحاكم أو من يرعى شئون التجمعات الإسلامية تعيين المفتين وحمايتهم والحفاظ عليهم وعلى دور الإفتاء. وإذا كان العدد غير كافٍ فعليه العمل على زيادة أعدادهم، لا أن يلغي الموجود منهم.

عندما كنت في مصر، دارت إشاعات حول إلغاء منصب المفتي، فقام العالم الجليل الشيخ محمد بخيت - رحمه الله تعالى-[١] بكتابة مذكرة احتجاج من ثماني صفحات قدمها لمجلس الشيوخ المصري، تم طبعها عام ١٣٤٦هـ،

---

(١) توفي الشيخ محمد بخيت بعد كتابة المقال في 21 رجب 1354هـ- [م. الأرناؤوط]..

وأنا أحتفظ بنسخة منها، كان عنوانها «مذكرة من حضرة مولانا الأستاذ الأكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقًا، مقدمة لمجلس الشيوخ ببيان أن وظيفة الإفتاء وظيفة شرعية دينية يجب على ولي الأمر أن يوظف فيها من يليق لها». وجاء في نهاية المذكرة «يعلم مما أوضحناه أن وظيفة الإفتاء وظيفة من الوظائف الدينية التي يجب على ولي الأمر أن ينصب فيها من يقوم بها كوظيفة القضاء. وقد جعلتها الشريعة الإسلامية من الفرائض الدينية ومن أهم المصالح الإسلامية، وإنها وظيفة لها الأهمية الكبرى على الوجه الذي فصلناه».

ويمكنني ذكر الكثير من الحجج على أن الإفتاء أمر شرعي، ولكن هدفي هو تبيان أن من واجبنا الحفاظ على هذه الخدمة الدينية، وأن التأكيدات التي ينشرها البعض في الصحف بدون أي دليل على أن الإفتاء لا حاجة له هو أمر واهٍ، لأننا بحاجة فعلاً لمفتين ضالعين في أمور الدين والشرع لحل كل المسائل الدينية التي تواجهنا.

كما ذكرنا أعلاه أن منصب المفتي هو من أقدم المهام في الإسلام، وأن هذه المهمة استمرت في جميع المناطق الإسلامية بدون انقطاع حتى يومنا هذا، لذلك أريد أن ألقي نظرة على الإفتاء عندنا في البوسنة والهرسك.

بدأ عمل المفتين في بلادنا منذ أن جاءها السلطان محمد الفاتح. وكما حرر السلاح هذه البلاد فقد فتحها المفتون بفتاويهم الدينية. فالكثيرون يعرفون فتوى المفتي «المصنف» بخصوص الملك «ستيبان توماشفيتش»، فمنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا يعتبر دور المفتي بالإضافة لدور القاضي الشرعي هو من أهم المهام الدينية. فقد دعمت وحافظت تركيا على هذه المهمة الدينية، وعلى وريثة تركيا في هذه البلاد (يوغسلافيا) التي تعهدت للمسلمين بحريتهم الدينية أن تحافظ على هذه المهمة وتحميها على أنها من أهم وأحوج المهام للمشيخة الإسلامية.

إن المفتين يعملون دائمًا لصالح المواطنين ويدافعون عنهم وعن مصالحهم، فمن المعروف دور وكفاح المفتي جابيتش للاستقلال الذاتي لمسلمي البوسنة والهرسك. وكذلك كفاح مفتي منطقة «بليفلية» Pljevlje وهبي أفندي شاكر قاضيتش ضد الحكم النمساوي.

كان في البوسنة والهرسك عشرون دار إفتاء تقريبًا، بعضها في سراييفو وموستار وبانيالوكا وتوزلا لا تزال تعمل حتى اليوم. وقد كتب المرحوم سنان كيمورا S.Kemura كتابًا جمع فيه أسماء المفتين منذ دخول الإسلام للبوسنة حتى الفترة التي عاش فيها. وبالإضافة إلى المناطق المذكورة كان هناك دور إفتاء في ترافنيك وبيهاتش وليفنو وتيشان وجراداتشاتس وجرجانيتسا وروجاتيتسا

وفوتشا وبروزور وبروساتس وزفورنيك وستاري ميدان وتشيبجا وستولاتس وبلاغاي. كانت دور الإفتاء تلك تابعة لدار إفتاء سراييفو التي كانت دار إفتاء الولاية، أما باقي دور الإفتاء فكانت دور إفتاء المناطق. وقد تم إقفال بعض الدور مع الوقت بسبب تراجع المناطق التي كانت فيها مثل «ستاري ميدان وبلاجاي... إلخ»، وفي بعض الأحيان تم إغلاقها بدون سبب مقنع، حتى بقي لدينا اليوم أربع دور إفتاء وحتى هذه يحاول البعض إغلاقها.

يطالب البعض بعدم دفع مرتبات للمفتين بحجة أنهم يستطيعون القيام بعملهم بدون مرتب. حقًّا فالمرتب ليس شرطًا لقيامهم بعملهم، ولكنه حق لهم. عندما كان الخلفاء يقومون بهذه المهمة كانوا يأخذون أجرًا من بيت مال المسلمين. وعندما أوكلوا هذا العمل لغيرهم أعطوهم أجرًا على عملهم من بيت مال المسلمين كذلك. فالخليفة عمر رضي الله عنه كان يعطي المفتين ١٠٠ دينار سنويًّا. ومن الناحية الفقهية، يجب مكافأة المفتين على عملهم إما بحصولهم على مرتب معين من بيت مال المسلمين، أو أن يدفع لهم الأفراد سواء لكل فتوى على حدة أو أن يُحدد لهم مبلغ معين، وقد ذكر ذلك الشيخ محمد بخيت في مذكرته، وأضاف: «ولكني لا أعتقد أن مجلس الشيوخ سيوافق على أن يدفع الأفراد للمفتي مقابل فتواه». وأنا أعتقد كذلك بأن المشيخة الإسلامية لم تصل إلى هذا المستوى لتسمح لنفسها بأن يأخذ مفتوها أجرًا من الأفراد مقابل فتواهم. في كل

الأحوال ليس الحديث حول المرتبات، إنما حول أهمية وشرف هذه المهمة.

سيقول البعض لا توجد لدينا الحاجة الملحة للفتاوى وطلب الحلول الشرعية. سأرد على هؤلاء بالقول: إن مهمة المفتي لا تقتصر على إصدار الفتاوى فقط، إنما أن يسهر على متابعة حياة ومشاكل المسلمين ومتابعة عمل الأئمة والوعاظ والمدرسين وتطوير وضع المسلمين وحياتهم الدينية. أما عدم وجود الحاجة الملحة لطلب الفتاوى عندنا فأنا أعتبره عيبًا فينا ويجب أن نعالجه ونزيله. وعلينا أن نمنع أولئك الذين يصدرون «فتواهم» كل يوم في الصحف محاولين الإضرار بالدين الحنيف من خلال أفكارهم الخاطئة والمغرضة. فطلب إلغاء دور الإفتاء بسبب عدم الحاجة الملحة لطلب الفتاوى يعتبر بمثابة طلب إزالة الجوامع بسبب قلة المصلين!!

الوضع مختلف في المجتمعات الإسلامية الأخرى، ففي مصر مثلاً المواطنون يطلبون فتاوى كثيرة بخصوص حياتهم الاجتماعية والدينية، وهناك صفحات خاصة بالفتاوى في جميع المجلات الدينية مثل المنار ومجلة الأزهر- نور الإسلام سابقًا - والهداية والإسلام.. إلخ، تسمى «باب الفتاوى»، تكون مليئة بالأسئلة والمواضيع الخاصة بشئون المسلمين والرد عليها، ويجب على مجلاتنا الدينية مثل الحكمة والهداية أن تحتوي على مثل هذه الصفحات.

كان المسلمون سابقًا يولون أهمية كبرى للأسئلة التي تطرح على المفتين، وكان المفتون يجمعون هذه الأسئلة والأجوبة في مجلدات ينتفع منها المسلمون، هكذا كان حالنا في يوغسلافيا ولدينا مجلدات خاصة بالمفتين مثل فتاوى الأقحصاري(١) وفتاوى أحمدي..الخ. وإحياء إصدار الفتاوى يعني إحياء الحب والاهتمام بالدين وإحياء الاهتمام بكل الشئون العامة للمجتمع والتعرف على الحلال والحرام.

فإذا كان عمل المفتين قد ضَعُف، فعلينا أن نجد لهم ما يعملونه من خلال توسيع مجال ونطاق عملهم وتمكينهم من تنفيذ ما يطلبه الشرع منهم. فعلينا أن نعيد لهذه المهمة الشريفة مكانتها، وأن نعمل على تطويرها وإزالة العوائق التي تعترضها.

إلغاء دور الإفتاء يعني لنا - مسلمي البوسنة والهرسك - الاقتراب خطوة نحو إلغاء المحاكم الشرعية، وهذا لن يرضي أي مسلم غيور على دينه وشرعه، فكيف سيكون لنا الحق في الدفاع عن بقاء المحاكم الشرعية إذا لم ندافع عن بقاء دور الإفتاء والمفتين، ونحن نعرف أن هاتين المؤسستين متشابكتان ولا يمكن قيام إحداهما بدون الأخرى.

---

(١) المقصود حسن كافي الأقحصاري الذي يعتبر من أشهر علماء البوسنة الذين كتبوا في اللغة العربية. للمزيد عنه انظر ماكتبه المؤلف في كتابه الذي نشره بالعربية في القاهرة: محمد بن محمد البوسنوي الخانجي، الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنة، تقديم وتعليق محمد م. الأرناؤوط، الكويت ٢٠١٠، ص ٧٩-٨٩ – [م. الأرناؤوط]

وإذا اعتقد أحد أن محاضرتي هذه ليست صحيحة أو تتعارض مع مبادئ الشرع الحنيف فأدعوه ليتقدم ويعرض حججه، أو أن يذكر أي دليل شرعي على عدم صحة محاضرتي التي تطالب ببقاء دور الإفتاء، وتطالب المجتمعات الإسلامية بالدفاع عنها وحمايتها.

ومن لا يثق بمحاضرتي هذه فأطالبه أن يطلب فتوى من مفتي الديار المصرية أو من فضيلة شيخ الأزهر الشريف، أو من أي مؤسسة دينية متخصصة في أي دولة إسلامية، كما يمكنه طلب الاستشارة من المجلات الدينية التي تقدم مثل هذه الردود الشرعية، مثل مجلة الأزهر أو مجلة الإسلام أو مجلة الهداية ..إلخ التي تصدر في القاهرة.

كلي ثقة بأن تتمتع محاضرتي هذه بالاهتمام اللازم والتفهم لدى الأجهزة المختصة، متمنيًا أن أكون قد أوضحت الأمر بما فيه الكفاية؛ لأنني كتبت هذا المقال على أسس الحجج الدينية والشرعية للدفاع عن مؤسسة دينية مهمة.

۞ تفسير المسائل الشرعية عندنا[1]

(رد على مقالة تحمل نفس العنوان للسيد فهيم سباهو)

صدرت مقالة للسيد فهيم سباهو تحت عنوان «تفسير المسائل الشرعية عندنا» في مقدمة الكتاب السنوي لجمعية «الأمل الشعبي» لعام ١٩٣٩م، انتقد فيها بعض كتاباتي الخاصة بتفسير بعض المسائل الشرعية عندنا، وأدان الاتجاه الذي اخترته في تفسير تلك المسائل، ونعته في نهاية مقالته بقوله: «الاتجاه الذي يجب أن لا نتبعه لأنه لا يتفق مع الوضع الحالي». لم يتم ذكر اسمي في هذه المقالة، ولكن يستطيع المطلع على الصحافة والمجلات أن يستنتج مباشرة أن المقصود بالإدانة هو كتاباتي.

أنا أؤمن بحق كل شخص في الدفاع عن اتجاهه وتبرير أعماله، لذلك فإنني وجدت من الضرورة أن أقف مدافعًا عن الاتجاه الذي سلكته في المسائل المذكورة، وأن أبرر موقفي فيه من خلال السطور التالية.

---

(١) لقد عرضت هذا الرد على عشرة من كبار علمائنا من أعضاء مجلس العلماء، من بينهم ثلاثة مفتين سابقين وخمسة مدرسين للعلوم الإسلامية في المدارس الثانوية، وقد أيدوا هذا الرد وأكدوا لي أنهم يوافقون على محتواه من القواعد الشرعية والتعاليم الإسلامية.

أشير إلى أنني كتبت حول موضوع شرعي هام، بل يعتبر من أهم الأمور الشرعية، وهو «الاتجاه الذي يجب سلكه لدى تفسير المسائل الدينية، والطريق الذي يجب اتباعه»، وقد انتقد الكاتب هذا الاتجاه بالذات، وأدان طريقة بحثي للمسألة الشرعية الخاصة بالربا. وقد نشرت ذلك المقال في مجلة علماء الدين «الهداية»، وقد وافق عليه مجلس التحرير قبل نشره، مما يعني أنه قد أيد المنهج والاتجاه الذي سلكته في تفسير هذه المسألة.

أنا أعتقد أن مقالي هذا، بغض النظر عن الجدال الذي سببه، سينفع جميع أولئك الذين يهتمون بتفسير المسائل الدينية عندنا، والذين يبحثون عن جواب حول الاتجاه الذي يجب أن يسلكه العاملون في حقل تفسير تلك المسائل.

معترفًا بضعفي وقلة علمي ومقدرًا آراء الجميع وواثقًا من حسن نواياهم، أدعو الله – جل وعلا –أن يهديني وإياكم إلى الطريق الصحيح.

سوف أذكر كل فقرة تم التعرض لها في مقالي على حدة بهدف تسهيل العرض، وسأذكر تعليقي وردي عليها، وسأركز بين الفينة والأخرى على المواضيع ذات الأهمية، خاصة تلك التي تخص الاتجاهات التي يجب اتباعها في تفسير المسائل الدينية عندنا.

قال كاتب المقالة المذكورة في البداية:

«حتى يومنا هذا هناك أسئلة تُطرح ويُطلب رد الشرع عليها، بالرغم من أنها ليست دينية بحتة، وهذا أمر طبيعي؛ لأن الشرع لم يحدد الأمور الإيمانية والأخلاقية والشعائر الإسلامية فحسب، بل نظم العلاقات القانونية والحقوقية، ومنها تطورت علوم الفقه».

بدون شك يجب طلب موقف الشرع من الأمور الدنيوية أيضًا، فالدين الإسلامي يشمل جميع النظم التي نقلها لنا رسول الله ﷺ من الله عز وجل. فكل مسألة، سواء تخص الإيمان أو الشعائر أو الحقوق العامة أو المدنية، تعتبر من وجهة النظر الشرعية «مسألة دينية»، فالدين يشمل أصول الشرائع وفروعها[١]. وأكد كبار علماء الإسلام ذلك في حياتهم العملية من خلال إيجاد حلول لجميع المسائل التي تواجه المواطنين وتبين موقف الشرع الإسلامي منها، أي إنهم تعاملوا مع جميع المسائل غير الدينية كما تعاملوا مع المسائل الدينية، وهنا تطور علم «الفقه» بجميع فروعه واحتل مركزًا مرموقًا بين العلوم الدينية.

قد أدان علماء الإسلام بشدة كل من يحاول أن يشكك في الصفة الدينية لأي مسألة يصدر بها حكم شرعي. وأذكر ما حدث عندما صدر كتاب[٢]

(١) الكليات لأبي البقاء الكوفي – الصفحة ١٨٢.

(٢) صدر عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م).

«الإسلام وأصول الحكم» للكاتب علي عبد الرازق في القاهرة، حيث حُورب بشدة[١]. والسبب الرئيسي في ذلك هو محاولة الكاتب أن يشكك في الصفة الدينية لبعض المسائل التي صدرت بها أحكام الشرعية. فقد أنكر أن تكون للخلافة أي صفة دينية، وحاول من خلال كتابه أن يظهر أن الإسلام هو شرائع وقواعد روحية بين الإنسان وربه فقط، في حين أن العلاقات بين الناس وطرق الإدارة تُنظم من قبل القانون والسلطة السياسية، وليس لهذه الأمور أي صفة دينية. حسب رأيه فإن المسائل الدينية هي التي تخص تنظيم العلاقة بين المرء وربه[٢]. لقد فُهم هذا الكتاب على أنه هدم لأسس الشرائع الدينية لذلك شُنت على مؤلفه حملة قوية انتهت بهزيمته.

ويتابع كاتب المقالة فيقول:

«إن علوم الفقه متفرعة ومتشعبة لدرجة يحتاج فيها المرء لدرجة رفيعة من العلم والخبرة حتى يتمكن من إصدار الحكم الشرعي المناسب للسؤال المطروح، وخاصة في الفقه الحنفي الذي ينتمي إليه مسلمو يوغسلافيا. فمع مرور الوقت ظهر الكثيرون من المجتهدين ممن وضعوا آراء مختلفة لمواضيع معينة في فترات زمنية مختلفة (الاختلاف)، جعلت المذهب الحنفي صعب التوحيد على

(١) حارب هذا الكتاب كبار العلماء منهم مفتي عام الديار المصرية الشيخ محمد بخيت والشيخ محمد الخضر حسين وغيرهما.

(٢) انظر كتاب «حقيقة الإسلام وأصول الحكم» لمحمد بخيت، الصفحتيْن ٣٣٦-٣٣٧ .

عكس المذهب الشافعي. فلدينا اليوم آراء مختلفة حول موضوع معين، تجعل من الصعب استنتاج الحكم الصائب (القول الصحيح) وتطبيقه على السؤال المطروح. فمع تغير الزمن والوضع الذي نعيشه يجب تغيير الحلول الفقهية التي تم وضعها في أوقات مختلفة وحسب الأعراف المختلفة. ويمكن تطبيق أي حل فقهي بطريقة مختلفة حسب المكان والزمان وتغيير العرف».

يعتبر هذا المقطع ترجمة حرفية لمقطع من مذكرة أرسلها مجلس إعداد «مجلة الأحكام العدلية» إلى السلطان للحصول على موافقته وإصدار قانون خاص بإنشائها. أنا لا أجد ما أختلف فيه معه بشأن الحاجة إلى التمتع بدرجة رفيعة من العلم والخبرة للتمكن من إصدار الأحكام الشرعية للمسائل المطروحة. فبالرغم من قضاء العمر في البحث والاطلاع والتعلم فهناك مواضيع يصعب إصدار الحكم الشرعي الصائب بها (القول الصحيح)، وهناك مواضيع سهلة وواضحة ويسهل إصدار الأحكام الشرعية بها. كما يمكن تعديل الأحكام الشرعية التي صدرت حسب العرف في حدود معينة حسب تغيير تلك الأعراف كما سأذكر لاحقًا. إذًا فهذا المقطع يتفق مع المنهج الذي نسلكه ولا يوجد فيه ما نخالفه أو نسير ضده.

يستمر كاتب المقالة فيقول:

«نحن نتبع القاعدة الشرعية التي تنص على «لا يُنكر تغير الأحكام بتغير الزمان»؛ لأنه مع الزمان تتغير حاجة الإنسان والعرف. لذلك فإن الأحكام الجزئية التي لم تُبن على الأدلة الواضحة (النص والدليل) وإنما على التطبيق والعرف، يمكن أن تتغير مع الوقت».

إن القاعدة الشرعية التي ذكرها الكاتب تنتمي إلى القواعد التي يسميها العلماء «القواعد الكلية» بالرغم من أنها ليست كلية بحتة ولكل قاعدة استثناء، وفي الحقيقة هذه القواعد هي «قواعد الجمهور». فعلماء الفقه لم يضعوا هذه القواعد في البداية، إنما وضعها تلاميذهم لاحقًا على أساس الاستثناءات التي اتخذها العلماء. إن أوائل علماء الفقه الحنفي الذين حاولوا جمع النظم الشرعية في قواعد موحدة هم «الإمام أبو الحسن الكرخي ٢٦٠-٣٤٠هـ» وكتابه «الأصول»، والإمام أبو طاهر الدباس الذي عاصر الإمام الكرخي والإمام أبو زيد الدبوسي (٣٦٧-٤٣٠هـ) وكتابه «تأسيس النظر». وجاء بعدهم ابن نجيم (توفي عام ٩٧٠هـ) وكتابه «الأشباه والنظائر» ذكر فيه خمسًا وعشرين قاعدة وصنفها في نوعين. وجاء بعده أبو سعيد الخادمي الذي ذكر في نهاية كتابه الخاص بأصول الفقه «مجامع الحقائق» عددًا كبيرًا من القواعد الفقهية. وعندما تم إصدار «المجلة» في استانبول تم ذكر ٩٩ قاعدة فقهية في مقدمتها.

إن هذه القواعد تساعد على فهم المسائل الشرعية التي تدخل في نطاقها، لأنها تربط المسائل ببعضها وتبين الروابط المشتركة بينها. وأحيانًا يمكن استخدام هذه القواعد كأدلة، ولكن يجب معرفة أنه لا يمكن إصدار «فتوى أو تحريم» حسب هذه القواعد الكلية بدون معرفة الدلائل الخاصة لأنه «لا يحل الإفتاء من القواعد والضوابط، إنما على المفتي حكاية النقل الصريح كما صرحوا به»[١]. و«لا يجوز الإفتاء بما تقتضيه الضوابط لأنها ليست كلية بل أغلبية، خصوصًا وهي لم تثبت عن الإمام، بل استخرجها المشايخ من كلامه»[٢].

لقد تم اعتماد هذه القواعد من قبل المجلس الذي وضع «المجلة» وتم ذكرها في المذكرة المرفوعة للسلطان. وجاء فيها «لا يستطيع القضاة الشرعيون إصدار أحكامهم الشرعية إلا بإيجاد نص واضح في القواعد الكلية التي جمعها ابن نجيم والفقهاء الذي حذوا حذوه». لقد ذكرت هذا الأمر لأن البعض عندنا في الفترة الأخيرة يستخدمون هذه القواعد على أنها أدلة نهائية، ولا يبحثون عن أدلة من مصادر أخرى. فهم يحلون جميع المسائل بالقياس على هذه القواعد، حتى إنهم يصدرون الفتاوى بالقياس عليها حتى لو لم تكن ذات صفة رسمية.

إن القاعدة التي ذكرها كاتب المقالة جاءت في كتاب «مجامع الحقائق»[٣]

---

(١) «الأشباه» لابن نجيم — تعليق «المجلة» لعلي حيدر، الجزء الأول، الصفحة ٣٤.

(٢) «الفوائد الزينية» لابن نجيم — تعليق «المجلة»، الجزء الأول، الصفحة ٣٤.

(٣) الصفحة ٤٦ وهامشها، «منافع الدقائق»، الصفحة ٣٢٨.

لأبي سعيد الخادمي، وفي الفقرة ٣٩ «للمجلة»، وبشرحها المبسط تعني: «لا يمكن أن ننكر تغيير القواعد أو اعتبارها غير عادية في الشرع إذا تغيرت قليلاً مع تغير الزمن».

ما هي القواعد التي يمكن أن تتغير قليلاً مع تغير الوقت؟ هي القواعد المفصَّلة الثانوية (الأحكام الجزئية) المبنية على العرف الثابت. إذًا فإن القواعد الكلية المستقلة (الأحكام الكلية) والقواعد المفصَّلة الثانوية التي لا تبنى على العرف الثابت لا تتغير. مثال على القواعد الكلية المستقلة: «أن يطلع المشتري على البضاعة التي يشتريها، وبعد الاطلاع عليها له الحق أن يرفض الشراء أو أن يثبته (خيار الرؤية)». هذه القاعدة لا يمكن أن تتغير فهي ثابتة.

مثال على القواعد المفصَّلة الثانوية المبنية على العرف الثابت: كان علماء الإسلام سابقًا، بناء على العرف الثابت، يعتبرون «الرؤية كاملة» باكتفاء المشتري بمشاهدة غرفة واحدة من بيت يريد شراءه، لأن العرف الثابت كان وقتها يعتبر أن البيت مبني على طراز واحد ويكفي مشاهدة غرفة واحدة لتكون الرؤية كاملة. ومع تغير الزمان وتغير عادات البناء، اعتبر علماء الإسلام أن «الرؤية» لن تكون كاملة حتى يشاهد المشتري جميع الغرف. إذًا هذه القاعدة المفصّلة الثانوية تغيرت قليلاً مع تغير الزمن والعرف.

لقد ذكر المجلس المؤسس «للمجلة» في مذكرته للسلطان هذا المثال، وقام كاتب المقالة باقتباسه وترجمته كاملاً ووضعه في مقاله.

وكما يتغير العرف مع تغير الوقت، فإنه يتغير مع تغير المكان كذلك، فالأماكن المختلفة لها أعرافها الثابتة المختلفة. لذلك يمكن تطبيق القواعد الكلية (الأحكام الكلية) والمستقلة بطرق مختلفة، وفي هذه الحالة يتم تغيير تلك التفاصيل والقواعد الشرعية الثانوية (الأحكام الجزئية) حسب تغيير تلك الأعراف[١].

نستنتج مما ذُكر أنه لا يمكن بأي شكل من الأشكال تغيير القواعد الشرعية التي تبنى على «النص» الصريح والواضح من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، لأن مثل هذه النصوص الواضحة أقوى من العرف الثابت.

لقد نقل علي حيدر في تعليقه على «المجلة»[٢] الفقرة التالية من كتاب ابن عابدين «شفاء العليل»:

«ذُكر في الفتح القدير أن النص أقوى من العرف لأن العرف جاز أن يكون على باطل كتعامل أهل زماننا في إخراج الشموع والسراج إلى المقابر في ليالي العيد، والنص لا يحتمل أن يكون على باطل. كما تعارف الناس في قديم الزمان

(١) انظر الأمثلة في «منافع الدقائق»، الصفحة ٣٢٨.

(٢) الجزء الأول، الصفحتان ١٨٤- ١٨٥.

على بعض البيوع غير الصحيحة، مثل بيع شيء في الإناء مع احتساب وزن الإناء، والبيع مع تأجيل دفع الثمن وغير ذلك من العقود الفاسدة والباطلة التي لا تعد. وقد نقل العلامة الباقلاني في شرح الملتقى فتاوى علماء المذاهب الأربعة بحرمة ذلك مع أن الناس ربما يعدونه من شعائر الدين، فهل يقول المسلم إن الحرام يصير حلالاً بالتعامل، بل لو اعتقد ذلك يُخشى على دينه والعياذ بالله».

بالإضافة لذلك فهناك قاعدة شرعية كلية، كان على كاتب المقال لزامًا أن يذكرها إذا أراد أن يبين الحق، وهي «لا مسوغ للاجتهاد في مورد النص»[١]. فلا يحق لأحد تغيير النص كما يشاء ويشتهي «فليس للعباد تغيير المنصوص عليه»[٢]. فلو كان مسموحًا بتغيير المنصوص عليه حسب الأهواء لما بقيت الشريعة قانونًا تنظم حياة المسلم ولأصبح الشرع لعبة بيد البعض[٣].

---

(١) منافع الدقائق – ص ٣٢٩ – قال الخليفة العالم عمر بن عبد العزيز: «لا يحق لأحد إظهار رأيه أمام سنة رسول الله ﷺ»، وهذا يعني أنه عندما يكون لدينا نص من رسول الله ﷺ لا يصح معه أي اجتهاد من أحد. يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «عندما يتبين وجود حديث صحيح لموضوع معين فارموا برأيي عرض الحائط»، وسأله أحدهم مرة عن أمر فأجابه قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، فسأله الرجل هل هذا رأيك؟ فنظر إليه وقال هل تراني أذهب للكنيسة؟ أنا أقول لك هكذا قال رسول الله وأنت تسألني عن رأيي؟، فهل يقول رسول الله ﷺ شيئًا ويكون لي رأي غيره؟ وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول: «عندما يكون هناك قول لرسول الله ﷺ في أمر معين فاعلموا أنه مذهبي». ويقول الإمام ابن حزم: «لا يحق لأحد إظهار رأيه عندما يكون هناك حديث صحيح عن رسول الله ﷺ».

(٢) شرح المجلة، الجزء الأول، الصفحة ١١.

(٣) جاء في كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية (الجزء ٣ الصفحتان ١٤١-١٤٢) أنهم سألوا ابن عقيلة هل سَيُسمح في هذا العصر الذي ظهر فيه الفساد بين العباد للمرأة بالكشف عن وجهها خلال الإحرام في الحج، أم أن تغطي وجهها وتدفع الفدية؟ أجابهم: إن الكشف عن الوجه هو شعار لإحرامها. وتغيير النصوص غير مسموح به لأنه يهدم الشريعة من أساسها.

يتابع كاتب المقال كتابته:

«لما قام الفقهاء السابقون – وهم المقياس بالنسبة لنا – بتفسير بعض المسائل الشرعية حسب الفروع والعرف، فلماذا لا نستطيع اليوم في هذا الوقت الأصعب أن نفسر بعض المسائل الشرعية حسب تطور الحياة والعلوم العصرية، وذلك في إطار حدود الشريعة الحنيفة؟».

هنا يتجاوز الكاتب الحدود بمزاجه، أقول بمزاجه؛ لأن هذا لا يتسق مع ما ذكره حتى الآن. فلقد أوضحنا سابقًا ما هي النصوص الشرعية وإلى أي حد يمكن تغييرها. الآن يريد الكاتب تغيير بعض النصوص الشرعية على أساس العرف وعلى أساس تطور الحياة و«العلوم العصرية»، وأن يبقي كل ذلك في إطار الشرع الحنيف! هو يسير بجس النبض إلى طريق خطر، لذلك استخدم كلمة «تفسير» بدلاً من كلمة «تغيير»، بحيث يستطيع بطريقة أسهل الجذب إلى طريق جديد، كما استخدم تعبير «الفروع» بدلاً من تعبير «الأحكام الجزئية»، وتعبير الفروع تعبير عام يعني جميع فروع الفقه. ولكي يكون هذا الأمر جذابًا لغير العالمين بهذه العلوم أضاف جملة «هذا الوقت الأصعب»، وكأن الإسلام والمسلمين لم يمروا بأوقات أصعب من وقتنا الحالي.

وفي الجملة التالية حمَّل الكاتب، بدون قصد، الشريعة حملاً ثقيلاً آخر، فقد قصد أن الشريعة تدخل في تعارض مع العلوم العصرية. فإذا لم يقصد ذلك،

فلماذا نحتاج لتفسير المسائل الشرعية حسب العلوم العصرية! نحن نؤكد، من خلال إيماننا بأن الشريعة الإسلامية منزلة من الله ﷻ والذي يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، بعدم تعارض أي نص شرعي مع العلوم الحقيقية والصادقة، ومئات السنين من الخبرات تؤكد كلامي هذا. وإن مثل هذه الشريعة يمكن فقط أن تكون الشريعة الأخيرة التي تصلح لجميع الأزمان والأوقات حتى يوم القيامة. وهذا دليل آخر على أن الشريعة الإسلامية منزلة من الله تعالى؛ لأنها لن تدخل في تضارب مع أي علم حقيقي.

إذًا فإن الكاتب يخطئ عندما يؤكد أن تفسير النصوص الشرعية يجب أن يتناسب والعلوم العصرية. أقول يخطئ، لأن النصوص الشرعية لا تدخل في صدام مع العلوم. وإذا كان لدى السيد الكاتب أي دليل على تصادم نصوص الشريعة مع العلوم فليتفضل وليذكره.

عندما أصل لموضوع التقويم، سوف نرى عدم وجود أي تضارب بين الشريعة والعلوم، وأن هذا التضارب يختلقه كل أولئك الذين لا يعرفون هذا الأمر بعمق.

وبما أن الشرع لا يدخل في خلاف مع العلوم، فهو كعلم إلهي لا يدخل في خلاف مع تطور الحياة، ولا يعيق أي تقدم ولا يكبح أي نمو. فالحياة تتطور تحت تأثير العديد من الأمور، وأكثرها أفكار أنانية غير اجتماعية. والإسلام يحارب

الأنانية في مثل هذه الأوساط، وهذا لا يعني أن نتخلى عن النصوص الشرعية أو نغيرها لأننا بذلك سنخلق فوضى في النصوص الشرعية. من الصعب اليوم التخلص بسهولة من براثن العالم الرأسمالي، ونصوص الشريعة الخاصة بالربا في مثل هذه الأوساط واضحة، لذلك فإن دخولنا العالم الرأسمالي لا يعني أن نفسر النصوص الشرعية بما يتناسق وهذا النمط من الحياة كما يريد الكاتب ذلك.

يتابع الكاتب قوله:

«إذا سار تطبيق النصوص الشرعية بالتوازي مع العلوم والحياة فهذا سيسهل على الإسلام أن يلاقي تفهمًا بين شريحة واسعة من الناس، وسيجمع مؤيدين له بسهولة أكثر، وسيقدم له المتعلمون الاحترام الذي يستحقه. وبذلك سيقوى ويؤمن لنفسه تبشيرًا قويًّا يبقيه إلى يوم القيامة كما شاء الله تعالى له».

إن تطبيق نصوص الشريعة يسير بالتوازي مع العلوم والحياة، وهذه إحدى صفات الإسلام الحنيف، التي مكنته من الانتشار السريع بين الناس. ونستطيع القول إن العلماء لا يقدمون الاحترام لأي دين مثلما يقدمونه للإسلام. فقد ضمن الله عز وجل للإسلام مكانة عالية من خلال وضعه على أسس سليمة وقوية وأمَّن له البقاء، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر / ٩]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [الصف / ٩].

ولكن بالرغم من هذا كله لا يمكن السماح بتغيير النصوص الشرعية، فلو سمح الإسلام بذلك لفقد سمعته عند العلماء أولاً، فكل ما يتغير لا قيمة دائمة له، عندها سيستغل الكثيرون هذا الأمر كدليل على أن الشريعة ليست من عند الله، لأن شرائع الله لا تتقادم مع الوقت، بل إنها خالدة إلى يوم القيامة.

إن هذه الجملة التي استخدمها الكاتب في هذه الفقرة ليست سوى غوغائية غير مسموح بها في النقاشات العلمية وعلى وجه الخصوص الدينية.

ثم ينتقل الكاتب إلى الأمثلة فيقول:

«لكي أسهِّل فهم هذا المقال سأذكر عدة أمثلة من العهد الماضي القريب:

عندما كتبت في مقال الصيف قبل الماضي ضد الزواج المختلط تم انتقادي، وكانت هناك محاولات وقتها لإثبات أنني أردت هدم الشريعة. وقد وجد الناقد في أحد كتب الفقه قولاً مُفتى به على جواز الزواج من الكتابيات واعتبر ذلك كافيًا بالنسبة له. ولم يعد يهمه ماذا يعني مثل هذا الزواج في مجتمعاتنا وما هي الأضرار التي يسببها».

إذًا بعد أن وضع الكاتب المقدمة التي لا تمت للطريق الذي يسلكه بصلة، قام بطرح رأيه: وهو تفسير النصوص الشرعية بما يتناسق وتطور الحياة والعلوم العصرية، بلفظ آخر: أن نغيرها حسب أهواء البعض، ينتقل الكاتب إلى بعض الأمثلة من تاريخنا القريب.

المثال الأول: يخص «الزواج المختلط»، فقد كتب الكاتب مقالاً محمودًا عن هذه المشكلة، وقد ذكر أدلة ملموسة حول ما يمكن أن تتسبب فيه هذه الظاهرة. وقد وضع عدة مقترحات لحل هذه المشكلة. بعد مقاله هذا نشرت مقالاً تحت عنوان «رأي علماء الدين المعارضين للزواج المختلط»، وأنا لا أذكر أن أحدًا غيري نشر عن هذا الموضوع، ربما نُشرت بعض المقالات البسيطة حول هذا الأمر. لذلك فأنا أستغرب أن يؤكد الكاتب أن مقاله هذا تعرض لانتقادات ومحاولات لإثبات أنه أراد بهذا المقال هدم الشريعة. لربما كانت تلك انتقادات شفوية فقط ولم تصل إلينا.

لقد ذكرت في مقالي المذكور عددًا من الآراء القانونية للعلماء المسلمين بخصوص الزواج المختلط مع ذكر الدلائل التي يستندون إليها. ثم أعرت اهتمامًا خاصًّا بالعلماء المسلمين الذين يعارضون الزواج المختلط، وذكرت آراءهم وحججهم على ذلك. ذكرت من بين هؤلاء العلماء الخليفة عمر رضي الله عنه، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وابن عباس، والحسن البصري، وعطا بن أبي رباحة. ثم ذكرت أن المذاهب الأربعة تعارض الزواج المختلط باعتباره «مكروهًا» بالرغم من التسامح به، وأن الإمامية والزيدية يعتبرونه غير شرعي، وأنهيت مقالي بذكر رأي المدرس القدير والمفسر الكبير أبي حيان.

إن كاتب المقال صوَّر الأمر بصورة خاطئة عندما قال بأن الناقد وجد في أحد كتب الفقه قولاً «مُفتى به» بالنسبة للزواج من الكتابيات، واعتبر هذا القول كافيًا. إن هذا القول ليس في «أحد كتب الفقه» فقط، إنما هو موجود في جميعها وحتى في الكتب المدرسية. وهذا الأمر معروف للجميع.

حسب رأيي عند منع الزواج المختلط يجب الأخذ بعين الاعتبار وضعنا وحياتنا في هذا الوسط الذي يعيش فيه عدد أكبر من غير المسلمين، ويجب دراسة نتائج السماح لمثل هذا الزواج أو منعه منعًا باتًّا.

يمكننا الاستنتاج أن الكاتب حاول في هذه الفقرة أن يظهر أن منتقديه كثر وأنه هو الوحيد الذي درس هذه الظاهرة بعمق وتمعن. كما أن الكاتب لم يكن أول من ناقش هذه الظاهرة وليس الوحيد الذي يحاربها، فمن مقالي يتبين أن هذا الموضوع هو موضوع قديم. المهارة تكمن في اختيار الكلمات والطرق التي يجب أن نسلكها لنحصل على النتائج المرجوة، ونمنع حدوث ما نكرهه، وفي نفس الوقت لا نخرق الآيات القرآنية وغيرها من الدلائل الدينية الخاصة بهذا الأمر ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة/ ٥].

يتابع الكاتب مقاله:

«من يتابع قراءة الصحف يتذكر النقاش الحي الذي دار قبل عدة سنوات بخصوص إثبات الأهِلَّة. ودار النقاش بشكل عام حول ولادة الهلال وبداية

الشهر الهجري، وما إذا كان من المفروض أن يتم تأكيد ولادة الهلال بطرق علمية أو بالرؤية بالعين المجردة. وقد أوصلنا اختلاف الرأي هذا إلى الاختلاف في الاحتفال بأيام العيد باختلاف المناطق، حتى إننا أصبحنا عُرضة للإهانة والسخرية في الصحف في مثل هذه العناوين «اليوم عيد؟ اليوم ليس عيدًا!». وفي محاولة لتقويم هذا الوضع أمر رئيس علمائنا السابق المرحوم الشيخ ماجلايليتش أن تكون المحكمة الشرعية في سراييفو هي المسئولة عن متابعة الرؤية، وأن يسري قرارها على كل أرجاء الدولة. ولكن هذا الأمر لم يحل المسألة بشكل نهائي لعدم اعتماده على العلم العصري في هذه المسألة. وبالرغم من ذلك فقد واجه هذا الحل الجريء الانتقاد. واعتمد الناقد على النص الشرعي الذي يخول كل قاض شرعي بإصدار قراره بالرؤية في المنطقة التي تتبع له، ولم يراع أن مثل هذه الطريقة تسبب اختلاف الاحتفال بأعيادنا مع اختلاف الرؤية بين القضاة. فتقدم علوم الفلك لا يعني له شيئًا بالرغم من أننا كل عام نتأكد من صحتها عندما تصيب وبدقة موعد حدوث الكسوف والخسوف، بالرغم من أن هذه الظواهر ليست متكررة ودورية مثل ولادة الهلال. هل تفسير مثل هذه النصوص الشرعية والتي تعارض بوضوح العلوم العصرية يمكن أن يُكسب الإسلام مؤيدين جددًا في العالم المتعلم؟».

كنت قد دخلت في نقاش حول التقويم الهجري قبل عدة سنوات. لقد كتبت في هذا الأمر عدة مقالات، أهمها «تحديد الشهور العربية والحسابات

الفلكية» تم نشره في مجلة «نوفي بهار». وقد انتهجت في ذلك المقال الرأي الذي يطالب بالاعتماد على النص الشرعي الذي ذكره رسولنا الكريم -عليه الصلاة والسلام- في تحديد «الأشهر الهجرية»، فقال: عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: لا تصوموا حتى تروا الهلال. ولا تفطروا حتى تروه. فإن غم عليكم فأقدروا له. أخرجه الستة إلا الترمذي. وفي رواية للبخاري: فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين. ولمسلم والنسائي عن أبي هريرة: فإن غُمَّ عليكم فصوموا ثلاثين يومًا. وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثم تصوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة. أخرجه أبو داود والنسائي[1]. وذكرت أن هذا مذهب أبي حنيفة ومذاهب الأئمة الثلاثة الآخرين: واتفقوا على أن صوم رمضان يجب برؤية الهلال أو بكمال شعبان ثلاثين يومًا[2]. ثم أشرت إلى انتهاء النقاش في هذا الخصوص لوجود نص صريح في المراجع الإسلامية فلا مكان للاجتهاد هنا. وقد دللت على موقفي هذا بكلمات العالم الحنفي الكبير أبي بكر الجصاص في كتابه «أحكام القرآن» الذي قال: «فالقائل باعتبار منازل القمر وحساب المنجمين خارج عن حكم الشريعة وليس هذا القول مما يسوغ الاجتهاد فيه لدلالة الكتاب ونص السنة وإجماع الفقهاء وخلافه»[3].

(١) كتاب: «تيسير الوصول».

(٢) كتاب: «الميزان للشعراني».

(٣) كتاب: «أحكام القرآن».

بالإضافة لذلك فقد ذكرت في مقالي هذا كل ما يخص هذا الموضوع حتى النقد العلمي للتقويم.

إن كاتب المقال يلومني في مقاله بأني لا أعير تقدم علوم الفلك أي اهتمام، ولن أثق أنا ولا كل من يسير مساري بعلماء الفلك، بالرغم من أنهم كل سنة يثبتون لنا دقة حساباتهم بالثانية من خلال تنبؤاتهم بحدوث الكسوف والخسوف. إن تأكيد الكاتب إما ساذج أو بريء وبدون شك يمكن نعته بالمتعمد، بالإضافة لكونه لا يلم بجوهر الأمر. فالكاتب مخطئ إذا اعتقد أن حسابات دوران القمر والشمس وحساب التغييرات وإمكانية رؤية مولد الهلال وخسوف القمر وكسوف الشمس هي نتاج العلم الحديث، وأن هذه الأمور لم تكن معروفة التفاصيل في السابق، فهذه الأمور كانت معروفة قبل الرسول ﷺ بقرون، فالعالم بطلميوس[1] في كتابه «المجسطي» حسب مواعيد الكسوف والخسوف بسنوات قبل وقوعها. حتى عرف تفاصيل حدوث الكسوف والخسوف، حيث استطاع بمساعدة العمليات الحسابية والمعدات الهندسية حساب حجم وبُعْد الشمس والقمر، حتى إن علماء الفلك العرب قالوا في ذلك «عشق بطلميوس السماء فجعل الخسوف سلمًا وصعد به إليها»[2]. بالإضافة لذلك فإن التقويم اليهودي

---

(١) عاش كلاودي بطلميوس في القرن الثاني الميلادي في الإسكندرية. وكان كتابه «المجسطي» الخاص بعلوم الفلك والجغرافيا من أشهر الكتب المعروفة في هذا المجال في تلك الفترة.

(٢) مقولة لعلماء الفلك العرب القدامى.

يعتمد على الأشهر القمرية التي تبدأ من ولادة الهلال، وتم وضعه قبل ولادة الرسول ﷺ بمئات السنين، حيث إن أحبارهم كانوا يحسبون الأيام والشهور بدقة.

إذًا من خلال ما عُرض يتبين لنا أن حساب الأهلة لم يكن نتيجة لتقدم العلوم، فالآلاف من علماء المسلمين كانوا يعرفون هذا النوع من العلوم، ولكنهم كانوا يعتنون بالحجج الدينية وكانوا يحسبون بداية شهر رمضان حسب التعاليم الدينية. كما أن الكاتب استخرج من هذا الموضوع استنتاجًا غريبًا، فقال: إن مثل هذه الترجمة للتعاليم الشرعية والتي تتعارض مع العلوم الحديثة لا يمكن أن تجذب أنصار الإسلام والمتحدثين باسم العلوم في العالم! حقًّا إن هذا الاستنتاج مضحك؛ لأننا أثبتنا أن ما يعتبره الكاتب علومًا عصرية كانت معروفة لدى القدماء وهي علوم قديمة وليست عصرية. كما أن الإسلام لم يتعارض مع علم الفلك بخصوص بداية الأشهر القمرية، ولم ينف الإسلام أي برهان لعلم الفلك حتى يكون في تعارض معه، ولكي يسهل للمسلمين هذا الأمر اختار لهم طريقة بسيطة سهلة للتعرف على بداية الشهر من الطرق المعقدة التي يتبعها علماء الفلك، فقال ﷻ: «لا تصوموا حتى تروا الهلال. ولا تفطروا حتى تروه. فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له». إن موقف الإسلام هذا من الشهر لم يكن محض صدفة، فالإسلام دين ديمقراطي، فهو لا يحتاج لتطبيق تعاليمه إلى كهان ورجال دين حتى يتم تطبيق التعاليم الدينية، فكل مسلم يستطيع أن يطبق تعاليمه

بمفرده، وهكذا الأمر مع مواعيد الصلاة، فيمكن للفلاح في أبعد قرية أو للبدوي في أكبر صحراء أو لعالم الفلك في مرصده أن يحددوا مواعيد الصلاة بمفردهم، وهكذا يتم تحديد بداية شهر رمضان المعظم. إذًا إن الإسلام سهَّل الأمر بعيدًا عن علوم الفلك ودقتها، وفهم الكاتب ذلك بأنه تعارض مع العلوم العصرية، والظاهر أنه يعتبر كل التعاليم الشرعية التي لا يستطيع تفسيرها بأنها تعارض العلوم العصرية!

لقد اعتمدت العلوم القديمة والحديثة قاعدة عامة وهي أن لا يُغير التفسير معنى ومحتوى القانون، فهو يهدف لتوضيح المغزى. يقول الأستاذ الدكتور فيدور تارانوفسكي الأستاذ في جامعة بلجراد في موسوعته القانونية: «إن تفسير أي قاعدة أو قانون لا يمكن أن يغير محتواه، وعلى المفسر أن ينتبه كي لا يعكس معنى القانون». أما الكاتب فهو يخرق هذه القواعد سواء نظرنا إليه من وجهة نظر أصول الفقه، أو من وجهة نظر العلوم الحديثة، فهو يتعارض مع العلوم الحديثة، لا نحن.

أستطيع أن أتفهم أن يأخذ أحدهم بالاعتبار بعض التحاليل الفلكية في هذا الأمر، ولكن لا أستطيع قبول استنتاجات مثل التي عرضها الكاتب لعدم وجود أي منطق أو اعتبار للشرائع الدينية في ذلك، بل اعتمد على ما سماه العلوم العصرية في تحديد بداية شهر رمضان.

أستطيع أن آخذ بالاعتبار رأي من لا يثقون بأولئك الذين يؤكدون أنهم شاهدوا ولادة الهلال في الوقت الذين لا يمكن معه فلكيًّا أن يتم ذلك، فهنا الأمر واضح ولا يتعارض مع القواعد الشرعية.

إن أحد الأسباب التي ذكرها الكاتب لتغيير الشرائع الدينية الخاصة بالأهلة هو ما ذكره أن الصحافة تكتب بسخرية حول مواعيد بداية عيد الفطر «اليوم عيد؟ اليوم ليس عيدًا!!»، لا يمكن اعتبار ذلك سببًا لتغيير القواعد الإسلامية. فكما نعرف أن أعداء الإسلام من الكفار كان يهزؤون من الرسول ﷺ عندما كان يصلي، وهذا الأمر لم يدْعُهُ لتغيير قواعد الصلاة، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة/ ٥٨].

إن أمر تحديث شهر رمضان أو باقي الأشهر الهجرية هو أمر يدخل في قواعد الشعائر الدينية، لذلك يجب حله حسب القواعد الشرعية الخاصة بذلك. فحسب اعتقادات الكاتب واتجاهاته، يمكن أن يعترض البعض على أن السجود حسب العلوم العصرية لا يعتبر من الأمور الصحية، لذلك يجب تعديله حسب القواعد والعلوم العصرية. وإذا كان الكاتب أمينًا لاتجاهه فسوف يطالب بتعديل السجود حسب العلوم العصرية، ونتيجة كل هذا هو هدم الشعائر الدينية والتعاليم الشرعية، وابتداع أمور جديدة تدخل تحت مقولة «لا عقل ولا دين»[1].

(١) المقصود هو: ابتداع قواعد وشرائع جديدة.

يمكننا حل موضوع تحديد أيام أعيادنا وشرائعنا بحيث لا يحدث اختلاف فيما بينها في أرجاء دولتنا، وهذا ليس هو هدفي ولا مهمتي هنا، لذلك سأكتفي بذلك هنا.

يتابع الكاتب مقاله فيقول:

«ظهر مقال في عدد مارس لمجلة «العلماء» بخصوص تحريم الربا «الفائدة»: أنا لن أدخل في مزايا هذا الموضوع لأنه ليس موضوع مقالتي، إنما أريد أن أقول إن هذا الوقت غير مناسب للحديث عن الربا ونحن في القرن العشرين الذي يعتمد فيه العالم الاقتصادي على العمل البنكي. لندع أصحاب المشاريع الخاصة لأعمالهم بغض النظر عن مثل هذه المقالات، فالحديث يدور حول موضوع الربا الخاص بأموال اليتامى والوقف الإسلامي».

إن الكاتب تخطى كل الحدود بذكر هذه الفقرة، خاصة عندما ذكر القرن العشرين. فمن الصعب على المرء أن يتمالك نفسه ولا يعلق على مثل هذا التصريح.

لقد نشر المقال الخاص بالربا في مجلة «الهداية» في عددها الرابع لعامها الثاني، في ركن «أسئلة وأجوبة»، ردًّا على سؤال حول الربا طرحه شخص من مدينة يابيتسا عن طريق فرع المجلة هناك. لقد قمت بتوقيع هذا المقال لأنني أنا

من كتبه، وقد قرأه ووافق عليه مجلس التحرير. لقد أظهرت موقف الإسلام من أشكال الربا المختلفة، واستشهدت على كلامي بآيات من القرآن الكريم والعديد من الأحاديث النبوية الشريفة. ويأتي الكاتب وكأنه رئيس للعلماء ويذكر في مقاله أن لا داعي في هذا الوقت، في القرن العشرين لأن نتحدث حول هذا الموضوع.

كان من الأحرى على الكاتب أولاً أن يسأل صاحب المشروع الخاص من مدينة يابيتسا لماذا تجرأ وطرح مثل هذا السؤال في هذا الوقت؟ أو لربما يعتقد من خلال نهجه هذا عدم ضرورة الرد على مثل هذه الأسئلة. إذًا أنا المسئول عن هذا «التعدي»؛ لأنني أجبت هذا الشخص المسلم عن رأي شرعه ودينه بخصوص العمل بالفائدة.

بالإضافة لذلك، حتى لو لم يكن هناك سؤال بهذا الخصوص، فهل لا داعي لتحذير المسلمين من هذا الذنب العظيم وإلقاء الضوء عليه للابتعاد عنه؟ أم علينا أن ندع الناس يسيرون في اتجاه الربا وأن نسكت على ذلك وندعهم يخوضون في هذا الذنب الكبير ونرتكب ذنبًا أكبر بالسكوت على الحرام؟ فإذا سكت العلماء المُلزمون شرعًا بتفسير الشرائع الدينية والحفاظ على تطبيقها، فلا يسعنا إلا أن نذكر قول الشاعر العربي:

وراعي الشاةِ يحمي الذئبَ عنها   فكيف إذا الذئـــــابُ لها رعـاة

أو أن الكاتب يعتقد أنه يجب السكوت على الشرائع الدينية الخاصة بالحياة الاقتصادية وتجاهلها؛ لأننا قد خسرنا الزراعة بسبب الإصلاحات التي جعلت أراضينا الزراعية رخيصة، ولأننا وصلنا إلى الحضيض في هذا المجال، وعلينا أن نضحي ببعض شرائعنا الدينية لتعويض هذه الخسارة حينها سوف نخسر ديننا ودنيانا كما قال الشاعر العربي:

نُرقّع دنيـــانا بتمـــــــزيق ديننا فلا ديننا يبقـــى ولا ما نرقـــع

ويشير الكاتب إلى أنه لا يدخل في وقائع هذا الموضوع، لأن هذا ليس محور حديثه، وأنا أعتبر أن هذا هو ذر الرماد في العيون. فإذا كان الكاتب لا يعتقد وجود ضرورة لبحث موضوع الربا في هذا الوقت وبما يتناسق وتطوير الحياة، فما الهدف من هذا المقال الذي يبين للناس التعامل مع الربا في عصرنا الحالي؟ فهو في نهاية مقطعه هذا يشير إلى عدم الحاجة لبحث موضوع قد قد وجد حلاله مع الوقت. وبذلك يكون قد دخل في وقائع هذا الموضوع، ولكنه لم يمتلك الشجاعة لقول ما في نفسه. ولكن ما نفهمه من مقطعه هذا أنه يريد القول إن هذا الموضوع قد عفَّى عليه الزمن، وإن الربا في القرن العشرين «والعياذ بالله»، في ضوء المعاملات البنكية الحديثة، حلال. وكل ما أقوله هنا إنه لا داعي لبذل الجهد للطعن في نظريته هذه، فيكفي للقراء الموقرين أن يقارنوا هذا الأمر بالآيات القرآنية العديدة الخاصة بالربا وليقرروا بأنفسهم.

كما أن كاتب المقال يأخذ علينا إشارتنا إلى موضوع العمل بالفائدة الخاص بأموال اليتامى والوقف الإسلامي، يمكنني القول هنا إنني أشرت إلى هذا الأمر ردًّا على القارئ الموقر الذي طلب منا توضيح هذا الأمر.

يقول الكاتب:

«بالنسبة لأموال اليتامى، فنحن حللنا هذا الأمر منذ عهد الحكم التركي، حين كان الحكام يقومون بالمهمة المشرفة للخليفة ولم يقدموا أي حلول لها إلا من خلال فتاوى شيوخ الإسلام».

هذا هو التصوف بعينه، فنحن لا ننكر أن الأفراد حتى لو كانوا سلاطين أو حتى الدولة نفسها يمكن أن يحلوا بعض المسائل، ولكن هذا لا يتطابق دائمًا مع الأحكام الإسلامية. فهناك دول، الأغلبية العظمى لسكانها من المسلمين ومع ذلك فإنها تتبع النظم العلمانية وتصدر القوانين على أساسها. وما يذكره الكاتب عن المهمة المشرفة للخليفة، وعن أن هذه الأمور تُحل من قبل فتاوى شيوخ الإسلام، يعتبر تأكيدًا فارغًا يحاول من خلاله تغطية عجزه عن تقديم الأدلة. فشيوخ الإسلام لا يستطيعون إصدار الفتاوى بدون أدلة شرعية. حتى أن شيخ الإسلام سعد الله جلبي[1] كان يشتكي من العديد من القوانين التي أصدرها

(١) سعد الله جلبي، شيخ الإسلام، خلف كمال باشا زاده في منصب شيخ الإسلام. توفي عام ٩٤٥. وترك خلفه الكثير من المؤلفات الدينية.

الحكام، فكان يقرأ كلام الله ﷻ في ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [المجادلة/ ٥]. ويقتبس كلام المفسر «البيضاوي»: «أو يضعون أو يختارون حدودًا غير حدود الله تعالى ورسوله ﷺ»[١]. «وهذا وعيد عظيم للملوك وأمراء السوء الذين وضعوا أمورًا تخالف ما حدده الشرع وسموها السنن والقوانين، والله المستعان على ما يصفون»[٢].

إن الحكم الاستبدادي الجائر للحاكم الذي قام «بالمهمة المشرفة للخليفة!!» لم يسمح بطباعة النقاش الذي دار حول الكثير من القوانين والقرارات والحلول الخاصة ببعض الأمور الدينية في الدولة التركية في تفسير الألوسي للآية الكريمة المذكورة. لذلك بدلاً من ذلك النقاش طبعوا تفسيرًا بسيطًا غير ما ذكره الألوسي. وقبل عدة سنوات في الطبعة الجديدة للتفسير المذكور سمحوا بطباعة النقاش المذكور، وقد جاء في هذا النقاش حرفيًا «لا شك في كفر من يستحسن القانون ويفضله على الشرع، ويقول هو أوفق بالحكمة وأصلح للأمة. ويتميز غيظًا ويتقصف غضبًا إذا قيل له من أمر: أمر الشرع فيه كذا وكذا، كما شاهدنا ذلك في بعض من خذلهم الله تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم»[٣].

(١) ذكر ذلك البيضاوي في تفسيره لكلمة «يُحادون».

(٢) تفسير الألوسي، الجزء الثامن والعشرون، الصفحة ١٨.

(٣) نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.

ومن بين الأمور التي انتقدها المفسر في القرارات والقوانين المذكورة كانت بخصوص العمل بالفائدة فقال: «فأما ما يتعلق بالمعاملات والعقود فإن كان موافقًا لما ورد عن الشرع فيها من الصحة وعدمها، سميناه شرعًا ولا نسميه قانونًا وأصولاً. وإن لم يكن موافقًا لذلك، كالحكم في إعطاء الربا مثلاً، المسمى عندهم «بالجيوزيشته» بادعاء تعطُّل مصالح الناس لو لم يحكم بذلك، فهو حكم بغير ما أنزله عَزَّ وَجَلَّ»[1].

نرى من هذا أن استنتاجات الكاتب لا أساس لها علميًّا ودينيًّا.

يتابع الكاتب مقاله:

«أما بخصوص أموال الوقف النقدي فماذا سأقول؟ يمكننا اليوم أن نرى العشرات وربما المئات من الوقفبات التي تعود إلى مئات السنين وتتضمن وقف الأموال لتشغيلها بالمرابحة ولصرف الفائدة المتحصلة منها على المؤسسات الدينية والخيرية. وهؤلاء الذين أوقفوا أموالهم لم يضعوا الشروط العامة التي سيتم بموجبها إعطاء الأموال «بالمرابحة»، بل حددوا قيمة الفائدة (النسبة المئوية) التي سيتم إعطاؤها على رأس المال المقدم».

في هذا الكلام الكثير من الأغلاط وسوء فهم للوضع وحتى إساءة لأصحاب الوقف المتوفين. ولكي نوضح الصورة يجب أن نوسع الشرح قليلاً.

(١) تفسير الألوسي، الجزء الثامن والعشرون، الصفحة ١٩.

قديمًا وفي أيام الأئمة كان من العادة أخذ الوقف على الممتلكات الثابتة والممتلكات المتحركة التي تشمل مثلاً المحراث مع الأرض. وحسب رأي الإمام محمد فيمكن أخذ الأملاك المتحركة ضمن الوقف وكل ما يستخدمه المواطنون في معاملاتهم، مثل الفأس والمنشار وغيرهما من الآلات والمعدات. أما إعطاء الأموال النقدية للوقف فقد دخلت هذه العادة متأخرة وتوسعت خاصة في أنحاء الدولة التركية. لقد اعتبر الأئمة هذا النوع من الوقف صحيحًا برواية الإمام الأنصاري عن زفر لذلك يرد في نهاية كثير من الوقفيات لدينا ما يفيد وجود حكم بصحة هذا النوع من الوقف بالاستناد إلى رأي الإمام زفر.

كانت أموال الوقف تُشغل بالمضاربة، حيث يشارك الوقف بالأموال والتاجر بالعمل، ويقسم الربح بين الطرفين حسب التعاقد الذي يراعي الأحكام الشرعية في ذلك (تُدفع الدراهم مضاربة ويُتصدق بالفضل)[1]. وفي هذه الحالة فإن الربح غير محدد وغير مضمون، وإعطاء ربح محدد على الأموال يعتبر ربًا وهو محرم، عندها تم البحث عن طريقة مضمونة سموها «المعاملة»، وتتألف من الآتي: يشتري المقترض من المتولي على الوقف أي شيء حتى لو كان ذا قيمة زهيدة بسعر مرتفع، بالاستناد إلى أن بعض أئمة الحنفية سمحوا بهذا النوع من التعامل ولكن بشروط محددة (انظر كتاب ابن عابدين، الجزء الرابع،

(١) الإسعاف، الصفحة ١٨.

الصفحتين ١٨٣ – ١٨٤). وبهذه الطريقة تم إعطاء الأموال للعمل بها، وبدأ الكثيرون باستغلال المقترضين، حتى إنه في عهد المفتي أبي السعود تم إصدار أمر سلطاني بمنع أخذ نسبة أكثر من ١٥٪ من قيمة رأس المال حتى في التعامل بطريقة «المعاملة»، وكان أكثر النسب شيوعًا هي ١٠٪ (انظر: «معروضات»، أبو السعود، كتاب البيع).

لقد لجأ الواقفون عندنا إلى هذه الطريقة في التعامل باعتبارها طريقة مسموحًا بها. وتم وضع شروط صارمة في مؤسسات الوقف لاتباع الشروط الشرعية في ذلك للبعد عن الربا، ولكي أثبت ذلك سأسرد بعض المقتطفات من عدد من مؤسسات الوقف.

١) قدم كيوان كتخدا بن عبد الرحمن للوقف الإسلامي في مدينة موستار عام ٩٦١هـ مبلغ ١٣٠٠٠٠ درهم وقال في الوقفية: «ويسترบح المبلغ المرسوم بالمعاملة الشرعية العارية عن الربا والفساد على وجه يكون ربح كل عشرة دراهم منه في كل عام درهمًا واحدًا لا ناقصًا ولا زائدًا»[١].

٢) ونفس الأمر تكرر مع مصلح الدين مصطفى بن إسحاق تشيكرتشيا، الذي أوقف مبلغ ٣٥٠٠٠ + ٨٠٠٠ درهم في سراييفو ومدينة فيسوكو عام ٩٣٢هـ

(١) إذًا يريد تقديم المبلغ للعمل حسب القواعد الشرعية الخاصة بذلك.

ذاكرًا في وقفيته: «ويستربح المبلغ المذكور بالاسترباح الشرعي. ويرابح بالمرابحة الشرعية»[1].

٣) وقدم سنجق بك بيرم آغا، أمير لواء الهرسك عام ٩٩٠هـ لجامعه في منطقة تشاينيتشا من بين ما قدمه مبلغ ٤٤٠٠٠٠ درهم، وجاء في وقفيته الآتي: «إن شرط مقدم الوقف أن يقوم المتولي عليه بتقديم هذا المبلغ للعمل بنسبة ١٠٪ سنويًّا حسب القواعد الشرعية الخاصة بذلك»[2].

٤) قدم الحاج إسماعيل آغا بن حسين مصري عام ١١٢٨هـ لمدرسته في سراييفو ١٠٠٠ «قرش أسدي» أي ما يعادل ٢٤٠٠٠٠ درهم، وذكر في وقفيته: «يقوم المتولي على المبلغ المذكور بتقديمه للعمل «بالمعاملة» مقابل رهن قوي أو ضامن قوي أو كليهما معًا، آخذًا بالاعتبار القواعد الشرعية المنظمة لذلك وبعيدًا عن الربا والفائدة»[3].

٥) قدم الحاج مصطفى بن عثمان عام ١١٢٧هـ مبلغ ١٠٣٢٠٠ أقجه من أجل جامع الحاج علي الصغير في منطقة هريد في سراييفو، ويطلب في وقفيته: «يقوم المتولي على المبلغ بالحصول على نسبة ١٠٪ سنويًّا على العمل

(١) وهو يوضح في مكانين مختلفين أهمية مراعاة القواعد الشرعية الخاصة بذلك.

(٢) وهو يطلب الربح بنسبة ١٠٪ ولكن بطريقة المعاملة الشرعية.

(٣) يحذر من اتباع الربا والفائدة ويطالب بتطبيق القواعد الشرعية بذلك.

«بالمعاملة» بالطرق الشرعية المسموحة»[١].

٦) قدم القاضي يحيى زاد أحمد أفندي عام ١١٩٤هـ ١٠٠ قرش (٢٤٠٠٠ أقجه) لإصلاح السبيل في منطقة علي فاكوفاتس في سراييفو، وذكر في وقفيته: «يقوم المتولي على هذا المبلغ بإعطائه للعمل وذلك بنسبة ١٥٪ مراعيًا القواعد الشرعية»[٢].

وهناك الكثير من الأمثلة على هذا النوع من الوقف، ولكن من هذه الأمثلة الستة نتبين عدم صحة ما ذكره الكاتب، ويفند ادعاءه بأن الواقفين طالبوا بالحصول على الفوائد والربا على تلك الأموال. لقد ترجم المرحوم كمورا في دراسته «جوامع سراييفو» تعبيري «المعاملة والاسترباح» على أنهما ربا، وهذا خطأ، واعتذر عن ذلك لاحقًا، لأنه لم يكن يمتلك المؤهلات الشرعية التي تخوله ترجمة هذه التعبيرات.

كما ذكرنا فإن العمل «بالمعاملة» حسب رأي الفقهاء ليس تعاملاً «بالفائدة». ومع ذلك فإن «المعاملة» سببت خسارة أموال كثيرة من الوقف الإسلامي كما فعلت الفوائد فيما بعد. سنبين ما فعلته البنوك والفوائد بالأملاك الهائلة للوقف

(١) وهو يطالب بالطرق الشرعية لاستخدام المال المذكور.

(٢) يطلب تطبيق القواعد الشرعية في تقديم هذا المبلغ للمرابحين.

من خلال ذكر عدة أمثلة حصلت في آخر عشرين عامًا مضت، حيث خسر الوقف مبالغ كبيرة من الأموال.

لقد كان الفقهاء على حق عندما طالبوا بقبول وقف الأملاك الثابتة؛ لأن هذا الوقف دائم ومضمون. كما كانوا ينظرون إلى «المعاملة» بازدراء. وكتب يوسف بك جينجيتش في كتابه «عبدي» في ذلك:

علمـــاء آخـــر الزمـــان مســـألتهم هـــي زائفة
حيث قبـــلوا بالمعـــاملة فكانت هـــي الآزفـــة

وتابع الكاتب في مقاله:

«كم هو عدد العلماء الذين أخذوا مرتباتهم من أموال هذه الأوقاف؟ والذين عاشوا على تلك الفائدة ولم ينتقدهم أحد في ذلك؟».

هذا التأكيد غير صحيح؛ لأننا أثبتنا أن أموال الوقف لم يكن لها أي صلة بالربا. نحن نعرف ما هو المستحيل، وهو إعطاء أموال الوقف بالربا ودفع مرتبات العلماء والعاملين في المؤسسات الدينية من ذلك الربا. كما أننا نعرف جيدًا أن الربا محرم، وغير الصحيح أيضًا ادعاؤه بأن أحدًا لم ينتقد الربا، فلقد سمعنا من علمائنا رفضهم وانتقادهم للربا، فكل مسلم ومسلمة، صغير وكبير يعرف أن الربا محرم. من عجائب المصادفات أنه بعد نشر مقالة الكاتب في الكتاب السنوي

لجمعية «الأمل الشعبي» نشرت مقالة حول الصلاة لمحمد أفندي كريموفيتش، أمين دار الإفتاء ورئيس مجلس العلماء، جاء فيها «إذا لم تؤثر الصلاة على قلب المصلي ولم تنهه صلاته عن الحرام مثل الزنا وشرب الخمر وأخذ الربا وأكل حقوق الناس... إلخ، فلا صلاة له». أنا متأكد من أن أمين دار الإفتاء مستعد لإصدار فتوى رسمية بتحريم الربا، وأن مقالته حول الصلاة تؤكد بأنه لا يؤيد الكاتب، وأنه لا داعي لإصدار فتوى بأن الربا حرام في القرن العشرين، هو وقت غير مناسب، بالإضافة لذلك فإن هذا يدرس في الكتب المدرسية التي توضح للأجيال المسلمة تعاليم دينهم الحنيف.

ويتابع الكاتب كتابته:

«إن الكثير من موظفينا وعلماء ديننا يأخذون مرتباتهم من الوقف الإسلامي، وهم يعرفون أن جزءًا كبيرًا من تلك الأموال يأتي من الفائدة (الربا)».

إن هذا الأمر لا يؤثر على الحكم الشرعي بأن الربا محرم شرعًا. ربما يكون جزءًا من دخل الوقف الإسلامي من الفائدة، ولكن هذا لا يمثل ولا حتى نصف دخل الوقف، حتى إنه لا يمثل ولا حتى الجزء الذي يدفعونه للضرائب وغيرها من النفقات. لقد جاء في كتب الفقه شرح لموضوع قبض المرتبات التي يأتي جزء من أموالها بطرق غير شرعية(١). نحن لن نناقش ذلك الآن؛ لأن هذا الأمر ليس

(١) انظر إلى النقاش الطويل الذي جاء في «الطريقة المحمدية».

موضوع نقاشنا. الأمر الذي أريد ذكره هنا أن الكاتب لم يستطع أن يؤكد في مقاله أن أحدًا ذكر بأن العمل بالفائدة ليس محرمًا، أو أنه تمكن من تشويه صورة الموظفين ورجال الدين الذين يأخذون مرتباتهم من أموال الوقف الإسلامي الذي يأتي جزء منه من إيرادات الفائدة، فهم يحصلون على مرتبات لجهدهم وتعبهم المشروع. أما من يحبذ أو يقبل الفائدة فحسابه عند الله تعالى.

ويتابع الكاتب قوله:

«في الدولة التي يتابع فيها علماؤنا تعليمهم العالي، صدر قانون عام ١٨٩٢م بخصوص الفائدة ينص على أن جميع المواطنين سواسية فيه، حتى علماء الدين. وهذه الدولة دولة إسلامية وحاكمها مرشح ليكون الخليفة».

هذه الفقرة ضعيفة الحجة. فالحديث هنا عن دولة مصر. ويمكنها أن تصدر قانونًا بخصوص الفائدة كما أصدرت قانونًا بخصوص الحانات ودور الدعارة، ولكن هذا لا يعني أبدًا أن هذا الأمر مسموح به شرعًا. وأنا درست في الأزهر الشريف بأن الربا بجميع أشكاله محرم شرعًا. كل المجلات الدينية تكتب عن تحريم الفائدة وكل الوعاظ يتحدثون عن ذلك، والأغلبية العظمى من المواطنين المصريين يبتعدون عن التعامل بالفائدة، ويعتبرونها النار التي تأكل كل الممتلكات، وأنها من الكبائر، فلماذا يكتب هذا الكاتب أن مصر أصدرت قانونًا خاصًّا بالفائدة، وأن الكل فيه سواسية وحتى العلماء!! ماهي الصلة بين هذه

الكلمات والفائدة والربا والنصوص الشرعية الخاصة بذلك؟

ينهي الكاتب فقرته الخاصة بالربا فيقول:

«فهل من المناسب الكتابة حول هذا الأمر هنا ونحن في أطراف عالم الإسلام، حيث نعيش في معركة صعبة للحفاظ على حياتنا الاقتصادية[1]. أقول: هل الوقت مناسب للكتابة حول أمر عفَّى عليه الزمن؟ فهل النقاش حول مثل هذه الأمور غير العصرية سيكون له نتيجة أخرى غير الاستفزاز؟».

عندما كتب الكاتب هذه الكلمات كان عليه أن يفكر ماذا يمكن أن تسبب تأكيداته الخاصة بالمواضيع الدينية، وما يمكن أن تحمل في طياتها، وكان عليه قبل ذلك طلب الاستشارة قبل أن يقدم استشارته للآخرين. وليس من المناسب لكاتب بهذا المستوى الديني الرفيع أن يظهر بهذه الأفكار ويؤيد الفائدة في الوقت الذي وقع فيه قطاع البنوك بأزمة عميقة، حيث دولة راقية مثل ألمانيا تصدر قوانين

(١) يحاول الكثيرون السماح بالفائدة تحت أعذار الضرورة للحفاظ على حياتنا الاقتصادية، مستخدمين شعار «الضرورات تبيح المحظورات» وهذا جهل حقيقي بنصوص الشرع الإسلامي. ففي أصول الفقه أن «الضرورة» تعني الوضع الذي قد يودي بالحياة، ففي هذه الحالة تباح المحظورات بالحجم الذي يؤمن فيه استمرار الحياة. فمثلاً الإنسان الذي سيموت من الجوع ولا شيء يجده للأكل فيسمح له أكل المحظورات ليحافظ على حياته (انظر التعليق الذي نشر في «المجلة» حول هذا الموضوع بشكل موسع للكاتب علي حيدر، الجزء الأول، الصفحة ١٤٢). عندما نشر مقالي الخاص بالفائدة في مجلة «الهداية» وصلني بعد عدة أيام خطاب من أحد القراء لم يكتب اسمه، طرح فيه مسألتين خاصتين بالفقه لم يفهمهما، وطلب مني أن أشرحهما للعامة. فلو كان كتب اسمه لكنت أجبته خطيًّا على سؤاله.

خاصة بالفوائد تقترب فيها من مواقف الإسلام من الفائدة[1].

---

(١) يعتقد «زعيم عصرنا الديني» أن الحديث عن الفائدة المحرمة شرعًا لا حاجة له وغير مناسب ومتخلف. لنرَ ما يكتبه الكتاب المثقفون في عصرنا هذا، وهم بالطبع ليسوا مسلمين ولا رجال دين:

ذكر الكاتب الإيطالي جوفاني بابيني في كتابه «تاريخ المسيح» حول الفائدة: «من بين جميع «السرقات» المحمية قانونًا والتي تدخل تحت مسمى التجارة، لا شيء يستحق الازدراء أكثر من التجارة بالأموال. فعندما يعطينا شخص ما خروفًا مقابل المال، فإننا متأكدون أنه أخذ نقدًا أكثر من قيمة الخروف الحقيقي. ولكنه أعطانا شيئًا يعتبر شعارًا جميلاً للثراء. أعطانا حيوانًا حيًّا سيزودنا بالصوف في الربيع وسيفرحنا بخروف صغير يلده ربما نأكله إذا أردنا. ولكن عندما يتم تبادل المال بالمال، العملة بالعملة فهذا شيء غير طبيعي وعبثي وشيطاني. فكل ما يخص البنوك وأعمال الصرافة والحسابات والفوائد هو مخجل وقذر ويجمد الدم في العروق. فالفلاح الذي يحصد القمح والخياط الذي= يفصل الثوب والحائك الذي يحيك النسيج كلهم يحصلون على أجر لمجهود بذلوه ولمنتج أنتجوه، شيء ملموس فعلوه. أما الذي يحصل على تلة من المال مقابل تلة مماثلة بدون تعب وبدون إنتاج وبدون شيء ملموس، فهو شيء مرعب وفاضح جاوز كل الأعراف، شيء لا يمكن تصوره.

فالذي يتاجر بالمال ويجمع الذهب والفضة هو عبد لسحر الشيطان. ولكي يرضى عنهم الشيطان يسلمهم ويعطيهم البنوك والحسابات وإدارة الأرض. فهم حتى يومنا هذا يأمرون ويحكمون الشعوب ويسببون الحروب والمجاعات حتى يشبعوا جشعهم بنظام جهنمي لمص الدماء. يحولون حياتهم إلى ذهب وفضة من حياة الفقراء وجوعهم وعرقهم وجهدهم».

نشرت جريدة يوغسلوفنسيكي بتاريخ ١٦/١٠/١٩٣١ هذه المقالة:

إن الادخار النقدي بقيمة١ شيلينج سوف ينمو بعد ١٥٠٠ سنة ليعطي ذهبًا يتجاوز حجمه حجم الكرة الأرضية.

فيينا: إن المستشار الهندي الأستاذ ليوبلود باور أرسل إلى البنك الإنجليزي في إبريل هذا العام ١ شيلينج تساوي (٨ دنانير يوغسلافية) لادخاره بفائدة تقدر بـ ٤٪ سنويًّا. وأفاد الأستاذ في رسالته المرفقة للبنك أن هذا الأمر سيكون مربحًا للبنك لأنه لن يسحب ادخاره هذا قبل ١٥٠٠ سنة، أي عام ٣٤٣١م، وسيكون نصيبه عندئذ كما يلي:

سوف يحصل البنك على أتعاب التسجيل الشهري وحساب الفوائد وغيره ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ (أي ٢٢٠ بليون دينار). وسيقدم للملك الإنجليزي هدية متواضعة عبارة عن مكعب من الذهب بارتفاع متر. وسيشتري القارة الأمريكية بالكامل وسيعطي كل فرد عاطل عن العمل مبلغ ٢٠ جنيهًا إسترلينيًّا يوميًّا. وسوف يمول معهد الأبحاث العلمية بمبلغ مليار جنيه إسترليني. وسيدفع في عام ٣٤٣١م جميع ديون الحروب في جميع دول العالم. وسيغطي تكاليف الأمم المتحدة بشكل دائم، وسيعطي كل فرد من أحفاده مبلغ مليار جنيه إسترليني. أي أن الربا من شيلينج واحد سينمو ليشتري ذهبًا يتجاوز حجمه حجم الكرة الأرضية.

وحذر باور في كتابه «فن العمارة والرأسمالية» من أن كل دين لا يتم دفعه في أقصر وقت فإن الفائدة ستنمو إلى حد

إن الزمن لم يحل هذا الموضوع ولم تصبح الفائدة مسموحًا بها شرعًا، ولم يُمنع العلماء من تفسير التشريعات الإسلامية الخاصة بالربا، إنما بدأ الناس بارتكاب الأخطاء بحق قواعد الشرع مما تسبب في زيادة معاناتهم، وزدادت التزامات العلماء في شرح القواعد الشرعية للمواطنين لتوعيتهم وتفسير آيات القرآن الكريم لهم لتحذيرهم من نتائج أكل الربا في العالمين الدنيوي والأخروي.

فلو تم حل مسألة الربا مع الزمن، وبدأ الناس بأكل الربا بدون رادع بحيث تصبح مشروعة، فسيتم حل موضوع شرب الخمر بنفس الطريقة، فلن يتم منع بيعها وشربها، وسيشربها الكل؛ لأن الناس اليوم لا تهتم بتنفيذ القواعد الشرعية، وبنفس الفلسفة سيتم حل الكثير من القواعد الشرعية وسيصبح الممنوع والمحظور مسموحًا، وتتساقط القواعد شيئًا فشيئًا حتى يفنى الأساس وتنهار العقيدة.

أعتذر أيها السيد، فالمواضيع الإسلامية لا تسبب التخلف للمسلمين، فهي دائمًا عصرية. كما أن النقاش البنّاء المبني على البراهين والدلائل الشرعية لا يمكن أن يسبب بأي حال من الأحوال أي استفزازات بين المسلمين. إن الاستفزازات تأتي من النقاشات التي لا أساسَ دينيًّا ولا منطقيًّا لها، ويمكننا تسميتها بتعديات أو زلات.

= يدمر المُدان. وأراد بهذا الادخار في البنك الإنجليزي أن يحث العالم على التفكير بشأن الفوائد البنكية وتنظيمها على أسس واقعية.

في النهاية يختتم الكاتب بقوله:

«إذًا، إن مثلين أو ثلاثة كافية لتبين لنا الطريق الذي يجب ألا نسلكه؛ لأنه لا يتناسب مع الوضع الآني. لقد أكد الإسلام مبادئه الأساسية، فللشريعة أحكام كلية لا نستطيع ولا نريد مسها. أما بالنسبة لتفسير الأحكام الجزئية، وخاصة تلك التي تبنى على العرف، فيجب علينا متابعة تدفق ونمو الحياة بالإضافة لمتابعة الركب العلمي، وإلا فلن نكون قد وقفنا عند النقطة الميتة فحسب إنما نرجع للوراء، وأنا أقول علينا أن نسير للأمام، لا أن نرجع للخلف بخصوص هذا الموضوع».

سأكتفي هنا بالتمعن في عرض الكاتب الذي لا أساس له والذي يتضارب ويتعارض فيما بينه في كثير من الأحيان، ليتبين لكل عاقل يؤمن ويقدر القواعد الشرعية أن الطريق الذي سلكه هذا الكاتب هو الطريق الخطأ الذي يجب أن لا يسلكه المؤمن؛ لأنه لا يتناسب مع القواعد الشرعية التي تصلح لجميع العصور والأوقات. فطريقه هذا يفتح المجال لتغيير وتعديل القواعد الشرعية؛ وهذا يتعارض بشدة مع العلوم الإسلامية. لذلك لم يتمكن الكاتب من إيجاد أي دليل شرعي على آرائه هذه، إنما ذكر الاقتباسات التي تتحدث عن تغيير طرق تطبيق بعض القواعد الشرعية المتعلقة بالعرف بخصوص بعض الأمور، ثم وسعها بطريقته التحليلية الخاصة على القواعد الشرعية التي لا تبنى على

العرف، بل حتى على تلك التي لها دليل قاطع بنص القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف.

ويبدو لنا أن الكاتب لم يلم بتحليل معنى «الأحكام الكلية» و«الأحكام الجزئية». من الظاهر أنه يعتقد أن لها دليلاً واضحًا (نص) بالقرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف بإمكانية تعديلها حسب تدفق ونمو الحياة أو الركب العلمي.

ولكن كما رأينا فهذا غلط وغير صحيح. فالأحكام الكلية تبين القواعد الشرعية العامة، بغض النظر عن تطبيقها بكل حالة على حدة. إن تطبيقها على كل حالة على حدة يسمى «أحكامًا جزئية». بينما قاعدة حق المشتري بمشاهدة ما يشتريه هو حكم كلي. أما الطريقة التي سيرى فيها ما يشتريه، وكيف سيراه حسب كل حالة على حدة فهو حكم جزئي[1]. إن المجتهدين والفقهاء يعملون بشكل عام على «الأحكام الكلية»، في حين أن المفتين يعملون بشكل عام على «الأحكام الجزئية»، أي أنهم يفسرون طرق تطبيق الأحكام الكلية على حالات مختلفة. لذلك يجب على المفتي أن يلم -بالإضافة إلى القواعد الشرعية- بعادات الوسط (العُرْف)؛ لأن القواعد التي تبنى على العرف تتغير

(١) انظر تعليق «المجلة» للكاتب علي حيدر، الجزء الأول، وتعليق القواعد العامة في «المجلة» للكاتب عاطف بك، الصفحة ٤٨.

حسب العادات. إن بعض الكلمات تتغير معانيها بتغير الزمن، لذلك يجب على المفتي أخذ ذلك بالاعتبار عند إصدار فتواه. كما أن بعض التعابير تتغير معانيها من منطقة لأخرى، لذلك فإن القواعد التي تبنى على هذا الأساس تتغير أيضًا بتغير المنطقة (انظر كتاب تاريخ القضايا في الإسلام لمحمود بن محمد بن عرنوس الصفحات ١٦٣ – ١٦٥)، فكلمتي «كل» و«جزء» هما تعبيران منطقيان تم شرحهما في ذلك الكتاب.

بناء على ذلك فإن كلمات الكاتب «فللشريعة أحكام كلية لا نستطيع ولا نريد مسها» هي كلمة صحيحة لا غبار عليها، ولكنه هو يخرقها ولا يلتزم بها، لأنه تحت مفهوم «الأحكام الجزئية» يُدخل كثيرًا من «الأحكام الكلية»، بالإضافة لذلك فهو بذلك لا يكتفي بتغيير الأحكام الجزئية التي تبنى على العرف، إنما يفتح الباب واسعًا للتغيير، الذي وبدون شك يتضارب مع القواعد العامة التي تقول: «العرف لا يغير ما يعنيه الشارع». «الرأي في معرض النص غير صحيح». العادة محكمة مقيدة بما إذا لم يقع نص من الشارع»[١]. و«شرط اعتبار العرف عدم النص» (الطريقة المحمدية). و«لا مساغ للاجتهاد في مورد النص»[٢]، ومع الآيات البينات من القرآن الكريم الخاصة بالربا ومع أحاديث رسول الله ﷺ بخصوص بداية شهر رمضان المعظم.

(١) تفسير «الطريقة المحمدية» للخادمي، الجزء الثاني، الصفحة ٧٢١.

(٢) «المجلة»، مادة ١٤.

إن هذه الطريقة غير المضبوطة والجزئية في التعامل مع القواعد الشرعية تعتبر تراجعًا إلى الخلف وتأخرًا في الإيمان، ولها نتائج سيئة وشريرة في الدنيا والآخرة.

في نهاية المطاف، أردت الشرح بالتفصيل والتوجيه إلى الطريق الذي يجب أن نسير فيه عند شرح وتفسير المسائل الشرعية، وأعتقد أنني استطعت تعليل تلك المسائل، خاصة التي تخص أصول الفقه، والتي نقلتها عن أصولها باللغة العربية لتكون قريبة من كل أولئك الذين يعملون في مجال حل المسائل الدينية.

فالطريق الذي سار فيه كبار علمائنا وفقهائنا مثل الغزالي وابن رشد وغيرهما هو أفضل وآمَن طريق، ومن يعتقد أن هذا الطريق غير كاف فهو بحق يجهله.

حول «خطبة الجمعة»

منذ بدأ الحديث في البوسنة والهرسك حول أهمية ودور «الخطبة» وضرورة إعادة تنظيمها، لم يُكتب عن هذا الأمر إلا القليل اليسير. ومن خلال حديثي مع بعض الأشخاص الذين يفهمون هذا الأمر تبين لي أن هناك الكثيرين ممن يريدون أن تتطور عملية «الخطبة» وتزداد المنفعة منها. وقد وصلني بهذا الخصوص الكثير من الطلبات المكتوبة والشفهية تطالبني بتقديم مساهمتي في ذلك من خلال كتابة عدد من الخطب يلقيها بعض أئمتنا. وقررت ألا أتجاهل طلبهم هذا، وأن أكتب مقالاً أوضح فيه أهم النقاط الخاصة بفن «الخطابة». هذا المقال، وبالرغم من أنه لن يفي بالحاجة بشكل كامل، إلا أنه سيكون ذا منفعة كبيرة لعدد كبير من خطبائنا. فالخطيب الذي يسعى لمنفعة المسلمين في منطقته وتقديم الوعظ والنصح اللازمين، سينال الجزاء الحسن من الله تعالى.

إن «الخطبة» باللغة العربية تعني «الكلمة» الهادفة التي تلقى في حالات معينة. والذي يلقي هذه الكلمة يسمى «الخطيب». يجب على الخطيب أن يتمتع

بصفات معينة، أهمها «الخطَابة». إذًا فالخطبة هي إلقاء كلمة للتوصل لهدف معين لدى المستمعين.

إن الخطبة حسب القواعد الإسلامية تهدف لتعليم المسلمين شئون دينهم، ومنصوص عليها في التجمعات الكبيرة. فالرسول الكريم ﷺ كان يهدف من خلال خطبه إلى توجيه المسلمين للطريق السليم شارحًا لهم أمور دينهم. أما الخطب التي ألقاها لغير المسلمين فكان يهدف بها لجذبهم للدخول في الإسلام. وقد لاقى رسول الله ﷺ النجاح الكبير في خطبه، حيث كان بطبيعته فصيحًا وخطيبًا، ومن خلال حركاته وتصرفاته أثناء إلقاء الخطبة كان يجذب قلوب المستمعين إليه.

للخطبة أنواع، فمنها ما هي مرتبطة بوقت معين، ومنها ما هي حرة في وقتها كالوعظ الذي يمكن أن يلقى في أي وقت يراه الخطيب مناسبًا. أما الخطبة المرتبطة بوقت معين فهي مثل خطبة صلاة الجمعة، وخطبة العيد، أو خطبة الحج...إلخ. بدون شك أن خطبة صلاة الجمعة هي أكثر هذه الخطب أهمية؛ لأنها تلقى أسبوعيًّا وأمام عدد كبير من المسلمين. فصلاة الجمعة فرض عين على البالغين الأصحاء العقلاء من المسلمين، والخطبة جزء منها تمكن المسلمين من التعرف على شرائعهم، وتكمل دينهم.

إن الأجزاء الأساسية للخطب هي:

١- الحمد.

٢- الصلاة على النبي ﷺ.

٣- الوعظ وتقديم النصح للمسلمين من خلال قراءة آية قرآنية مُتضمنة لمعنى من المعاني المُفيدة، ومُؤكدة لما تضمنته الخطبة من الأحكام والمواعظ والإرشادات.

٤- الدعاء للمسلمين.

هذه هي الأجزاء الأساسية للخطبة ويمكن دائمًا أن تذكر بعض النصائح والوصايا للمسلمين الحاضرين.

ويذكر الفقهاء بعض السنن الخاصة بالخطبة:

١- أن يكون الخطيب متوضئًا للصلاة.

٢- أن يجلس على المنبر قبل الخطبة.

٣- أن يؤذن المؤذن أمامه قبل الخطبة وأن يقيم الصلاة بعدها.

٤- أن يقف على رجليه ويلتفت إلى المسلمين الحاضرين.

٥- أن يبدأ الخطبة بالحمد والثناء على الله تعالى.

٦- أن ينطق الشهادتين.

٧- أن يصلي على رسول الله ﷺ.

٨- أن ينصح ويحذر الحاضرين.

٩- أن يقرأ على الأقل آية واحدة من القرآن الكريم.

١٠- أن يقسم الخطبة إلى قسمين، أو أن يلقي خطبتين.

١١- أن يفصل بين الخطبتين بجلسة خفيفة.

١٢- أن يحمد الله تعالى ويصلي على رسوله في بداية الخطبة الثانية.

١٣- أن يدعو للمسلمين في الخطبة الثانية ويطلب الاستغفار لهم.

١٤- أن يلقي الخطبة بصوت عال بحيث يسمعه الحاضرون ويعوه.

١٥- أن لا يطيل الخطبة.

وعلى الحاضرين أن يستمعوا بانتباه للخطيب، لذلك يجب أن لا يلتهي الحاضرون بالصلاة وقت الخطبة أو أن يتحدثوا أو أن يلقوا السلام أو يردّوه. أو أن يأكل أحدهم، أو يشرب، أو أن يلعب بأي شيء يمكن أن يلهيه عن الاستماع للخطبة.

وهناك أحاديث كثيرة تؤكد ما يجب أن تحتوي عليه خطبة الجمعة، فقال -عليه الصلاة والسلام: «كل كلام لا يبدأ بالحمد فهو أجذم»، رواه أبو داود. وروى مسلم وأصحاب السنن فقالوا: «كانت صلاة النبي ﷺ قصدًا [وسطًا لا قصيرة ولا طويلة] وخطبته قصدًا يقرأ بآيات من القرآن ويذكر الناس». وفي رواية: «كان ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما هي كلمات يسيرات».

ومع أنه كان ﷺ يطيل في خطبة الجمعة أحيانًا، لكن في أغلب أحواله يعتمد التقصير، وكان يقرأ عددًا من الآيات بهدف التذكير والوعظ من غير إثقال أو إملال، وكان يقصر في خطبته أحيانًا، ويطيلها أحيانًا بحسب حاجة الناس، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة. وروى مسلم وأبو داود «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنَّةٌ من فقهه (أي علامة عليه)، فاقصروا الخطبة وأطيلوا الصلاة». وروى البخاري ومسلم قول رسول الله ﷺ: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب فقد لغوت».

وكما ذكرت فإن أحد أعمدة الخطبة الوعظ، ولكي يكون هذا الوعظ واضحًا ونافعًا للمستمعين يجب أن يكون باللغة التي تفهمها الجماعة. إن العادة عندنا وفي كثير من البلدان التي لا يفهم فيها المواطنون اللغة العربية أن تلقى الخطبة باللغة العربية، بالرغم من وجود بعض الخطباء في مناطق مختلفة من البوسنة والهرسك يلقون خطبهم بلغتنا. وسوف أعقب على ذلك لاحقًا.

يعتبر أبو حنيفة أن الخطبة صحيحة إذا ألقيت باللغات الأجنبية، أجاد الخطيب اللغة العربية أم لم يجدها. أما الإمامان الحنفيان أبو يوسف ومحمد، فيعتبران أن الخطبة باللغة الأجنبية صحيحة فقط إذا لم يجد الخطيب اللغة العربية.

ويوجد رأيان لدى الشافعية: الرأي الأول يقول إن اللغة العربية هي شرط لصحة الخطبة؛ لأنها تعتبر نوعًا من الذكر وشرط صحتها اللغة العربية. والرأي

الثاني يقول بأنه من المستحب أن تكون الخطبة باللغة العربية، ويمكن أن تكون بلغة أخرى لأن الهدف منها هو تقديم النصح، ويمكن أن يكون النص بلغة غير العربية. ويعلل بعض العلماء الشافعية ذلك بأنه إذا لم يجد المسلمون اللغة العربية فيمكن للخطيب أن يخطب بلغتهم.

ويعتبر المالكية أن اللغة العربية شرط لصحة الخطبة، وإذا لم يوجد في قوم من يجيد الخطبة باللغة العربية فتسقط الجمعة عنهم.

أما الحنابلة فيؤيدون رأي الإمامين الحنفيين أبي يوسف ومحمد. وجاء في كتاب «غاية المقصود في حل سنن أبي داود» أن الخطيب ملزم بقراءة شيء من القرآن الكريم وبأن ينصح الحاضرين. وإذا كان الحاضرون من غير العرب فهو ملزم بترجمة وتفسير ما قاله بلغتهم؛ لأن المنفعة والفائدة من الخطبة تصل فقط في حال فهمها، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم/ ٤]. ولقد أُرسل رسول الله للناس كافة، للعرب والعجم، ولكن من الأفضل بالطبع أن تكون الخطبة بلغة القوم الذين ينتمي إليهم الرسول الكريم ﷺ، ويمكن بعدها أن تُترجم وتُفسر.

عندما كنت في القاهرة لاحظت أن الكثيرين من الخطباء بعد الانتهاء من الصلاة كانوا يشرحون للحاضرين محتوى الخطبة، حيث إن الكثيرين من الحضور كانوا لا يفهمون معاني اللغة العربية الفصحى التي كان الخطباء

يلقون بها خطبهم، فكانوا يشرحون هذه الخطب بشكل أوسع وأبسط للعامة، وكان الحاضرون يطرحون أسئلة كثيرة على الخطباء حول التعاليم الدينية التي تضمنتها الخطبة، ويرد عليهم الخطباء بشكل مبسط وموسع.

أما في تركيا فكان الخطباء قبل الحكم الأتاتوركي يترجمون الخطبة إلى اللغة التركية، أي الجزء الذي يخص الموعظة. ولا أريد أن أذكر الإصلاحات الأتاتوركية هنا لأنها أصلاً لم تهتم بالقواعد والشرائع الدينية.

وإذا نظرنا إلى التاريخ الإسلامي أيام حكم الموحدين في شمال إفريقيا وخاصة في جامع القيروان في مدينة فاس، فقد كانت الخطبة باللغة البربرية. ذكر ابن القاضي في كتابه «تاريخ فاس» أن الموحدين عندما دخلوا فاس أقالوا الخطيب القديم وعينوا أبا الحسن ابن عطية خطيبًا فيها؛ لأنه كان يجيد اللغة البربرية، وكان يلقي الخطب باللغة البربرية.

بناء على ما عُرض فإننا نستنتج أن: الحمد والثناء على الله تعالى والصلوات على رسوله ﷺ والدعاء يجب أن تظل عندنا باللغة العربية. أما النصح والوعظ والتحذير فيجب أن تكون بلغة الجماعة، لكي نحصل على المنفعة المنشودة من الخطبة، وهذا يتناسب مع القواعد الشرعية ومع آراء الكثيرين من الفقهاء والعلماء، لذلك يجب أن نتجاهل العديد من الشكاوى والاعتراضات.

إن جميع الرسل والأنبياء - عليهم السلام- كانوا فصحاء وخطباء، فنبي الله موسى عليه السلام دعا ربه - جل وعلا - فقال: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي. يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه/ ٢٧-٢٨]، وكان هارون عليه السلام فصيحًا، فدعا موسى عليه السلام ربه فقال: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص/ ٣٤]. وكان نبي الله شعيب عليه السلام فصيحًا، وكان يُسمى «خطيب الأنبياء». وأما نبينا محمد ﷺ فكان فصيحًا بينًا، وكان الكثيرون من أصحابه فصحاء، خاصة الصحابي ثابت بن قيس بن شمس، وقد سموه «خطيب النبي» و«خطيب الأنصار». وكان الخلفاء الراشدون الأربعة من الخطباء الفصحاء. وقد حفظ الكثير من خطبهم لتصبح أقوالاً مأثورة يقتدى بها.

في صدر الإسلام كان الخليفة هو الذي يلقي خطبة الجمعة وخطب الأعياد، كما كان يفعل رسول الله ﷺ. وبعد توسع الدولة الإسلامية قام الخلفاء بتعيين الخطباء، مما يعطي هذه المهمة أهمية خاصة في الإسلام.

لقد كان رسول الله ﷺ يلقي الخطب واقفًا على التلال، ثم كان يقف على جذع شجرة. وفي السنة السابعة أو الثامنة للهجرة أمر بصنع المنبر الذي تألف من ثلاث درجات. وقد بقي هذا المنبر حتى خلافة مروان بن معاوية الذي رفعه ليصبح مؤلفًا من ست درجات.

وعندما كان الرسول ﷺ يلقي خطبه في رحلاته، مثل خطبة الحج مثلاً، كان غالبًا ما يلقيها راكبًا على راحلته، أو واقفًا ومتوكئًا على عصًا أو قوس- عليه الصلاة السلام.

لقد كانت خطب رسول الله ﷺ راهنة، أي كان يخطب بما يخص اللحظة أو الحدث، وكانت خطبه بشكل عام ذات طابع ديني، وتهدف لتفسير وشرح أسس الإسلام وشرائعه. وكان يذكر الجنة والنار وحياة البرزخ والتقوى وكان يحذر الناس من غضب الله تعالى ويحثهم على ترك المعاصي والذنوب، وعن جابر رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه كأنه منذر جيش، يقول صبحكم ومساكم.

وعندما كان يريد عليه السلام أن يلقي خطبة بخلاف خطبة الجمعة كان يأمر أحد الصحابة ليدعو الناس. وعندما كان يلقي الخطبة في جمع عظيم كان يأمر من يمتلك صوتًا قويًّا أن يردد كلماته لكي يسمعه جميع الحاضرين.

لقد كانت أول خطبة جمعة له بعد هجرته إلى المدينة. فعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة نزل في منطقة قباء على مشارف المدينة المنورة، وذلك في يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول. وبقي هناك حتى يوم الجمعة وأسس جامعًا هو أول جامع في الإسلام. وفي يوم الجمعة انطلق رسول الله ﷺ إلى المدينة

المنورة، فدخلها وقت الظهر وهو في مكان لبني سالم وكانوا قد بنوا مسجدًا فصلى فيه الرسول الكريم وألقى فيه أول خطبة جمعة.

لقد ذكرت كيف كانت خطب رسول الله ﷺ وذكرت أجزاءها، ولكن أُدخلت تعديلات كثيرة على شكل الخطبة في فترات لاحقة سميت «بالبدع»، فذكر منها أبو شامة في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»: أن يصعد الخطيب ببطء وهدوء على المنبر، وأن يرفع صوته عند بعض أجزاء الخطبة وأن يخفضه عند بعضها الأخرى، وأن يرفعوا أيديهم عند الدعاء... إلخ. يذكر ابن القيم بعض البدع في الخطبة، ومنها أن يردد المؤذن الصلوات عندما يصعد الخطيب إلى المنبر وغيرها من البدع مثل رفع المؤذن صوته بقوله ﷻ عندما يذكر الخطيب الصحابة الكرام. فعلى الحاضرين أن ينصتوا للخطبة، لا أن يرفعوا أصواتهم حتى لو كان ذلك بالتهليل وغيره.

وهناك الكثير من العيوب في الخطب عندنا، فمثلاً يصعد الخطيب عندنا ببطء على المنبر، وقبل ذلك يقرأ المؤذن الصلوات وغيرها من البدع. وبعض الخطباء يحاولون إلقاء خطبهم بطريقة موسيقية. وهناك عادة أخرى وهي عندما يبدأ الخطيب في الخطبة الثانية يبدأ بصوت منخفض بقوله «الحمد لله حمد الكاملين»، ويستمر ليصل إلى كلمة «تعظيمًا لنبيه» عندها يرفع صوته بقوة.. وغير ذلك من البدع. والأعظم من هذا كله أن أكثر هذه الخطب فارغة المضمون بدون

أي هدف أو نصح أو تحذير، فأكبر هم للخطيب أن يذكر في أي شهر يقعون مثلاً كقوله «اعلموا أن شهركم هذا شهر جمادى الأول ....»، وكأن الهم الوحيد للمسلمين هو معرفة الشهر الذي هم فيه وذكر فضائله، والشيء المثير حقًّا أنهم عندما يذكرون أسماء الأشهر يصفونها جميعًا بأنها أهم وأفضل الأشهر، في حين تخلو الخطب من الوعظ والتوعية والشرح والتفسير وإعطاء النصائح.

إن أفضل الخطب تلك التي تناسب المكان والزمان والحدث، فمثلاً الخطب في شهر رمضان المبارك يجب أن تذكر فضائل الصوم وأهميته وأجره، وأيضًا ذكر عيد الفطر والصدقات وزكاة الفطر وأهميتها في توحيد الصف وجمع كلمة المسلمين والتضامن. وعلى الخطيب توضيح أهمية التعليم واتباع العلوم وأهمية حسن التربية ورعاية الأطفال...إلخ. وعلى الخطيب الاعتناء بالجماعة فيتابع ما حصل في منطقته خلال الأسبوع، وأن يذكر ذلك إذا دعت الحاجة لتقديم النصح أو التحذير. وحينما كان الخطباء علماء كان للخطب منفعة ومصلحة، ثم بدأت الخطب تتراجع وتولاها أناس لا يفهمون الحاجة إليها وأهميتها، أو تحولت الخطب إلى خطب تصوف تتكرر فيها عبارات مثل «لمن تقتني الدنيا وأنت تموت، ولمن تبتني العلياء والمقابر بيوت» وغيرها من العبارات التي تقتل الحياة والفهم لدى المستمعين وتودي بهم إلى الغم والسقوط والإحباط.

إن شروط وصفات الخطيب الحسن هي:

١) أن يلم بقيم الإيمان الصحيحة بحيث لا يضلّل المسلمين لجهله.

٢) أن يلم بالقيم الفقهية كي يستطيع تحذير المسلمين من جميع الأخطاء التي يقعون فيها من الناحية الفقهية.

٣) أن يجيد اللغة التي يخطب بها بحيث يجذب المستمعين إليه وينال اهتمامهم.

٤) أن يكون حاد الفكر لماحًا بحيث يستطيع فهم المشاكل التي تعترض الجماعة الإسلامية التي يخطب فيها لإيجاد الحلول الشرعية المناسبة لهم.

٥) أن يكون فصيحًا بحيث يستطيع أن يُفهم المستمعين له ما يريد.

٦) أن يكون محترمًا وصادقًا وأمينًا لدى المسلمين بحيث تؤثر الخطبة فيهم.

٧) أن يكون تقيًّا ورعًا يحترم الشرائع الإسلامية وأن يطبقها على نفسه أولاً.

لقد ذكرت سابقًا أن العادة في القاهرة أن يقوم الخطباء بعد الانتهاء من أداء صلاة الجمعة أن يتحدثوا إلى المسلمين ويشرحوا لهم مضمون الخطبة بالتفصيل، ويعتقد البعض أننا نستطيع أن نفعل الشيء نفسه عندنا، بحيث نخطب باللغة العربية وبعد انتهاء الصلاة يقوم الخطباء بشرح الخطبة بلغتنا. أنا أعتقد أن هذا الرأي غير صائب؛ لأن أكثر المصلين يغادرون الجوامع بعد انتهاء الصلاة، وبذلك نفقد الفرصة التي يكون فيها جميع المصلين مجتمعين ومنتبهين للخطباء

ويستمعون للوعظ. ولكي نتمكن من تحقيق أكبر نفع وفائدة من هذه الخطب، نجد أن الحاجة ماسة لكتابة مجموعة من الخطب بمحتواها من النصائح والوعظ باللغة الأم للمواطنين، يستطيع الأئمة الاسترشاد بها عند إلقائهم الخطب.

هذا مثال على شكل الخطبة. يصعد الخطيب المنبر، ويؤذن المؤذن الأذان الثاني، ويقف الخطيب ويبدأ خطبته باللغة العربية:

الحمد لله رب العالمين، نستعينه ونستغفره، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت لنا ولجميع المؤمنين. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا، لينذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين. صلى الله تعالى عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الكرام الهداة المهتدين، وسلم تسليمًا كثيرًا. نسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويتجنب سخطه. اللهم لا تجعلنا بدعائك أشقياء وكن بنا رءوفًا رحيمًا يا خير المسئولين ويا خير المعطين.

إن هذه المقدمة مأخوذة من خطب رسول الله ﷺ، لذلك فإن لهذه الكلمات أولوية، ويمكن للخطيب أن يستخدم هذه الكلمات في بداية كل خطبة، ويمكنه أن يستخدم غيرها من الكلمات بناء على رغبته. تشمل هذه المقدمة

حمدًا لله وكلمتي الشهادة والصلوات على رسول الله ﷺ وعلى آله وأهل بيته وأصحابه والدعاء للحاضرين من المسلمين ولعامتهم.

بعد المقدمة يجب أن تشمل الخطبة على الوعظ والنصح للمسلمين بلغة الأمة والجماعة. ويجب أن يشتمل الوعظ أساسًا على آية قرآنية أو حديث نبوي شريف. وبعد النصح يجلس الخطيب قليلاً، ثم يقف ليدخل في الخطبة الثانية وتكون باللغة العربية، ويمكن أن تكون على هذه الشاكلة:

«الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا ولله الحمد خير أمة، وبعث فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة. والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل للعالمين رحمة. الذي بين ما أنزل إليه وأوضح لنا كل الأمور المهمة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تكون لنا نورًا من كل ظلمة، وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد فيا عباد الله اتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون. واعلموا أن الله صلى على نبيه قديمًا وأمركم بذلك، فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

«اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميع مجيب الدعوات يا أرحم الراحمين. اللهم أصلح أحوالنا وأحسن أعمالنا وبلغنا مما يرضيك آمالنا. وول أمورنا خيارنا ولا تول أمورنا شرارنا. ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا وكن لنا ولا تكن علينا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا وسائر بلاد المسلمين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾».

ثم يقف الخطيب متجهًا نحو المؤمنين، ويدعو لهم بدون أن يرفع يديه كما هي العادة عند الدعاء.

سأذكر بعض أمثلة الوعظ والنصح التي يجب أن تذكر في الخطب:

١) الإحسان وبر الوالدين: أيها الإخوة المؤمنون!

إن أول واجب لنا بعد الإيمان بالله - جل وعلا - وطاعته هو بر الوالدين وطاعتهما بالمعروف. فهم تعبوا لراحتنا وسهروا لإسعادنا وربونا أحسن التربية، لذلك فقد أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم بطاعة الوالدين، فغضب الله تعالى من غضبهما ورضاه من رضاهما، يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ

وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء/ ٢٣]. وقال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى يا رسول الله. فقال الإشراك بالله وعقوق الوالدين- وكان متكئًا فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور». صدق رسول الله. وسأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ ما أحب الأعمال إلى الله، فقال - عليه الصلاة والسلام: الصلاة على وقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله.

٢) الأخوة والتوافق: أيها الإخوة المؤمنون

إن أهم شيء في مجتمعنا هذا الأخوة والتضامن والتوافق، فبدون الأخوة والتحابب لا يمكننا تحقيق التقدم. فجميع المسلمين أينما كانوا ومن أي عرق ولون كانوا هم إخوة بالإيمان والعقيدة، وعليهم أن يعيشوا في توافق وتحابب، فقال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات/ ١٠]. ونحن ملزمون بأن نعيش في تضامن فلا تفكك وخلاف بين المؤمنين، فدين الإسلام يمحو كل خلاف وفرق. يقول تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران/ ١٠٣]. ويقول رسول الحق ﷺ «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا».

فالتفرقة تضعفنا ونحن كالجسم الواحد. يقول رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا»، فعلينا أن نحافظ على وحدتنا وتماسكنا، وأن ندافع وننصر بعضنا بعضًا كما أمرنا رسول الله ﷺ.

٣) واجب المسلم تجاه أخيه المسلم

أيها المؤمنون الكرام

لم يخلق الله - جل وعلا - الإنسان ليكون منعزلاً وغير متفاعل، بل ليكون فعالاً نشيطًا بنَّاءً، فعليه في البداية بناء أسرته وتربية أولاده، وأن يطيع والديه ويخدم أسرته وأقرباءه، ومن واجبات المسلم رعاية وحماية أخيه المسلم، فيقول تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[التوبة/ ٧١]، ومن مهام المسلم أن يصلح بين المسلمين وأن يعدل في ذلك، يقول تعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات/ ٩].

ويقول رسول الله ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فَشَمِّتْه، وإذا مرض فَعُدْه، وإذا مات فاتبعه». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع

له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة. رواه البخاري ومسلم. نرى من هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة أن من واجب المسلم أن لا ينسى أخاه المسلم، وأن يساعده ويدافع عنه، وإذا أردنا أن نكون سعداء في حياتنا فعلينا تطبيق تعاليم ديننا.

سنكتفي بهذه الأمثلة الثلاثة على الوعظ والنصيحة، ويمكن القياس عليها في مواضيع أخرى نافعة للأمة وللأسرة وللإنسان. وكلي ثقة بأن السادة الخطباء قادرون على اختيار المواضيع التي تنفع المسلمين.

۞ تجـديد الإسـلام
(تعليق على حديث شريف)

خلال إلقائي إحدى المحاضرات، سألني أحد المستمعين حول حديث شريف لرسول الله ﷺ جاء فيه أن الله تعالى «يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدّد لها دينها». وقد أجبته وقتها بشكل مقتضب على سؤاله. لكن البعض طلب مني أن أفسّر هذا الحديث بشكل مستفيض باعتباره دليلاً هامًّا على قوة الإسلام الحنيف في البقاء عبر الدهر. وقد وعدتهم بفعل ذلك في أول فرصة مناسبة، ومحاضرتي هذه هي تنفيذ لهذا الوعد.

* * *

إن الإسلام دين مليء بالقوة والحياة، يضمن لأتباعه السعادة والتقدم في جميع العصور. إن الضعف يأتي من جهل أتباعه به ومن عدم تنفيذهم لتعاليمه، وبسبب إقحامهم به أشياء لا تمت له بصلة وتشوه صورته في أعين البشر، مما يسبب ضعفًا في الإيمان الذي يعتبر محركًا للقوة والطاقة الروحية.

إن الله تعالى أرسل رسوله الكريم بدين الإسلام كاملاً وتامًّا ولم يترك أي ثغرة أو نقص فيه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة/ ٣]، وقد أبلغنا

في كتابه الكريم أنه سيحافظ على دينه ويحميه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر/ ٩]، وأنه مجدده بعد كل وهن يصيب أتباعه، من خلال تسخير عباده الصالحين لنشر علوم دينه الحنيف السمح وتجديد تعاليم القرآن وسنة رسوله الكريم، بحيث يميزون كل ما هو حنيف وحق عن البدع المختلفة والعادات السيئة المنسوبة إليه، مُعيدين للدين شكله الحقيقي وإشراقه الرباني، ويحيون في قلوب عباده الإيمان، ويعيدون لهم السعادة لتكون كلمة الله هي العليا.

وحسب رأي جميع أصدقاء الإسلام الصادقين فإن التجديد في الإسلام لا يمكن أن يكون بالإضافة والتغيير على عكس الديانات الأخرى؛ لأن الإسلام كامل ومثالي، وإن طريق التجديد فيه يعني العودة إلى مبادئه الحنيفة وتنفيذ أوامره السمحة، مبتعدين عن كل ما يشوبه من عادات وتقاليد منسوبة إليه عنوة، وهنا تكمن قوته وصدقه وحقيقته. أما أتباع الديانات الأخرى فهم يجددون دياناتهم من خلال التغيير والإضافة حسب أهوائهم، وما يتطلبه عصرهم؛ لأنهم يعتقدون أن بعض أمور دينهم قد تقادمت مع الزمن وأصبحت تعيق تقدم أتباعه.

لقد ذكر رسول الله ﷺ أن تجديد الإسلام يأتي كل مئة سنة من خلال أناس صالحين يسخرهم الله – جل وعلا – لهذا الهدف، هذا الحديث معروف لدى علماء الدين تحت عنوان «حديث المجددين»، وقد ذكره أبو داود في سننه في «كتاب الملاحم– باب ما يذكر في قرن المائة»: حدثنا سليمان بن داود المهري

أخبرنا ابن وهب أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري عن أبي علقمة عن أبي هريرة، فيما أعلم، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، ثم قال الإمام أبو داود: «رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يجز به شراحيل». وقد ذكر هذا الحديث أيضًا الحاكم في كتابه «المستدرك» الذي جمع فيه الأحاديث الصحيحة التي لم يذكرها البخاري ومسلم. وقد ذكره أيضًا البيهقي في السنن. إلا أن هناك اعتراضًا بسيطًا من الناحية العلمية على هذا الحديث ألمح إليه أبو داود في سننه. ومع ذلك فقد قال العالم القدير جلال الدين السيوطي بأن حفاظ الحديث اتفقوا على أن هذا الحديث صحيح، ويذكر السيوطي منهم أبا فضل العراقي وتلميذه ابن حجر العسقلاني، ويذكر من بين علماء الحديث الذين نقلوه الحاكم والبيهقي. في «المستدرك» للحاكم لا توجد تأكيدات صريحة عليه، فهو يذكره ويسكت عنه، كما فعل الحافظ الذهبي في كتابه «تلخيص المستدرك». وذكر المناوي في كتابه شرح «الجامع الصغير» بأن هذا الحديث صحيح.

يُقصد من جملة «إن الله يبعث» أي أن البعث هو رحمة من الله تعالى بهدف الحفاظ على الإيمان، فقد أرسل رسله جميعًا لهداية البشر للإيمان، وهذا يوافق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر/ ٩]، و﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ

دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣]. كما يُفهم من هذه الجملة أيضًا بأن مهمة المجددين تشبه مهمة الرسل الذين بعثهم الله تعالى، وهذا يوافق الأثر: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل».

إن كلمة «بعث» في اللغة العربية تعني «إحياء»، إذًا فإن بعث المجددين يُعطي الإيمان قوة روحانية جديدة تعيد إليه إشراقه أي «إحياءه».

إن هذه الصفة أُعطيت لأتباع محمد - عليه الصلاة والسلام- ولم تعط لأتباع أي من الرسل السابقين، وهي دليل على أن محمدًا - عليه الصلاة والسلام- هو خاتم الأنبياء، وأن دينه هو الدين الكامل المثالي ولا يحتاج بعده لأنبياء جدد، إنما يُسخِّر الله تعالى مجددين لإعادة الناس إلى الطريق الصحيح والدين الحنيف.

أما معنى «على رأس مائة سنة» فقد اختلف العلماء في تحديدها وموعد بدايتها. فقد ذكر الإمام القامي بأن رأس المائة سنة تبدأ من الهجرة. أما الإمام المانوي فقد فسر هذا الحديث على أن بداية المائة سنة تُحسب من تاريخ ولادة رسول الله ﷺ أو من بداية الدعوة أو من تاريخ الهجرة أو من تاريخ وفاته - عليه الصلاة والسلام، ولكن الأغلب هو من تاريخ بداية الدعوة. ولكن أغلب العلماء الذين بحثوا في تفسير هذا الحديث يعتقدون أن بداية الحساب تكون من تاريخ

الهجرة. ويضيفون أنه يجب على هذا المجدد أن يتوفى في السنوات القليلة بعد مرور القرن الهجري، ولكن الواقع يقتضي أن يكون الأنسب أن يبدأ تجديده مع بداية كل قرن هجري جديد؛ لأن هذا أنسب لكلمة «يبعث». من خلال ما عرض فإننا نؤيد رأي أغلب العلماء بخصوص التاريخ، وهو الرأي الذي يبين أن معنى الحديث هو عدم مرور قرن إلا وبعث الله تعالى من يجدد لأتباع الإسلام دينهم ويجدد لهم إيمانهم، ولكن يجب أن لا نفهم هذا حرفيًّا مع بداية كل قرن.

كما أن للعلماء آراء مختلفة حول تفسير كلمة «يجدد»، فأغلبهم يعتقدون أن المجدد هو شخص واحد، لذلك يذكرون مع بداية كل قرن شخصية مرموقة تقدم خدمات كثيرة للإسلام وتترك آثارًا كثيرة لأعمالها. أما البعض الآخر فهم يعتقدون بعدم وجود ضرورة لكون المجدد شخصًا واحدًا، إنما يمكن أن يكون مجموعة من الأفراد، ومن غير الضروري أيضًا أن يكون في فترة معينة أو في مكان واحد، إنما يمكن أن يكون المجددون موزعين في جميع أرجاء الأمة الإسلامية، أي في جميع البلاد الإسلامية، ولكن هذا لا يمنع من وجود مجدد قوي يُحيي الإسلام ويجدده لدى جميع المسلمين. وبناء على ذلك فإن المجددين هم الذين سيبقون على الحق إلى أن تقوم الساعة كما قال عنهم رسول الله ﷺ في حديث صحيح آخر. هناك بعض المحدثين الذين ركزوا على ضرورة كون المجددين من أهل البيت، أي من أحفاد رسول الله ﷺ، وهذا الرأي يكتسب

الصبغة «الشيعية». وهناك بعض العلماء ممن يقولون إن المقصود بأهل البيت الصبغة الروحية لأحفاد رسول الله لا الصبغة الوراثية، كما قال رسول الله ﷺ عن سلمان الفارسي عندما قال «سلمان منا آل البيت».

للوهلة الأولى يعتقد الفرد أن معنى التجديد واضح، ولكن إذا تمعن فيه يرى أنه ليس بهذه البساطة. فالكثيرون من علماء المسلمين يعتبرون أن طريق التجديد هو العلوم، لذلك يرون أن الشخصيات التي تعتبر من المجددين متفوقون في العلوم، سواء يتحدثون عن فرد واحد أو جماعة. في حين أن عددًا آخر من العلماء لا يعتبرون التفوق في العلوم هو طريق التجديد إنما يمكن للمجدد أن يكون رجلاً ورعًا أو بطلاً أو مخططًا إستراتيجيًّا أو قانونيًّا أو يجيد علم الحديث أو مفسرًا للقرآن الكريم، أو داعية أو محاربًا ضد الشر والظلم أو أن يكون صوفيًّا ... إلخ.

إن الذين يعتقدون أن صفة المجدد الأساسية هي العلوم ويذكرون أسماء المجددين في كل قرن من الفقهاء أو علماء المذاهب، كالشافعية الذين يذكرون أسماء علماء المذهب الشافعي والأحناف الذين يذكرون أسماء علماء المذهب الحنفي، وهكذا دواليك. لكن هذا الرأي خاطئ بسبب تعدد المذاهب وتعصب أتباع كل مذهب لعلمائهم. في حين أن البعض الآخر وبالرغم من احترامهم لكون أن الصفة الأساسية للمجدد هي العلوم إلا أنهم لا يربطونه بمذهب معين

أو بفرع من فروع العلوم الإسلامية، بل يعتقدون أن المجددين لا يختصون بنوع من أنواع العلوم أو مذهب من المذاهب.

هناك وجه سلبي لانتشار العلوم سابقًا في العالم الإسلامي، حيث يُلاحظ أن العلوم انتشرت في إطار ضيق وفي دائرة مغلقة. فمثلاً نرى في بغداد أو أي مركز آخر من المراكز الإسلامية العلمية تركز عدد كبير من الطاقات العلمية الكبيرة من مختلف فروع العلم، في حين نرى في محيطهم القريب انتشار الجهل وعدم المعرفة في شريحة واسعة من السكان.

وإذا نظرنا بعمق نرى أن العوامل الرئيسية التي تؤثر على إحياء الدين وخلق طاقات جديدة في الأجيال هي العلوم النافعة والنظام الجيد والسلطات الإسلامية العادلة والمحترمة، فبدون العلوم النافعة لا يمكن خلق نظام جيد ولا سلطة إسلامية عادلة ومحترمة. إذًا فبالرغم من أن العلوم النافعة ليست العامل الوحيد للتجديد، إلا أنها العامل الأساسي في التجديد. فكل تجديد بدون علوم وبدون معرفة حقيقية بمنابع الإسلام: (القرآن الكريم والسنة الشريفة) يؤدي إلى الهلاك والانحطاط. والتاريخ يقدم لنا أمثلة واضحة. إن نقص المعرفة العميقة في المذهب الوهابي منعته من تحقيق النجاح المتوقع منه. فنقص العلوم النافعة الصحيحة ونقص المعرفة لدى أتباع هذا المذهب سبب في تكفيرهم باقي المسلمين؛ وبذلك بدؤوا بتقطيع الرابطة القوية بين الأخوة الإسلامية.

وبسبب كثرة عدد العلماء المسلمين وبسبب تعدد المجموعات في القرون المختلفة التي يمكننا وصفهم بالمجددين، سأكتفي بذكر شخصية أو أكثر من كل قرن تم وصفها بأنها من المجددين.

في القرن الأول: يتفق جميع المؤرخين على أن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي كان في نهاية القرن الأول الهجري (من عام ٩٩ إلى عام ١٠١هـ) هو المجدد لذلك القرن. فهو الذي جدد نور الإسلام الذي كان قد خفت في كثير من المجالات، فخدماته جليلة في حقول العلوم الإسلامية المختلفة. فكما كان للخليفة عثمان رضي الله عنه دور كبير في تشكيل لجنة كتابة القرآن الكريم في عدة نسخ وإرسالها لمدن مختلفة في الدولة الإسلامية الواسعة الأطراف في عهده لتكون دليلاً للمسلمين لمنع حدوث اختلاف في قراءة نص القرآن الكريم، كان للخليفة عمر بن عبد العزيز دور كبير عندما أمر في العام ١٠٠هـ علماء المسلمين بجمع حديث رسول الله ﷺ. حيث كتب للعالم الكبير أبي عمر ابن حزم لحثه على ذلك. وقد استجاب العلماء لطلبه وكان في مقدمتهم العالم ابن شهاب الزهري، ولولا خطوته هذه لما تمكن العلماء لاحقًا من التمكن من جمع أحاديث رسول الله ﷺ، وتمييز الصحيح من الزائف. ويعتبر عمله وتصرفاته تلك إلهامًا من الله لحماية منابع الإسلام. أما خدماته الخاصة في تحديث وتنظيم دولة الإسلام وعدله بين المواطنين فقد كانت عظيمة، فبالرغم من المعارضة الشديدة فقد أزال جميع التجاوزات التي كان يقوم بها أفراد أسرته الحاكمة، مما كلفه حياته حيث تم

دس السم له من قبل أقاربه المقربين. كما أنه منع سب الصحابة الكرام في خطب الجمعة وخاصة خليفة رسول الله ﷺ عليًّا - كرم الله وجهه- الذي كان يُسَب بسبب الخلافات السياسية بينه وبين الأمويين، مما جعله يرقى على الخلافات الشخصية والانتقام، ويطبق قواعد القرآن الكريم في الأخوة في الإسلام. وعندما توفي الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يقدم جليل الخدمات للأمويين، سجد الخليفة عمر بن عبد العزيز حمدًا لله على ذلك.

كما يذكر المؤرخون علماء مجددين آخرين في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز مثل الفقهاء محمد الباقر وقاسم بن محمد وسليم بن عبد الله والحسن البصري وابن سيرين والمحدث ابن شهاب الزهري.

في القرن الثاني: من المجددين في نهاية القرن الثاني الإمام الشافعي الذي له جليل الفضل في علوم الدين، فكتبه وضعت أسس الفقه الإسلامي. الفرق بينه وبين عمر بن عبد العزيز كبير، فهذا العالم الجليل تميز في الفقه الإسلامي فقط ولم يكن له تأثير في الإدارة أو الجهاد. كما يذكر المؤرخون الخليفة المأمون، والعالم الحنفي الحسن بن زياد والعالم المالكي الأشهب والعالم الشيعي علي بن موسى الرضا والمحدث يحيى بن معين والصوفي الكبير والورع معروف الكرخي.

في القرن الثالث: يذكر المؤرخون العالم الشافعي ابن سريج، ولكن على الرغم من أن خدماته كبيرة في الفقه الشافعي إلا أن الكثيرين يعتبرونه من المجددين

الكبار في القرن الثالث. وبالإضافة إليه يذكرون العالم الحنفي الطحاوي والعالم الحنبلي أبا بكر الخلال والمُحدّث النسائي وأبا الحسن الأشعري، ونرى أن أبا الحسن الأشعري هو الذي يتميز بينهم؛ لأنه كان من كبار أئمة أهل السنة.

في القرن الرابع: يذكر المؤرخون من العلماء الشافعية أبا حامد الإسفراييني وسهل بن أبي سهل السلوقي، ومن كبار الخطباء مثل أبي بكر الباقلاني وابن فريق ومن المحدثين مثل الحاكم النيسابوري وأبا إسحاق الشيرازي وغيرهم.

في القرن الخامس: يذكر المؤرخون الإمام الغزالي، حيث إن للغزالي الفضل في الدفاع عن العلوم الإسلامية ومحاربة الكثير من الأفكار الفلسفية التي لا أساس لها في الإسلام. فأثره في الإسلام كبير وهو الذي حقق تحولاً في العلوم الإسلامية، ونحتاج اليوم لغزالي جديد لإصلاح الوضع الراهن عند المسلمين.

في القرن السادس: يذكر المؤرخون الفيلسوف والخطيب الكبير فخر الدين الرازي والإمام النووي وغيرهما.

في القرن السابع: يتفق الجميع على قاضي قضاة المسملين في العصر المملوكي ابن دقيق العيد.

في القرن الثامن: يُذكر بشكل خاص كل من سراج الدين البلقيني وأبي الفضل العراقي، وغيرهما.

في القرن التاسع: يخص بالذكر جلال الدين السيوطي وزكريا الأنصاري. الجدير بالذكر أن جلال الدين السيوطي ذكر نفسه في قصيدة عن المجددين سماها «تحفة المهتدين بأخبار المجددين» فقال:

وهـــــذه تاسـعة المئـــين قــد أتت ولا يخلف ما الهـــادي وعد

وقد رجـــوت أنني المجــــدد فيـــها ففضـــل الله ليس يجحد

وقد دلّ على هذا الأمر في بداية كلماته ومدخله في «الجامع الصغير»، لذلك قامت القيامة ضده مما اضطره إلى الانزواء والعزلة في بيته في روضة المقياس في القاهرة وتفرغ للكتابة. وناقش وضعه هذا بشكل موسع المناوي في شرحه «للجامع الصغير».

في القرن العاشر: ذكر في هذا القرن شمس الدين الرملي وغيره.

في القرن الحادي عشر: يُذكر الزرقاني الذي كتب العديد من المؤلفات الهامة.

في القرن الثاني عشر: يُذكر محمد بن إسماعيل الأمير من صنعاء والشوكاني ومرتضى الزبيدي وغيرهم.

في القرن الثالث عشر: يذكر المؤرخون صدّيق خان.

في القرن الرابع عشر: يذكر المؤرخون مفتي الديار المصرية محمد عبده.

لقد ذكرت هذه الشخصيات كأمثلة على المجددين دون أن أدخل في تفاصيل كل شخصية على حدة. أهم ما في هذا الحديث الشريف هو أن الإسلام سيتمكن من خلال قوته الذاتية بعد كل ضعف من تجديد قوته والاستمرار كذلك حتى يوم القيامة، ولن تتمكن منه الهجمات الآتية عليه، ولن تقضي على أفكاره السامية.

إن المؤرخين المسلمين الذين ذكروا المجددين عبر القرون وذلك من خلال مساهماتهم في إحياء الإسلام مع بداية كل قرن هجري، لم يتمكنوا من ذكر جميع المجددين الذين ساهموا في إحياء الإسلام في المناطق المختلفة لاتساع رقعة الإسلام. ونحن تستطيع أن نضيف على هذه القائمة أمثلة قيمة للمجددين مثل السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين الأيوبي، اللذين جددا الإسلام وأعطيا له القوة والحيوية عندما هاجمه المغول من الشرق والصليبيون من الغرب، وحين اعتقدوا أنهم استطاعوا النيل من الإسلام وقد حان الوقت للقضاء عليه، جاء هذان القائدان؛ الأول الذي يحمل الدم التركي والثاني الدم الكردي، ليجددا الإسلام ويكسرا شوكة أعداء الإسلام، فكانا كمجاهدين وكمسلميْن مثالاً للمسلمين الأوائل الذين استمدوا قوتهم من حياة رسول الله ﷺ وحياة أصحابه الكرام. ويذكر شهاب الدين المقدسي ابن شامة

في «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين» أخبار هذين القائدين ويصفهما بالورع والتقوى حتى كأنهما يعيشان في عصر التابعين ﷺ.

كما أن الفضل لتجدد الإسلام يعود لبعض الطوائف الإسلامية ومنها «المعتزلة» التي تطور منها لاحقًا «المتكلمون». إن المعتزلة يضعون «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في أساس الدين، وأحد الأمور التي روجت للدين الإسلامي بين غير المسلمين. يقول شاعر المعتزلة صفوان الأنصاري مادحًا أبا حذيفة واصل بن عطاء:

له خلف شعب الصين في كل ثغرة ... إلى سورها الأقصى وخلف البرابر

رجال دعاة لا يفل عزيمهم ... تهكم جبار ولا كيد ماكر

إذا قال مروا في الشتاء تطاوعوا ... وإن كان صيفًا لم يخف شهر ناجر

بهجرة أوطان وبذل وكلفة ... وشدة أخطار وكد المسافر

إن الحركة الوهابية بالرغم من القسوة المعروفة عنها لكنها فعلت الكثير في نشر المعرفة الإسلامية في المناطق الصحراوية للجزيرة العربية. كما أن الطرق الصوفية المختلفة تركت الكثير من الأثر في المناطق المهملة، خاصة الطرق السنوسية والتيجانية والكتانية في إفريقيا المركزية والشمالية. فقد جمع عبد الله ابن ياسين حوالي ١٠٠٠ من أتباعه لتأسيس حكم عادل على أسس إسلامية على ضفاف نهر السنغال، وقد كان ذلك نواة لدولة المرابطين في المغرب وإسبانيا

(١٠٣٦-١١٤٧م). وكذلك الأمر مع محمد بن تومرت الذي أسس دولة الموحدين (١١٣٠-١٢٧٥م). وكان لهاتين الدولتين البربريتين الفضل الكبير في نشر الإسلام في شمال إفريقيا. وهكذا نرى أن الحركات الدينية قد نمت وأصبحت دولاً دافعت عن الإسلام في أوقات حرجة، وساهمت في دعم المناطق التي كان فيها الإسلام مهددًا.

كما أن هناك علماء أشاوس لم يتم ذكرهم من قبل المؤرخين، وقد كان لهم دور كبير في إشراق الإسلام واسترداد قوته، من بين هؤلاء ظهر في القرن الثامن الهجري ابن تيمية وأتباعه، ومنهم نمت الحركة الوهابية لاحقًا. كما يمكننا ذكر العالم جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وأتباعهما الذين ساهموا في الصحوة وتجديد الإسلام.

كما لا يمكننا أن ننسى التيار السلفي الذي يسعى لإعادة مسار الإسلام إلى شكله الأصلي، وهو البساطة في العقائد، والعمل بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله الكريم، وهذا هو طموح أهل الحديث الذين اتسع عملهم في الهند وأصبح له نتائج واضحة هناك.

كما لدينا من يذكر بعض الأحداث المحزنة التي كانت تصيب الأمة الإسلامية مع نهاية كل قرن هجري، فمثلاً مع نهاية القرن الأول كان هناك

الحجاج الذي كان سفاحًا ولم تَنْجُ الكعبة الشريفة من يديه، ثم ظهور الفتنة في نهاية القرن الثاني، ثم في نهاية القرن الثالث ظهر القرامطة، وفي نهاية القرن الرابع ظهر السلطان الفاطمي الجائر الحاكم بأمر الله بتصرفاته الغريبة. أما في نهاية القرن الخامس فقد احتل الصليبيون القدس الشريف، وفي نهاية القرن السادس كان وصول التتار والمغول للبلاد الإسلامية وتدميرها. وفي نهاية القرن السابع انتشر الطاعون والفقر والجوع. وفي نهاية القرن الثامن جاء تيمورلنك لتدمير الدول الإسلامية، ثم سقوط الأندلس في نهاية القرن التاسع... إلخ.

لذلك فإننا نرى حكمة الله - جل وعلا - في الدفاع عن دينه، ففي أشد المحن على المسلمين يظهر المجددون لتقوية شوكة الإسلام وتجديده.

إن عملية تجديد الإسلام هامة جدًّا، وقد نبه الرسول الكريم ﷺ إلى هذا الأمر بكثرة، فقد نقل الترمذي في سننه عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام- قوله: «إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئًا» حديث حسن. وقال رسول الله ﷺ: «الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء، فقيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟، قال: الذين يصلحون حين يفسد الناس».

إن عزاءنا الوحيد هو ظهور الصحوة الإسلامية في جميع أرجاء العالم الإسلامي والرغبة في تجديد الدين، ووجود من يبذلون الجهود لإحياء الدين في كل بلد إسلامي، ويربطهم في ذلك عدة مبادئ أساسية هي:

١- الدعوة للتعاليم الإسلامية من خلال عقد جلسات للوعظ والإرشاد لأكبر عدد من شرائح المسلمين.

٢- الاستمرار في التجديد من خلال الاجتهاد.

٣- محاربة البدع والخرافات التي عششت بين التعاليم الحنيفة.

٤- العمل على تقوية اللحمة بين الأخوة في العقيدة ومحاولة توحيد المسلمين.

إن المشيخة الإسلامية في البوسنة والهرسك في وضع سيئ، حيث يعم الجهل بين الشريحة العظمى من المسلمين، وينتشر بينهم العديد من الرذائل التي تزيد من وضعها الصعب. كما عم الإهمال في تجمعاتنا الإسلامية، فلا اهتمام بمعالجة الأمراض التي توهن قلوب المسلمين وتمنعهم من التجديد. فعمل المسئولين في هذا المجال لا يثمر، بل على العكس فهو يؤثر على مصالح الدين والعقيدة. حيث يسهر على حماية مصالح المسلمين أولئك الذين يجب على الإسلام والمسلمين أن يحتموا منهم، لذلك فإن هذا الوضع يحمل كل مسلم مسئولية إضافية على عاتقه لتقديم مساهماته في إعادة تجديد الدين والعقيدة في المجتمع.

ومن خلال ملاحظاتي ومراقبتي لهذا الوضع استطعت تقسيم المسلمين حسب علاقتهم بالإسلام إلى أربع مجموعات:

١) المجموعة الأولى هم المسلمون الذين يتمسكون ببعض التعاليم الإسلامية؛ لأنهم ولدوا في أسر إسلامية لأبوين مسلمين. فهم يعرفون أشياء سطحية عن الإسلام، وإذا قاموا بتنفيذ الشعائر الدينية ينفذونها بشكل سطحي دون أي تأثير روحي عليهم. حتى إن بعضهم قد درسوا في بعض المدارس الدينية ولكنهم لم يتعلموا منها شيئًا، لذلك فإن تأثيرهم يكون سلبيًّا في الغالب. فالمتعلمون أو غير المتعلمين من هذه المجموعة يطبقون ما يعرفونه بشكل أعمى بدون أي فهم عميق.

٢) المجموعة الثانية هم المسلمون بالاسم فقط، فهم من أسر مسلمة ولكنهم يتبعون الثقافات الغربية أو الحضارة العصرية العلمانية. فهم يعتقدون أن الشريعة الإسلامية هي شيء قديم بالٍ لا يمكن تأسيس دولة على تلك القوانين؛ لأن هذه القوانين ضعيفة وغير قادرة على إسعاد المواطنين، لذلك يجب تركها والتمسك بالقوانين الغربية. ومن أولئك لدينا الذين يعتقدون بتلك القوانين التي لا تتعارض مع الثقافة الغربية والحضارة العصرية. وهناك من بينهم من يظهر العداء العلني للإسلام واعتماد الإيديولوجية غير المسلمة.

٣) المجموعة الثالثة هم المسلمون الحقيقيون الذين يتمسكون بالاعتدال ويعتقدون بإمكانية تجديد الإسلام من خلال المجهود الذي يجب بذله لتحقيق هذا الهدف. ويعتقدون أيضًا بأن الهداية الإسلامية النقية والطرف الصحي للحضارة العصرية يمكن أن يجتمعا ويلتقيا ويتحدا، حتى إنهم يعتقدون أن هذين الأمرين كالصديقين اللذين يتساعدان ويكمل أحدهما الآخر.

٤) المجموعة الرابعة هي الكتلة الجاهلة التي لا تعرف شيئًا عن الحقائق الدينية والعلوم النقية، إنما تتخبط بدون أي راع يرعاها، وهي عُرضة للاصطياد من قبل التيار السلبي الذي يتحكم بها.

ويقع على عاتق المجموعة الثالثة واجب نشر الوعي حول الإسلام والعلوم الصحيحة النقية في هذا الوسط الإسلامي المهمل.

ويجب عليهم أن يتعاملوا بحدة وبطريقة جذرية، فاللامبالاة والسكوت والتساهل ستؤدي لموت العقيدة، فقد أخرج أبو داود عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ

. كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ . تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرًا. رواه الترمذي.

إذًا بالإضافة إلى الدعوة فنحن نحتاج إلى القوة والسلطة لمحاربة الفساد والسوء من بين صفوف المسلمين. ويجب علينا أن نسعى لهذا ونحن نمتلك الحق في ذلك، حتى نكون في صف أولئك الذين يرسلهم الله تعالى لتجديد وتقوية الدين الإسلامي.

الشباب والكهول

يدور النقاش دائمًا حول الأولويات، فالبعض يحبذ إعطاء الأولويات للشباب، في حين أن البعض الآخر يرجح إعطاء الأولويات للكهول. إن مجلة «الهداية» تحاول تنظيم الشاب في شُعَب الشباب بهدف تنفيذ أفكارها من خلالهم، لذلك فإن مقالي هذا سيلاقي اهتمامًا من الشباب والكهول، يحثهم ويوجههم في أعمالهم، بالرغم من ذلك فأنا أعترف بضعفي، وأعتقد أنني لم أرق لمستوى تقديم النصائح والتوجيهات.

إن الإنسان بطبعه، بغض النظر عما إذا كان صائبًا أو لا، يحب ويقدر كل ما هو قديم معتقدًا أن القدماء كانوا أحكم وأفضل. وحتى العرب في العصر الجاهلي كانوا يقدرون كبارهم ويحترمونهم، حتى كتبوا في هذا الأشعار، والأقوال المأثورة مثل مقولة: «ما ترك الأول للآخر شيئًا»، أي أن الكبار قد فعلوا وقاموا بكل ما هو فضيل ولم يتركوا شيئًا للشباب ليضيفوه.

أما الذين يفضلون الشباب وينظرون إليهم كأولويات، فهم يعتقدون أن التعلق بالقديم يأتي من باب العواطف لا من باب المنطق والعقل، معتمدين على نظرية أن «الإنسان يتذكر كل ما هو جيد وفضيل وينسى كل ما هو سيئ»، فدائمًا يُعتقد أن الأيام الخوالي كانت أفضل ولم يكن فيها ما يسيء إليها.

يجب أن يكون الإنسان موضوعيًّا وأن يقيس بمقياس واحد. الإنسانية تتقدم دائمًا، ودائمًا تكتشف وتبدع أشياء جديدة، لذلك يجب تعديل المقولة السابقة لتصبح «كم ترك الأول للآخر؟». فمن الطبيعي أن يتقدم الإنسان باستمرار، وتزداد معه القوة باستمرار. قال أحد الشعراء العرب:

قل لمن لم ير المعاصر شيئًا ويرى للأوائل التقديما
إن ذاك القديم كان حديثًا وسيبقى هذا الحديث قديما

وغالبًا ما تولد البغضاء والحسد من الجديد، يقول أحد الشعراء العرب:

ترى الفتى ينكر فضل الفتى لؤمًا وخبثًا فإذا ما ذهب
لج به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

إن الحسد وكره الجديد يمنعان الفرد أن يكون موضوعيًّا في حكمه على الجديد. وقد أوضح العالم الكبير ابن حزم أن قومه يعيبون عليه أنه يعيش بينهم، فلو كان يعيش في العراق لكانت نظرتهم إليه مختلفة.

وبين المعاصرين من يرى في الأوائل الذكاء والحنكة، فهم يعتقدون أن الزمن علمهم وصقلهم، وأن الشريعة أعطتهم الأولوية، فعندما يتم اختيار الإمام ينظرون إلى كبر سنه وثباته ورجاحة عقله فيكون الاحترام له أكبر، فالرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يقول: «كبر كبر». فالشباب طائش وبدون خبرة وسريع التصرف. إن الشباب يمتلك العقل طبعًا ولكن رجاحته تأتي مع الخبرة وكبر السن، لذلك فالأولوية دائمًا للأكبر.

ومن بينهم من يرى أن الأولوية للشباب فهم نشيطون أكثر، وطموحون، ويحسنون التصرف في الوقت الذي يعيشون فيه. من الممكن أن تكون الخبرة لصالح الكبار، ولكنهم جشعون وماديون. يقول الرسول -عليه الصلاة والسلام- إن «قلوب الكبار شابة وجشعة للملك ولحياة أطول». فحماس الشباب أفضل من رجاحة عقل الكبار، فالوقت يعلم الكبار ولكن يأخذ قوتهم فيموت النشاط عندهم. وعند اختيار العالم ينظرون إلى سنه ولكن ذلك يأتي في المرتبة الرابعة، فأول ما ينظر إليه علمه وحسن تصرفه. فالعلماء المسلمون يقولون: «وللشاب العالم أن يتقدم على الشيخ الجاهل».

يجب احترام الكبار وتقديمهم للصفوف الأولى، ولكن لا يجب إعطاء الأولوية لهم في كل شيء، خاصة إذا كان الأمر يخص العلم، فالسن والكبر هنا لا يلعبان دورًا كبيرًا. فعمر بن الخطاب ﵁ كان يفضل عبد الله بن عباس

على كثير من الصحابة الذين شاركوا في غزوة بدر. وذكر البخاري في صحيحه أن الرسول ﷺ تصرف بهذا الشكل، فقد سلم أسامة بن زيد قيادة الجيش الذي كان فيه عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما، ولم يكن أسامة قد أكمل الثامنة عشرة من عمره.

ويُقال: إنه عندما تم تعيين يحيى بن أكثم قاضيًا ولم يكمل الحادية والعشرين من عمره، سألوه كم عمرك؟ فأجاب إنه أكبر من عتيبة بن جارية بن أسيد عندما عينه رسول الله ﷺ قاضيًا وقائدًا لمكة، ومن معاذ بن جبل عندما عينه - عليه الصلاة والسلام - قاضيًا على اليمن.

ويفسر العلماء الآية الكريمة ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس/ ٨٣]. فيقولون إن «الذرية» هم الشباب؛ لأن الشباب يتقبل أكثر من الكبار. وأصحاب الكهف كانوا شبابًا، فيقول - جل وعلا: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ [الكهف/ ١٣]. وإن أول من آمن برسول الله ﷺ كانوا من الشباب. ففي السنة الرابعة للدعوة كان قد آمن به أربعون صحابيًّا جليلاً كان منهم ثلاثة في السنة الثامنة من عمرهم، وخمسة عشر صحابيًّا بين العاشرة والعشرين من عمرهم، وثمانية عشر منهم بين العشرين والثلاثين من عمرهم، واثنان بين الثلاثين والأربعين من عمرهم، وواحد في الثانية والأربعين من عمره، وواحد هو عبيد بن الحارث في الثانية والخمسين من عمره.

إذًا كان واحد فقط من كبار السن. وحتى سكان مكة كانوا يعتبرون رسولنا الكريم ﷺ شابًّا. والجدير بالذكر أن خمسة عشر فردًا من الأربعين الأوائل قد استشهدوا في سبيل الله، أي ٣٨٪ من عددهم استشهدوا في سبيل الدعوة، أي كانوا من الشباب الطموح والمتحمس.

لنذكر أسماء أوائل المسلمين الذين وضعوا أسس تنظيم الشباب الإسلامي، فقد ترأسهم بصغر السن ١- علي بن أبي طالب ٢-الزبير بن عبيد الله ٣- صهيب بن عثمان بن مظعون ٤- طلحة بن عبيد الله ٥- الأرقم بن أبي الأرقم ٦- عبد الله بن مسعود ٧- سعيد بن زيد ٨- سعد بن أبي وقاص ٩- عبد الله بن مظعون ١٠-مسعود بن ربيع ١١-جعفر بن أبي طالب ١٢- صهيب الرومي ١٣-قدامة بن مظعون ١٤-زيد بن حارثة ١٥-عثمان بن عفان ١٦-عمر ابن أبي وقاص ١٧-صهيب بن مظعون ١٨- طليب بن عمير ١٩-الحباب بن عامر ٢٠- عامر بن طهير ٢١- مصعب بن عمير ٢٢-المقداد بن أسود ٢٣- عبد الله بن جحش ٢٤- عمر بن الخطاب ٢٥- أبو عبيدة ابن الجراح ٢٦- عتبة بن غزوان ٢٧-أبو حذيفة ابن عتبة ٢٨- بلال بن رباح ٢٩-عمر بن سعيد ٣٠- خالد بن سعيد ٣١- عياش بن أبي ربيعة ٣٢- عمر بن ربيعة ٣٣-نعيم بن عبد الله ٣٤- عثمان بن مظعون ٣٥- أبو سلمة بن عبد الأسد ٣٦- عبد الرحمن ابن عوف ٣٧- عمار بن ياسر ٣٨- أبو بكر الصديق ٣٩- حمزة بن عبد المطلب ٤٠- عبيد بن حارث، رضي الله عنهم وأرضاهم جميعًا.

إذًا هؤلاء هم أول تنظيم يتشكل في الإسلام لنشره والدفاع عنه، ونرى أن أغلبهم من الشباب، وعلى شبابنا أن يقتدوا بهم وينضموا لتنظيم الشباب في «الهداية» بهدف تقوية وتطوير الإسلام في هذه المناطق.

لقد كان هؤلاء الشباب يجتمعون برسول الله ﷺ في شعاب مكة، ثم قام الأرقم بن أبي الأرقم بتقديم بيته ليكون مقرًّا لتجمع الصحابة الأوائل، وكان رسول الهداية - عليه الصلاة والسلام - يشرح لهم تعاليم دينهم الجديد ويُعدُّهم للعصر الجديد، ليخرج منهم أربعة يخلفونه في قيادة المسلمين لتقوية دعائم الدولة الإسلامية.

وهناك مجموعة ثالثة لا يحبذون الفئة الأولى ولا الفئة الثانية، بل هم لعمل مشترك وتفاعل متكامل بين الفئتين لتطوير وتقدم المجتمع. فهناك حاجة كبرى للكبار بخبراتهم ورجاحة عقولهم، وهناك حاجة للشباب بعنفوانهم وطموحهم وشجاعتهم. فكل واحد بدوره يكمل الآخر، وتقييم الإنسان لا يتم بعدد سنوات عمره، إنما بما يقدمه لمجتمعه.

إن العمل المشترك بين الجيلين هو ضمان الهداية للطريق الصحيح واتباعه.

زيارة «شعرة السعادة»

من زار سراييفو في الأسبوع الأخير لشهر رمضان سنحت له الفرصة ليرى بنفسه «مراسم» معينة، اختبأت تحت ستار الدين، وتتم هذه المراسم في الجامع، وفي أقدس ليلة على الإطلاق (ليلة القدر). تدعى هذه المراسم «زيارة شعرة السعادة»، وهي حسب زعمهم شعرة من رسول الله ﷺ. إن هذه المراسم حديثة العهد، ظهرت لدينا قبيل سيطرة النمساويين على هذه البلاد. ففي أيام ثورة الهرسك عام ١٨٧٦م أرسل السلطان عبد العزيز - بهدف سياسي - إلى سراييفو هذه «الأمانة» والتي تتألف حسبما يزعمون من شعرة مباركة من لحية رسول الله ﷺ وقطعة أو قطعتين من الأستار التي تغطي جدران الغرفة التي يوجد فيها قبر رسول الله ﷺ. وقد وضعت الشعرة في زجاجة صغيرة مغلقة. ويعتقد البعض أن هذه الهدية أسمى وأغلى ما يقدمه السلطان لمدينة ما.

وبمراجعتي لبعض المراجع التاريخية وجدت أن السلاطين كانوا يقدمون مثل هذه الهدايا، فقد قرأت شيئًا عن تاريخ مدينة حلب في كتاب «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» والمؤلف من سبعة أجزاء، حيث يرد أن أحد السلاطين قد

أهدى نفس الهدية لمدينة بقرب حلب الشهباء، عندما ثار أهل هذه المدينة على السلطان. ونفس الأمر تكرر مع مدينة في شمال إفريقيا. إذًا هذا الأمر تكرر كلما دعت الحاجة إليه، حيث ترسل هذه «الأمانة» كلما قامت ثورة أو انتفاضة ضد السلطان.

إن هذه الهدايا لم تأت من السلطان للمدن والولايات فحسب، بل للأفراد أيضًا. فقد قرأت في السيرة الذاتية للمُلّا مستفيتسا Mestvica وفي رسائل القبطان مراد جراداجفيتش (١٨١٨ – ١٨١٩م) أن القبطان مراد أرسل خطابًا لوالي سولينيك سليمان باشا سكوبلياك ابن موستاي باشا بمناسبة ترقيته. جاء في ترجمة هذه الرسالة «لقد استلمت هذه الأيام رسالتكم الموقرة من فضيلة الشيخ عبد الله أفندي تشولاك، وعرفت منها أن معالي السلطان قد أسعدكم وتعطف عليكم بإعطائكم بعض الشعرات من اللحية الشريفة، وقد أسعدني هذا الأمر جدًّا».

وبالإضافة إلى سراييفو فإن هذه «الأمانة» توجد في مكانين آخرين في هذه البوسنة الصغيرة: المكان الأول هو مدينة الوزراء «ترافنيك» Travnik. لم أتمكن من معرفة تاريخ وصول هذه الأمانة ولا كيف وصلت[1]، المكان الثاني هو منطقة

(١) إن سليمان باشا سكوبلياك المذكور أعلاه قد بنى جامع «سليمانية» في مدينة ترافنيك، فربما وضع فيه «الأمانة» التي وصلت من السلطان.

«أوراشيا» Orasje الصغيرة في قطاع «بوسافينا». وحسب ما يُقال، ولا أدري إن كان ذلك صحيحًا، أن أحد الحجاج قد اشترى «شعرة» من اللحية الشريفة عندما كان في الحج من أحد الأعراب، وأحضرها إلى أوراشيا، فامتلكت هذه المدينة الصغيرة ما تملكه سراييفو وإستانبول(١).

كما أنني شاهدت في مصر في مزار الحسين المزعوم، حفيد رسول الله ﷺ، عدة شعرات من لحية رسول الله ﷺ. والفرق بين الاحتفال هنا وفي مصر التي غرقت في الخرافات لدرجة أنها تنظم «مراسم» مهينة تقوم بتقبيل «الشعرة» التي تم وضعها في غرفة معينة في صندوق خاص ولا يتم فتح الغرفة إلا يوم الإثنين، ومن يدخل هذه الغرفة يصحبه دليل خاص يقوم بشرح ما يوجد في الصندوق. ولا تزال رنين كلمات ذلك الدليل تطن في أذني وبلهجته المصرية «تلتاشر شعرة من اللحية الشريفة، ومصحف بتاع سيدنا عثمان ومصحف بتاع سيدنا علي». وحتى نعرف صحة كلماته يجب ذكر أن المؤرخين يؤكدون عدم بقاء أي نسخة

(١) بعد كتابتي هذا المقال وقبل أن يتم طباعته أخبرني إبراهيم بك حجي عميروفيتش من أوراشيا بأنه قبل احتلال النمسا للبوسنة والهرسك ذهب والده وعدد من الرجال من أوراشيا إلى الحج ومن بينهم شخص من الأغنياء يدعى «تشيريماغيتش». وسمعوا في مكة المكرمة أن أحد القريشيين يمتلك شعرة من لحية رسول الله ﷺ. فذهبوا إليه وشاهدوا الشعرة. وطلب هذا الغني محمد بك تشيريماغيتش أن يشتريها فرفض صاحبها البيع. وفي اليوم التالي حضر إليهم صاحب الشعرة وأبلغهم أنه شاهد في منامه الرسول ﷺ يأمره بأن يهديهم هذه «الشعرة» وقام القريشي بالفعل بإهدائهم الشعرة. وقد أهداه محمد بك تشيريماغيتش ردًّا على كرمه ١٠٠ قطعة ذهبية. وأراد رفاقه الحجاج المشاركة في هذا الأمر فأعطوا محمد بك تشيريماغيتش ٥٠ قطعة ذهبية كمساهمة منهم في ذلك، وبهذه الطريقة وصلت الشعرة إلى أوراشيا.

من المصحف الشريف بخط عثمان أو علي رضي الله عنهما. كما سمعت أن هناك جامعًا في إستانبول يحتوي على «شعرة» من لحية رسول الله ﷺ، ويتم تنظيم مراسم زيارة لها كما يحصل عندنا.

يذكر القسطلاني في كتابه «المواهب اللدنية»، (ج٢ ص٢٧٨): «شاهدت في مكة المكرمة عام ٨٩٧هـ، في شهر ذي القعدة عند أبي حميد المرشدي، شعرة يُقال إنها من لحية رسول الله ﷺ، حيث قمت بزيارته مع خليل العباسي». ولكن القسطلاني لم يذكر أي «مراسم» خاصة ولا مواعيد خاصة لزيارة هذه «الشعرة»، ولم يذكر أنهم قبلوها أو فعلوا أي شيء آخر.

كانت صحيفة «بوسنة» تصدر في الفترة التي وصلت فيها «الأمانة» إلى سراييفو، وقد نشرت الصحيفة مقالاً في عدد ٥٣١ بهذا الخصوص. وجاء في هذا المقال أن علي صائب باشا قد حمل الأمانة إلى متروفيتسا. ثم تم نقلها إلى سراييفو بحماية القائد العسكري إبراهيم باشا، وكان ذلك في شعبان ١٢٩٣هـ. حيث تم إرسال فرقة موسيقية عسكرية ومجموعة مشاة من الدرك ومجموعة خيالة، ورئيس اللجنة التنفيذية حيدر أفندي والقائد البوسني ولي باشا وغيره من الضباط المختلفي الرتب العسكرية، بالإضافة إلى موظفي الولاية وبعض العلماء والمشايخ وتلاميذ المدارس الإسلامية إلى خارج المدينة لاستقبال «الأمانة». وتم نقل الأمانة إلى جامع «البك» في سراييفو وكان بانتظارها الوالي نظيف باشا، الذي لم يستطع الخروج معهم لانتظارها خارج المدينة بسبب مرضه.

في اليوم التالي أي الأحد السابع من شعبان الموافق ٢٧ أغسطس ١٨٧٦م جرت أول زيارة لهذه الأمانة، ولم يتم ذكر من قام بهذه الزيارة في تلك الصحيفة. وذكرت الصحيفة أن المدافع أطلقت ١٠١ قذيفة تكريمًا لوصول «الأمانة».

لا أدري كم استمرت عملية الزيارة في السنوات التالية، ولكن أعرف أن هذا الأمر توقف بعد فترة قصيرة، وأن المفتي وقتها طالب بوقف مراسم هذه الزيارة. كما علمت أن عددًا من المفتين في ترافنيك منعوا إقامة «مراسم الزيارة» هناك أيضًا. في كل الأحوال إن مراسم الزيارة منعت في سراييفو لأكثر من عشرين عامًا.

خلال فترة حركة المطالبة بالاستقلال الذاتي للمسلمين من النمسا طالب زعماء هذه الحركة بتجمهر الشعب في تجمعات كبيرة، وظهرت فكرة إعادة «مراسم الزيارة» من جديد. وحسب ما سمعت فإن الحاج صالح آغا بيتشاكتشيتش هو أكثر من سعى إلى ذلك، وقد نجح في ذلك، حيث تم تجديد عملية «مراسم الزيارة» حوالي عام ١٩٠٤م. حيث تم استغلال هذه الزيارة كنوع من المظاهرات ضد النمساويين. وهكذا فالسياسة هي التي أحضرت «الأمانة» إلى سراييفو، والسياسة هي التي أحيت عملية الزيارة من جديد.

وعندما تم تجديد هذه الزيارة قام موياغا كريم، والذي كان يمتلك محلاًّ بالقرب من ضريح الغازي خسرو بك، بكتابة لوحة من الزجاج بإطار، يتم

وضعها قبيل الزيارة على باب مقبرة الغازي خسرو بك حيث وضعت «الأمانة» فيها، وكتب على اللوحة باللغة التركية ما معناه «هذا المساء ستتم الزيارة لشعرة رسول الله ﷺ، نطلب من الله أن يشملنا برحمته».

هذا باختصار تاريخ هذه «الشعرة» والأمانة، وسأذكر موقف الشرع من هذه البدعة.

لا توجد أي أدلة قاطعة على أن الشعرة أصلاً لرسول الله ﷺ، سواء كانت من لحيته أو من رأسه - عليه الصلاة السلام. والشك ينتابنا أكثر عندما نعلم أن السياسة هي التي أرسلت «الأمانة» إلينا. كما أن أكثر من ألف وثلاثمائة سنة على وفاة رسول الله ﷺ وقت طويل للحفاظ على أثر لرسول الله ﷺ. إن ما بقي من أثر رسول الله ﷺ هو العلم والقرآن الكريم والحديث الشريف، وهي الأمور التي تعهد الله - جل وعلا - بالحفاظ عليها. إن بردة رسول الله ﷺ اختفت بعد دخول التتار إلى بغداد، وكذلك اختفى نعلا رسول الله ﷺ منذ فترة طويلة، لذلك لا شيء بقي من أثر رسول الله ﷺ إلا العلم والنور. فنحن لا نقبل الحديث عنه إذا كان ضعيفًا وبدون دليل قاطع؛ فكيف سنقبل «شعرة» منه؟!

حتى إذا تأكدنا من أن الشعرة تعود لرسول الله ﷺ، فالسؤال هو: هل يجوز تقبيلها؟ في الحقيقة لا يتم تقبيل الشعرة، إنما الزجاجة التي توجد بها الشعرة.

سيكون هذا السؤال واضحًا عندما نرى ما يخبرنا به علماء الشرع الحنيف من تقبيل الجدران التي تحيط بروضته الشريفة.

فالعالم الشافعي الكبير الإمام النووي - رحمه الله تعالى- يقول في كتابه «الإيضاح» والذي ذكر فيه مناسك الحج وزيارة قبر رسول الله ﷺ وحرمه الشريف:

«لا يجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ، ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر. قاله الحليمي وغيره. ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ. هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه. وينبغي أن لا يغتر من العوام في مخالفتهم، ذلك فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء ولا يلتفت إلى محدثات العوام وجهالتهم. ولقد أحسن السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - في قوله ما معناه: اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء. وكيف يُبتغى الفضل في مخالفة الصواب».

وقال العالم الحنفي الكبير علي بن الحاج في كتابه مناسك الحج: «ولا يمس عند الزيارة الجدار؛ لأنه خلاف الأدب في مقام الوقار، وكذا لا يقبله لأن

الاستلام والقبلة من خواص بعض أركان الكعبة ولا يلتصق به أي بالتزامه ولصوق بطنه لعدم وروده، ولا يطاف حول البقعة الشريفة؛ لأن الطواف من مختصات الكعبة الشريفة فيحرم حول قبور الأنبياء والأولياء، ولا عبرة بما يفعله العامة الجهلة ولو كانوا في صورة المشايخ والعلماء».

ويقول الفقيه الحنفي الجليل ابن العماد في كتابه المناسك: «ويجتنب مس الشباك ومسحه بيده ثم المسح على وجهه للتبريك فإن ذلك من عادة أهل الكتاب، ولم ينقل ذلك عن أحد من الأئمة المجتهدين ولا من العلماء المعتمدين».

وكما ذكرت سابقًا فإن العوام يقبلون بالإضافة إلى «الشعرة» قطعة القماش التي غطت جدارًا حول قبر الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام. إن وضع القماش على جدار الغرفة التي يوجد بها قبر الرسول الكريم تم في عهد الحكام المسلمين، ولربما جاءت هذه العادة محاكاة لثوب الكعبة الشريفة. ورأينا أن العلماء المسلمين يمنعون حتى تقبيل الحائط فكيف بالقماش الذي يغطيه، فإذا لم يوجد بركة في تقبيل الجدار والقماش الذي يغطيه، فكيف ستكون البركة في القماش الذي نزع من الجدار؟! إما أن العوام ابتدعوا هذا الأمر أو أولئك الذين يتحكمون بهم.

لقد جاء في البخاري أن ابن سيرين يمتلك شعرات لرسول الله ﷺ، وقد جاءت من أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو صحابي جليل خدم رسول الله ﷺ، وذلك

خلال حجة الوداع عندما حلق رسول الله ﷺ، فقام أصحاب رسول الله ﷺ بتوزيع شعرات الرسول فيما بينهم، وقد حصل الصحابي أبو طلحة على كمية كبيرة. وجاء في السير أنه كان لدى معاوية شعرات لرسول الله ﷺ، وقيل إنه أوصى عندما يموت أن توضع على عينيه ووجهه. ويُذكر أيضًا أن الصحابي والقائد الكبير خالد بن الوليد كان يمتلك عدة شعرات لرسول الله ﷺ، كان يضعها في عمامته، ويُذكر أيضًا أنه في إحدى المعارك سقطت عمامته فهاجم حتى استردها خوفًا من سقوطها في أيدي المشركين.

كما كان الصحابة يتباركون بثوب رسول الله ﷺ وأوانيه، ولكن ذلك في حدود الأدب النبوي، فهم لم يقبلوا شعرات رسول الله ﷺ بالرغم من تأكدهم أن هذه الشعرات هي للحبيب المصطفى - عليه الصلاة والسلام، وعندنا يقوم البعض بتقبيل «الشعرة» وهم لا يدرون من أين هي ولمن هي حقًّا!

وحتى لو كان تقبيل الشعرة مسموحًا به، فلن يُقبل إقامة «مراسم»محددة لذلك، وخاصة إذا كانت هذه المراسم تتم في ليلة هي خير من ألف شهر؛ في ليلة القدر المباركة، وتتم بالتناوب كل عام، وكأننا نسينا قول رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدًا» رواه أبو داود. فإذا قال رسول الله ﷺ ذلك عن قبره الذي يضم جسده الشريف، فما بالك ونحن نقوم بزيارة شعرة ونقبل زجاجة في ليلة هي خير من ألف شهر، ولسنا واثقين بأنها لرسول الله ﷺ. إن الشرع الشريف

مبني على الاتباع لا على الابتداع، وحبنا لرسول الله ﷺ يجب أن يظهر من خلال اتباع شرعه الشريف وتطبيقه كما جاء منه عليه السلام، لا من خلال ابتداع بدع لا أساس لها في الشرع. وكان أمير المؤمنين وخليفة رسول الله ﷺ مدافعًا عن الإسلام والشرع الشريف، فقد أمر بقطع الشجرة التي بايع المسلمون تحتها رسول الله ﷺ وذكرت في القرآن الكريم؛ لأنه رأى أن المسلمين بدؤوا يجتمعون عندها من باب التبرك.

وأضيف أن هذه المراسم تتم في حالة إنشاد وتهليل بصوت مرتفع من المشاركين في المراسم، وكل هذا داخل الجامع الذي يعتبر بيت الله والذي بني لإقامة الشرائع الدينية والعبادات.

ربما يقول أحدهم إن العوام يقومون بذلك من باب النية الحسنة كما قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»، أرد على هؤلاء بأن هذا هو الجهل بعينه؛ لأن ما هو محرم أو مكروه لا يمكن أن نفعله بنية حسنة. وحديث رسول الله ﷺ لا ينطبق على هذه البدعة.

كما أن هناك من يقول إذا كان العوام موافقين على هذا، فلماذا أقف أنا وحدي ضد ذلك؟ أجيب إذا كان العوام مخطئين فعلى الأفراد إيضاح وإظهار ذلك، ويجب عليَّ وعلى كل مسلم أن يقف ضد البدع بالأدلة والحجج الشرعية،

وأقول: إن الكثير من العلماء يقفون معي في موقفي هذا، ولكنهم لم يجدوا الفرصة للإفصاح عن ذلك.

يقول البعض أيضًا: إن في هذه المراسم مصلحة للمسلمين حيث تجمعهم وتوحدهم، وعلينا أن نغض البصر عن ذلك. وردي عليهم أن مهمة علماء الدين الحفاظ على الدين الصحيح وتنفيذ تعاليمه، لا أن يغضوا البصر على البدع التي تفرق الجماعة وتضيع العقيدة، فكل بدعة ضلالة.

إن الكثير من رجال الدين والعلماء قاموا ضد هذه البدعة، حتى أن بعض المفتين منعوها، وقد كتب في ذلك عالمنا الجليل المرحوم محمد سيد أفندي سرداريفيتش، ونشر مقاله هذا في مجلة «المعلم»، العام الثاني، العددين ١١ و١٢ لشهري أغسطس وسبتمبر ١٩١٢م، تحت عنوان «البدعة».

إخوتي الكرام، لنبتعد عن البدع والضلالات، فيكفينا في الدين ما ترك لنا خير البرية رسول الله ﷺ، فلا نحتاج للبدع التي تضر بالدين وتؤدي إلى جهنم والعياذ بالله. هناك الكثير من العوام وخاصة الفلاحين والقرويين الذين يعتبرون أن هذه الزيارة أهم من الصلاة، فهم يبيعون مواشيهم لكي يأتوا إلى سراييفو للقيام بهذه البدع و«الزيارة»، غير عابئين بتركهم الصلاة أو غيرها من العبادات، وهذا دليل كبير على أن هذه البدعة من عمل الشيطان لكي يلهيهم

عن إقامة الصلوات. ولذلك علينا في هذه الأيام الصعبة أن نرجع إلى ديننا، ونتمسك بعقيدتنا، ونتعلم أمور شرعنا، ونسعى لتنفيذ ما تطلبه منا.

على مجلس العلماء أن يلغي هذه البدعة ويتركها في عالم النسيان، كما كانت إلى أن تجددت نتيجة الجهل.

الإسلام يحرّم طلب العون من الأموات وزيارة الأضرحة والكنائس لأجل ذلك

في البداية يجب أن نوضح حقيقة أن الإسلام يتميز عن باقي الديانات بأنه يؤمن بوحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ بقوة وصدق وبدون أي شائبة (التوحيد). إن الإيمان بوحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ يأتي من الإيمان بأربعة أمور أساسية هي:

١- الإيمان بضرورة وجود الله عَزَّ وَجَلَّ (واجب الوجود)، أما باقي المخلوقات فقد وُجِدت بأمره.

٢- الإيمان بأن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق السماوات والأرض.

٣- الإيمان بأن الخالق جل وعلا هو الذي يتصرف بالسماوات والأرضين، وبمن فيهن.

٤- الإيمان بأن الخالق عَزَّ وَجَلَّ هو الوحيد الذي يستحق الطاعة والخضوع والرضوخ (العبادة).

إذًا إننا نتوجه بالدعاء وطلب المساعدة من الله عَزَّ وَجَلَّ، وإن الإسلام يحرم تحريمًا قاطعًا التوجه لغيره في العبادات، لقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ

ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر/ ٦٠]، إذًا إن الإسلام يسمي طلب المساعدة من الله تعالى «العبادة»، وطلب المساعدة والأمور التي لا يمكن لأحد الاستجابة لها وتنفيذها إلا الله، من غيره يحرمها الإسلام تحريمًا قاطعًا، لقوله الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر/ ٦٠]، إذًا يسمي القرآن الكريم الدعاء «عبادة»، والله تعالى هو الجدير بالعبادة، فقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف/ ٥-٦]، وقال: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا . أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء/ ٥٦-٥٧]، وقال: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء/ ٦٧]. نرى من هذه الآيات الواضحات أن الإسلام يحرم التوجه بالدعاء وطلب الأمور التي لا يمكن أن يستجيب لها إلا الله، من غيره. ويعتبر الإسلام الدعاء عبادة، فجاء في سنن الترمذي أن الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- قال: «إن الدعاء عبادة». فكم مرة يكرر المسلم طلب المساعدة من الله عز وجل في صلاته ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة/ ٥]. فمن غير الله تعالى

يستحق العبادة؟ فكل المخلوقات فانية، والخلود لله رب العالمين القادر والقاهر؛ قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥]. وإذا نظرنا لكل ما ذُكر فسوف نرى رأي الشرع واضحًا في بعض اللوحات التي تُعَلق، أمثال «مدد يا نقشبندي» وغيرها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الناس يتخطون الحدود المشروعة في الإسلام، ويغالون في أمور الموتى وقبورهم. فمن الظاهر أن الناس يحاولون إظهار حبهم لموتاهم من خلال المغالاة في القبور وتخليدهم، متناسين أن ما ينفع الأحياء والأموات هو عملهم الصالح وتطبيق الشريعة الإسلامية.

إن الإسلام يأمر بالحفاظ على المقابر وعدم إهانتها والإساءة إليها، ولكن في نفس الوقت يمنع تزيينها والبذخ في إقامة القبور، فلا نفع في ذلك، فقد جاء في صحيح مسلم «أن رسول الله ﷺ نهى أن يُجصص القبر أو أن يُكتب عليه أو أن يُبنى عليه أو أن يُوطأ». فكم نصرف نحن على الشواهد والقبور والكتابات المذهبة والرخام والأسوار الحديدية؟ فما النفع من ذلك؟ وكأن أغنياءنا يريدون أن يتميزوا بعد الموت عن الفقراء، ونسوا أن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات/ ١٣].

كما أن الشرع يحرم الصلاة في المقابر، أو على القبور، أو باتجاه القبور، أو بالقرب منها. فقد لعن رسول الله ﷺ الذين يبنون على القبور الجوامع والمباني

للعبادة، وهذه بعض أحاديثه:

- قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. (رواه البخاري ومسلم).
- لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (رواه الترمذي وأبو داود والنسائي والإمام أحمد).
- لا تصلُّوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها. (رواه مسلم).
- ذكرت أم سلمة- رضي الله عنها - لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت ما رأته فيها، فقال رسول الله ﷺ: أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله. (رواه البخاري ومسلم).

إذًا إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - يحرّم بناء المساجد على القبور حتى ولو كان أصحابها من الصالحين، وحرّم إشعال السرج ليلاً وحرم الصلاة إلى القبور أو بقربها أو زيارة النساء لها.

تكمن أسباب هذا التحريم في قطع الطريق على النتائج السيئة لهذه الأمور التي تتعارض في كثير من الأحيان مع الإيمان المطلق بوحدانية الله ﷻ؛ حيث إن البعض يطلب العون من الأموات، فنحن نرى أن الكثيرين يطلبون «مرادهم» من

الأضرحة حتى إنهم يصلون هناك. نرى هذا الأمر بكثرة لدى النساء الجاهلات، وهذا يعارض تحريمين إسلاميين هما الاعتقاد بطلب العون من الأموات، وزيارة النساء للمقابر.

إن الإسلام يسمح للذكور ويطالبهم بزيارة المقابر لنيل العبر، فالعبرة الأولى أن أرواح الموتى حية وتسمع، لذلك يقوم المسلم بإلقاء التحية عند المقابر، والعبرة الأخرى هي أن مصيره لهذا القبر، وعند البعث سيحاسب على عمله فيدعو الله بالعفو عن الموتى والرحمة لهم. فهذه الزيارات تنفع الأحياء والأموات، فالأحياء يتذكرون يوم القيامة، فيحاولون إصلاح حياتهم ويعتبرون. والنفع للموتى بالسلام عليهم والدعاء لهم. إذًا زيارة القبور تأتي لأخذ العبر، وليس للتبرك وطلب المساعدة والصلاة، حتى إن كان المتوفى ورعًا وصالحًا.

لقد تخوف الرسول ﷺ من قيام المسلمين بعد وفاته بعمل ما كان يعمله النصارى واليهود، فأمر - عليه الصلاة والسلام - بأن يُدفن في غرفته التي مرض فيها مرض الموت، فنقل البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قولها : «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. لولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا».

ويُلاحظ أن بعض الجهلاء من المسلمين يقيمون احتفالات بربط بعض المناطق مع بعض الأحداث، فمثلاً قسم من مسلمي البوسنة والهرسك

الجاهلين يقيمون احتفالات لأحد الأشخاص «عيواظ ديده»، والذي يسمونه «أيفاتوفيتسا»، حيث يجتمع الناس في يوم معين عند مدينة «بروساتس»، فيزورون قبر «عيواظ ديده» ويقومون بالدعاء والصلاة عند ما يسمى «الصخرة» . وقد تأصلت هذه العادة عند القرويين حتى بدؤوا يسمون هذا الاحتفال «بالحج الأصغر». والرسول – عليه الصلاة والسلام– قال: «لا تجعلوا قبري عيدًا» وهو أطهر قبر لأشرف مخلوق، فإذا كان الحال مع قبر حبيب الله هكذا، فكيف يمكننا الاحتفال وزيارة قبر غيره من البشر؟!

كما أن الإسلام يحرم ويدين المشاركة في الاحتفالات غير الإسلامية. ففي سنن أبي داود «حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْد، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو قلابَة، قَالَ حَدَّثَنِي ثَابِتُ ابْنُ الضَّحَّاك، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟». قَالُوا: لاَ . قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟». قَالُوا: لاَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ» .

يتضح لنا مما ذُكر موقف الإسلام من القبور الإسلامية، ومن طلب العون من الأموات المسلمين الذين كانوا أتقياء ومقربين من الله عز وجل، فكيف إذا تمت

زيارة قبور غير المسلمين والتوجه للكنائس التي تعتبر مقدسة عند غير المسلمين والتي يعتقدون أنها مقدسة ومحببة من قبل الرب؟!

بلا شك إن ذلك من كبائر الذنوب التي تتعارض مع المبادئ الأساسية للإسلام، فمن المؤسف والمخجل بعد تطور الطب والعلاج أن نرى البعض يطلب الشفاء من الموتى الذين لا يستطيعون مساعدة أنفسهم، فما بالك بمساعدة الناس وشفائهم؟! ومما يؤسف له أن البعض يطلبون الشفاء من الموتى الذين نعرف أنهم في عذاب قبر شديد وغضب من الله (النصارى واليهود).

لذلك، إخوتي وأخواتي، فلنتمسك بالإسلام الحنيف، ولن نضل أبدًا.

﴿نهاية المتن﴾

معد الدراسة التقديمية في سطور

- أسعد دوراكوفيتش (Esad Durakovic)، مفكر وأكاديمي بوسنوي. أستاذ الأدب العربي، رئيس قسم اللغة العربية وآدبها بكلية الفلسفة- جامعة سراييفو.
- عضو مجمع اللغة بدمشق، وعضو مجمع اللغة في البوسنة والهرسك.
- حاز على جائزة اليونسكو عام ٢٠٠٣ لدوره في خدمة الثقافة العربية والإنسانية.

من أبرز المؤلفات والأبحاث العلمية

- ترجمة معاني القرآن الكريم للغة البوسنية.
- ترجمة: «المعلقات السبع» و«ألف ليلة وليلة» وغيرهما من عيون التراث العربي وأعمال مشاهير الكتاب العرب المعاصرين للغة البوسنية.
- نظرية الإبداع المهجرية.
- مقدمة لتاريخ الأدب للدائرة الإسلامية الشرقية.
- علم الشرق.

المترجم في سطور

- عبد الرحيم محمد ياقدي، مترجم وطبيب، ولد عام ١٩٦٣ بحلب – سورية.
- أنهى الثانوية العامة في حلب- سورية عام ١٩٨١، وأنهى المعهد الطبي في جامعة حلب عام ١٩٨٣، وأنهى كلية الطب في مدينة سراييفو عام ١٩٩٢.
- عمل في المستشفى الجامعي لجامعة سراييفو في الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٤.
- عمل مترجمًا في قوات الأمم المتحدة العاملة في البوسنة والهرسك في الفترة من ١٩٩٥-١٩٩٦.
- عمل في سفارة جمهورية مصر العربية في البوسنة والهرسك في الفترة من ١٩٩٦-٢٠١٢.
- ترجم العديد من الأعمال من البوسنية إلى العربية والعكس، من أبرزها:

- رواية سراييفو قصة حصار وحب.
- رواية الأحفاد يرثون الأجداد.
- ترجمة ديوان شعر للأدين إبراهيم صباهيتش.
- العديد من المقالات من العربية الى البوسنية والعكس.

مراجع الترجمة في سطور

- محمد م. الأرناؤوط، أكاديمي كوسوفي سوري، مختص في التاريخ الحضاري للبلقان خلال الحكم العثماني، والإسلام في البلقان ما بعد العثماني، والعلاقات البلقانية العربية.
- حصل على الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر(جامعة بريشتينا ١٩٨٦)، عمل محاضرا في قسم الاستشراق بجامعة بريشتينا (١٩٧٤-١٩٨٧)، وأستاذا مساعدا في قسم التاريخ بجامعة اليرموك (١٩٨٩-١٩٩٥).
- يعمل حاليا أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة آل البيت/ الأردن ١٩٩٥-٢٠١٢م، كما شغل مدير معهد بيت الحكمة للعلوم السياسية ١٩٩٥-٢٠٠٥، ومركز دراسات العالم الاسلامي في جامعة آل البيت ٢٠٠٦-٢٠٠٩.
- عضو أكاديمية العلوم والفنون الكوسوفية، وعضو مراسل - مجمع اللغة العربية بدمشق، وعضو اتحاد المؤرخين، وعضو هيئة تحرير «المجلة الأردنية للتاريخ والآثار» (٢٠٠٥-٢٠١٠).
- **من كتبه وأبحاثه المنشورة في العربية:**

- «الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية».
- «الكتابة باللغة العربية في البوسنة».
- «الوقف في العالم الإسلامي بين الماضي والحاضر».
- «التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي».

اللجنة الاستشارية للمشروع

(١٤٣٥ - ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤ - ٢٠١٥م)

إسماعيل سراج الدين (مكتبة الإسكندرية)، مصر- رئيس اللجنة.

إبراهيم البيومي غانم (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية)، مصر.
حسن مكي (جامعة إفريقيا العالمية)، السودان.
رضوان السيد (الجامعة اللبنانية، بيروت)، لبنان.
زاهر عبد الرحمن عثمان (مركز المعلم محمد بن لادن للعلم والتعليم)، المملكة العربية السعودية.
زكي الميلاد (رئيس تحرير مجلة الكلمة)، المملكة العربية السعودية.
سعيد بنسعيد العلوي (جامعة الرباط)، المغرب.
صلاح الدين الجوهري (مكتبة الإسكندرية)، مصر- أمين اللجنة.
ظفر إسحق أنصاري (الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد)، باكستان.
عبد الدايم نصير (مستشار شيخ الأزهر)، مصر.
عبد الرحمن السالمي (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية)، عُمان.
عمار الطالبي (جامعة الجزائر)، الجزائر.
مجدي عاشور (دار الإفتاء)، مصر.
محمد زاهد جول (كاتب وباحث)، تركيا.
محمد عمارة (هيئة كبار العلماء، الأزهر الشريف)، مصر.
محمد كمال الدين إمام (جامعة الإسكندرية)، مصر.
محمد موفق الأرناؤوط (جامعة العلوم الإسلامية العالمية)، الأردن.
مصباح الله عبد الباقي (جامعة كابول)، أفغانستان.
منى أحمد أبو زيد (جامعة حلوان، القاهرة)، مصر.
نور الدين الخادمي (جامعة الزيتونة)، تونس.
نوزاد صواش (مؤسسة البحوث الأكاديمية والإنترنت، إسطنبول)، تركيا.
وان صبري وان يوسف (الجامعة الإسلامية العالمية، كوالالمبور)، ماليزيا.

سلسلة «في الفكر النهضوي الإسلامي»

صدر في هذه السلسلة

(١) **العــــودة إلــى الــــذات**، تأليف علي شريعتي.
(٢) **الحياة الروحية في الإسلام**، تأليف محمد مصطفى حلمي.
(٣) **امرأتنا في الشـريعة والمجتمـع**، تأليف الطاهر الحداد.
(٤) **الإسلام دين الفطرة والحرية**، تأليف عبد العزيز جاويش.
(٥) **المـــــرأة والعمـــــل**، تأليف نبوية موسى.
(٦) **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**، تأليف مصطفى عبد الرازق.
(٧) **دفـــاع عـن الشـريعـة**، تأليف علال الفاسي.
(٨) **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تأليف الطاهر ابن عاشور.
(٩) **تجديد الفكر الديني في الإسلام**، تأليف محمد إقبال، ترجمة محمد يوسف عدس.
(١٠) **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، تأليف عبد الرحمن الكواكبي.
(١١) **المدرســـة الإســلامية**، تأليف محمد باقر الصدر.
(١٢) **الإسلام وأصول الحكم**، تأليف علي عبد الرازق.
(١٣) **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تأليف خير الدين التونسيّ.
(١٤) **الحرية الدينية في الإسلام**، تأليف عبد المتعال الصعيديّ.
(١٥) **الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقية الشريعة المحمدية**، تأليف حسين الجسر.
(١٦) **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، تأليف محمد الغزالي.
(١٧) **القرآن والفلسفة**، تأليف محمد يوسف مُوسى.
(١٨) **كشف المخبَّا عن فنون أوربا**، تأليف أحمد فارس الشدياق.
(١٩) **المرشد الأمين للبنات والبنين**، تأليف رفاعة الطهطاوي.
(٢٠) **شروط النهضة**، تأليف مالك بن نبيّ.
(٢١) **مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية**، تأليف رفاعة الطهطاويّ.
(٢٢) **نهضة الأمة وحياتها**، تأليف طنطاويّ جوهريّ.
(٢٣) **البيان في التمدن وأسباب العمران**، تأليف رفيق العظم.
(٢٤) - (٢٥) **تحـــرير المـــرأة**، تأليف قاسم أمين، **وتربية المرأة والحجاب**، تأليف طلعت حرب.
(٢٦) **تنبيه الأمة وتنزيه الملة**، تأليف محمد حسين النائيني، تعريب عبد المحسن آل نجف، تحقيق عبد الكريم آل نجف.
(٢٧) **خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني**، تأليف محمد باشا المخزومي.
(٢٨) - (٢٩) **السفور والحجاب**، تأليف نظيرة زين الدين، **ونظرات في كتاب السفور والحجاب**، تأليف مصطفى الغلاييني.
(٣٠) **في الاجتماع السياسي الإسلامي**، تأليف محمد مهدي شمس الدين.
(٣١) **لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟**، تأليف الأمير شكيب أرسلان.
(٣٢) **المدنية الإسلامية**، تأليف شمس الدين سامي فراشري، ترجمة محمد م الأرناؤوط.
(٣٣) **المدنيـــة والإسلام**، تأليف محمد فريد وجدي.
(٣٤) **المســـئلة الشرقية**، تأليف مصطفى كامل.
(٣٥) **وجهة العالم الإسلامي**، تأليف مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين.

(٣٦) **طلعة الشمس شرح شمس الأصول**، تأليف نور الدين عبد الله بن حميد السالمي.

(٣٧) **أدب الطلب ومنتهى الأرب**، تأليف محمد بن علي الشوكاني.

(٣٨) **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني**، تأليف آدم عبد الله الإلوري.

(٣٩) **أم القرى**، تأليف السيد الفراتي (عبد الرحمن الكواكبي).

(٤٠) **تجديد الفقه ونصوص أخرى**، تأليف محمد بن الحسن الحَجْوي.

(٤١) **الحضارة الإسلامية**، تأليف أحمد زكي.

(٤٢) **الرسالة الخالدة**، تأليف عبد الرحمن عزام.

(٤٣) **مسألة الخلافة وجزيرة العرب**، تأليف أبي الكلام آزاد، ترجمة مصباح الله عبد الباقي.

(٤٤) **النبأ العظيم .. نظرات جديدة في القرآن**، تأليف محمد عبد الله دراز.

(٤٥) **الحركة الإسلامية .. هموم وقضايا**، تأليف السيد محمد حسين فضل الله.

(٤٦) **الأعمال المختارة لمحمد خانجيتش البوسنوي**، تأليف محمد خانجيتش، ترجمة عبد الرحيم ياقدي.

(٤٧) **الدين والوحي والإسلام**، تأليف مصطفى عبد الرازق.

(٤٨) **النسائيات**، تأليف ملك حفني ناصف (باحثة البادية).

(٤٩) **في الفلسفة الإسلامية .. منهج وتطبيقه (الكتاب الأول)**، تأليف إبراهيم مدكور.

(٥٠) **في الفلسفة الإسلامية .. منهج وتطبيقه (الكتاب الثاني)**، تأليف إبراهيم مدكور.


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية



AL-A‘MĀL AL-MUKHTĀRAH LI MUḤAMMAD KHANGITSH

´ABD AL-RAḤĪM YĀQDĪ

(46)

هذا الكتاب

يُعدُّ محمد خانجيتش Mehmed Handžić – أو الخانجي كما اختار لنفسه أن يكون فترة وجوده للدراسة في الأزهر خلال (١٩٢٦-١٩٣٠م)- من أهم علماء البوسنة في القرن العشرين، الذين جمعوا بين العلم الغزير والإنتاج المتنوّع والأفق الواسع المنفتح على العصر.

وإذا كان العالم العربي قد عرف الخانجي من خلال كتابه المعروف الذي ألفه وأصدره في القاهرة (الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة)، الذي صدر في أربع طبعات خلال (١٩٣٠-٢٠١٠م)؛ فإن هذه المختارات تعرّفنا بشكل مختلف على خانجيتش البوسنوي المنشغل بواقع المسلمين ومصيرهم في بلاده.

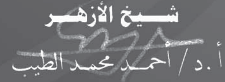
هذه الأعمال المختارة لخانجيتش تمثل صورة صادقة عمّا كان يشغل نخبة المسلمين في البوسنة ويوغسلافيا بشكل عام في فترة انتقالية صعبة، حيث تناولت أصالة المسلمين هناك أمام حملات التشكيك بهم وبتاريخهم، وانتقدت بعض البدع التي لحقت بهم هناك، وصولا إلى السؤال الكبير الذي عنون به خانجيتش أحد مقالاته: هل يمكن للمسلم أن يعيش حياة الأوربيين ويبقى مسلمًا صالحًا؟

يقول الإمام الأكبر أحمد الطيب عن المشروع:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن هذا المشروع الذي تقوم به مكتبة الإسكندرية – وهي تستهدف إعادة نشر الإنتاج العلمي والثقافي لأعلام نهضتنا في العصر الحديث – ليُعدُّ فيما أرى – من أهم المشاريع العلمية نحو تأصيل المفاهيم الثقافية في العالم الإسلامي وإعادة تأسيس عقل إسلامي معاصر يستوعب أصوله، ويعيش عصره. وإني أدعو إلى ترجمة هذه الأعمال إلى اللغات الحية، وتعميم نشرها، بكل الوسائل الورقية والإلكترونية.

شيخ الأزهر



ISBN 978-977-452-311-2

